تاريخ الدولة الأموية

(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م)

الراشدي، حامد حميد عطية
تاريخ الدولة الاموية (٤١-١٣٢هـ)(٦٦١-٧٤٩م)
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - بغداد: (٢٠١٨/٣٣٦٤)
(٢٤٦)
رقم التصنيف :٩٥٦.٠٤
الواصفات : التاريخ الاسلامي // العصر الاموي // الامويون ٦٦١- ٧٤٩ م // الخوارج // حركات المعارضة // التنظيمات الادارية والمالية // الفتوحات الاسلامية
الرقم الدولي ISBN: ٩٧٨-٩٩٢٢-٦٠٠-٣٠-٧
تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دار الذاكرة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

٢٠١٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

حقوق النشر الإلكتروني محفوظة للمؤلف
يمنع طباعة أو تصوير هذا المنشور بأية طريقة كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو مغناطيسية أو بالتصوير أو بخلاف ذلك دون الرجوع إلى المؤلف وبإذن خطي مسبق وبخلاف ذلك يتعرض الفاعل للملاحقة القانونية

بغداد - الصرافية - مجاور الجسر الحديدي
نقال: ٠٧٨٠٠٧٤٠٧٢٨ / ٠٧٧٠٠٤٨٨٧٨٠
بريد إلكتروني: info@althakera.com / www.althakera.com

تاريخ الدولة الأموية

(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م)

الدكتور

حامد حميد عطية الراشدي

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
الفصل الأول **نشأة الدولة الأموية**	
أولاً. التعريف بالأسرة الأموية	١١
ثانياً. ولاية معاوية على الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٥
ثالثاً. ولاية معاوية على بلاد الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه	١٨
رابعاً. معاوية في عهد الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام	٢١
خامساً. خلافة الحسن بن علي عليه السلام والصلح مع معاوية	٣٢
سادساً. انتقال عاصمة الدولة الإسلامية من الكوفة إلى دمشق	٣٥
سابعاً. أشهر الولاة في خلافة معاوية بن أبي سفيان	٣٧
ثامناً. تحول الخلافة إلى نظام الوراثة	٤٣
تاسعاً. الخلفاء الأمويون(٤١- ١٣٢هـ)	٤٨
أ. خلفاء الفرع السفياني (٤١- ٦٤هـ)	٤٨
ب. خلفاء الفرع المرواني(٦٤- ١٣٢هـ)	٥٣
الفصل الثاني **المعارضة للسلطة الأموية**	
أولاً. حركات الخوارج	٧٥

أ. الخوارج في عهد معاوية بن أبي سفيان	٧٩
ب. الخوارج بعد وفاة يزيد بن معاوية	٨٣
ت. الخوارج في عهد عبد الملك بن مروان	٨٦
ث. الخوارج في عهد عمر بن عبد العزيز	٩٠
ج. الخوارج في أواخر عهد الخلافة الأموية	٩١
ثانياً. حركات المعارضة	٩٤
أ. حركة حجر بن عدي الكندي	٩٤
ب. نهضة الإمام الحسين بن علي عليه السلام	٩٦
ت. حركة التوابين	١٠٤
ث. حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي	١٠٧
ج. حركة عمرو بن سعيد الاشدق	١١٢
ح. حركة عبد الله بن الزبير	١١٥
خ. ثورة زيد بن علي عليه السلام	١٢٢
د. حركة عبد الرحمن بن الأشعث	١٢٧
الفصل الثالث **النظام الإداري والمالي والاقتصادي في العصر الأموي**	
أولاً. النظام الإداري	١٣٥
أ. إدارة الحكم في العصر الأموي	١٣٥
ب. الحجابة	١٣٩
ت. الشرطة	١٤١

ث. القضاء	١٤٦
ج. الدواوين	١٥٢
ح. تعريب الدواوين	١٥٧
خ. سك العملة	١٥٨
ثانياً. النظام المالي	١٦٠
أ. الخراج	١٦٠
ب. الجزية	١٦١
ت. الفيء	١٦٢
ث. الغنائم	١٦٣
ج. الزكاة	١٦٤
ح. عشور التجارة	١٦٥
ثالثاً. النظام الاقتصادي	١٦٦
أ. الزراعة	١٦٦
ب. التجارة	١٧٠
ت. الصناعة	١٧٤
الفصل الرابع **اتساع الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي**	
أولاً. الجيش وتنظيماته	١٧٧
ثانياً. الأسطول الإسلامي في العصر الأموي	١٨٣
ثالثاً. الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي	١٨٦

أ. الجبهة الشمالية	١٨٦
ب. الجبهة الشرقية	١٩٤
ت. الجبهة الغربية	٢٠٤
الفصل الخامس **عوامل انهيار الدولة الأموية**	
أولاً. ولاية العهد	٢١٧
ثانياً. المعارضة للسلطة السياسية	٢١٩
ثالثاً. العصبيات القبلية	٢٢٠
رابعاً. الدعوة العباسية	٢٢٢
قائمة المصادر والمراجع	٢٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد .. فإن دراسة تاريخ الدولة الأموية من جوانبها السياسية والإدارية والاقتصادية قد حظي باهتمام جل كتابات القدماء والمحدثين ، وما زالت الدراسات تتوالى في هذا المجال ، لكثرة الأخبار التي شهدتها الدولة وتنوعها ، فضلاً عن التوسع الذي صاحب قيام الدولة وما رافقها من أحداث في ميدان السياسة والإدارة والحرب ، فبعد أن أتخذ الأمويون دمشق عاصمة لدولتهم أخذت الدولة في الاتساع حتى بسطوا سلطانهم على أقصى ما وصلت إليه دولتهم من حدود الصين إلى فرنسا ، وبذلك حكموا ديار الإسلام إحدى وتسعين سنة .

وقد جاءت هذه الدراسة على خمسة فصول تسبقها مقدمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع .

بحثنا في الفصل الأول : نشأة الدولة الأموية ، تناولنا خلاله التعريف بالأسرة الأموية ، ثم ولاية معاوية بن أبي سفيان على بلاد الشام في عهد الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ﷺ ، وبينت الدراسة حال معاوية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكذلك في خلافة الإمام الحسن بن علي عليه السلام والصلح مع معاوية ، وتطرقنا إلى انتقال عاصمة الدولة الإسلامية من الكوفة إلى دمشق ، وأهم الولاة الذين اعتمد عليهم معاوية في إدارة الدولة ، وعن كيفية تحول الخلافة إلى نظام الوراثة ، وختمنا الفصل باستعراض سيرة خلفاء الفرع السفياني والمرواني .

أما الفصل الثاني : فقد خصص لدراسة المعارضة للسلطة السياسية ، درسنا من خلاله حركات الخوارج ونهضة الإمام الحسين بن علي عليه السلام ، والثورات العلوية ، وحركات المعارضة الأخرى التي واجهتها الدولة الأموية .

وخصص الفصل الثالث : لدراسة النظام الإداري والمالي والاقتصادي في العصر الأموي ، تناولنا من خلاله النظم الإدارية وتشمل إدارة الحكم في العصر الأموي والحجابة والشرطة والقضاء والدواوين وسك العملة ، أما النظم المالية فقد تحدثنا من خلالها عن أهم موارد بيت المال ، ودرسنا في النظام الاقتصادي الزراعة والتجارة والصناعة .

وجاء الفصل الرابع : تحت عنوان اتساع الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي ، درست فيه فتوحات الدولة في الجبهة الشمالية وجبهة المشرق وجبهة المغرب .

أما الفصل الخامس : فقد خصص لدراسة عوامل انهيار الدولة الأموية ، وقد تمت الإشارة من خلاله إلى أهم العوامل التي أدت إلى انهيار سقوط الدولة الأموية .

وبعد هذا احمد الله تعالى كثيراً على ما مَنَّ عليَّ بفضله وتوفيقه راجياً أن أكون قد وفيت الدراسة بعضاً من حقها ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

٧/ ذي الحجة/ ١٤٣٩هـ

٢٠١٨/٨/١٨

الفصل الأول

نشأة الدولة الأموية

أولاً. التعريف بالأسرة الأموية :

تنسب الدولة الأموية أو الحقبة التاريخية الممتدة من سنة (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٤٩م) إلى أمية[١] بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي[٢] ، أحد بطون قريش[٣] ، ذلك لأن جميع الخلفاء الأمويين الأربعة عشر الذين اعتلوا وتربعوا على عرش الخلافة يرجع نسبهم إلى أمية بن عبد شمس الجد الأعلى للخلفاء الأمويين بالشام والأندلس[٤] .

(١) اختلف اللغويون في النسبة إلى أمية بن عبد شمس على مذهبين ، أحدهما أموي بضم الألف وفتح الميم وكسر الواو جريا على اللفظ في أمية ، وهذا هو المشهور ، والثاني أموي بفتح الهمزة وعليه اقتصر الجوهري في صحاحه محتجاً بأن أمية تصغير أمة ، فإذا نسبت ردوه إلى الأصل ، ينظر : الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: احمد عبد الغفور العطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٩٨٧م) ، ج٦ ، ص٢٧٢ ؛ ابن ماكولا ، علي بن هبة الله (ت٤٧٥هـ) ، إكمال الكمال ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – بلات) ، ج١ ، ص١٤٧ ؛ ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت٦٣٠هـ) ، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، (بيروت – بلات) ، ج١ ، ص٨٥ .

(٢) البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ) ، أنساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكار ورياض الزركلي ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٦م) ، ج٥ ، ص٢ ؛ السمعاني ، عبد الكريم بن محمد أبي منصور التميمي (ت٥٦٢هـ) ، الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان ، (بيروت – ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص٢٠٩ .

(٣) السمعاني ، الأنساب ، ج١ ، ص٢١٠ .

(٤) القلقشندي ، احمد بن علي (ت٨٢١هـ) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، تحقيق : محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – بلات) ، ج١ ، ص٤١١ ؛ ابن ناصر الدين ، محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي (ت٨٤٢هـ) ، توضيح المشتبه ، تحقيق : محمد نعيم العرقوسي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٩٣م) ، ج١ ، ص٢٦٨ .

كان أمية سيداً من سادات قريش في الجاهلية تاجراً كثير المال ، عاش إلى ما بعد مولد الرسول ﷺ ولم يدرك الإسلام[١] ، ولعل أهم ما يميز أمية بن عبد شمس كثرة أولاده الذين بلغوا أحد عشر ذكراً ، وهم : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، والعويص ، وهؤلاء يسمون بالأعياص لتشابه أسمائهم[٢] ، وحرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو وهؤلاء يسمون بالعنابس[٣] ، وإنما سموا بالعنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية في حرب الفجار بعكاظ وقاتلوا قتالاً شديداً فشبهوا بالأسد ، والأسود في اللغة يقال لها : العنابس واحدها عنبسة[٤] .

وغدا بنو أمية بنسبهم العريق الذي يرجع إلى عبد مناف بن قصي ، وكثرة نسلهم وأعقابهم ، وما أكتسبه بعضهم من مال كثير من التجارة أكبر وأقوى عشيرة في مكة قبيل ظهور الإسلام[٥] ، إلا أن أمية بن عبد شمس وعمه هاشم

(١) ابن حبيب ، محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت٢٤٥هـ) ، المنمق في أخبار قريش ، تحقيق : خورشيد احمد فاروق ، عالم الكتب ، (بيروت – ١٩٨٥م) ، ص٤٨ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج١ ، ص٦٠ ؛ كحالة ، عمر بن رضا بن محمد (ت١٤٠٨هـ) ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٩٤م) ، ج١ ، ص٤٣ .

(٢) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٦٩هـ) ، ص٧٣ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٢ .

(٣) ابن حبيب ، المنمق ، ص١٤٠ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص٧٣ ؛ ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ ، ص٥٩٤ .

(٤) ابن حبيب ، المنمق ، ص١٤٢ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٣ ؛ الزبيدي ، محب الدين محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ) ، تاج العروس ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٤م) ، ج٨ ، ص٣٧٨ .

(٥) العمد ، إحسان صدقي ، الجذور التاريخية للأسرة الأموية ، بحث منشور في مجلة حوليات ، كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ١٩٩٦م ، العدد١٠٣ ، ص٣١ .

بن عبد مناف مؤسس قبيلة بني هاشم كانوا أحياناً في حالة تنافس على الرياسة – أي رياسة قريش – وإدارة مكة [١] .

أما حرب بن أمية فقد كان رئيساً لقريش بعد عبد المطلب بن هاشم ، كما كان من حكام قريش الذين يلجأ إليهم أصحاب الخصومات للحكم بينهم[٢] ، ويقال : إن حرب كان من المعدودين في بلغاء قريش وفصحائها ، وإنه أول من استعمل الكتابة العربية في مكة[٣] ، وكان في عهده يقود قريش في الحروب التي اضطرت للاشتراك فيها مثل حرب الفجار التي ساهم فيها الرسول ﷺ قبل البعثة والتي انتهت بتفوق قريش وكنانة وجنوح قيس عيلان إلى الصلح اثر وساطة تقدم بها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عم أمية ، وعاش حرب بن أمية إلى ما بعد مولد الرسول ﷺ ومات بالشام قبل بعثة الرسول ﷺ ولم يدرك دعوته[٤] .

ومن أبناء حرب أبو سفيان واسمه صخر بن حرب ، ولكن كنيته غلبت عليه ، فقد كان من أشراف قريش في الجاهلية ، تاجراً جمع ماله من التجارة[٥] ،

(١) ابن حبيب ، المنمق ، ص٩٧-٩٨ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج١ ، ص٦١ ؛ كحالة ، معجم قبائل العرب ، ج١ ، ص٤٣ .

(٢) ابن حبيب ، المنمق ، ص١٦٥ ؛ اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، (بيروت – بلات) ، ج١ ، ص٢٥٨ .

(٣) ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى – متمم الصحابة ، تحقيق : عبد العزيز عبد الله السلومي ، مكتبة الصديق ، (الطائف – ١٤١٦هـ) ، ج١ ، ص٧٢ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، تحقيق : إليزة ليختن شتير ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت–بلات) ، ص١٦٥ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٠١ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص١٣٢ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢١٥ ؛ الزركلي ، خير الدين بن محمود (ت١٣٩٦هـ) ، الأعلام ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ٢٠٠٢م) ، ج٣ ، ص١٧٢ .

(٥) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٦٠٠ ؛ ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت – ١٩٩٢م) ، ج٢ ، ص٧١٤ ؛ ابن الأثير ، أسد العابة في معرفة الصحابة ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٨٩م) ، ج٥ ، ص١٤٨ .

كما كان يرأس القوافل التجارية لقريش أحياناً بنفسه ، وقد ورث أبو سفيان إمارة قريش بعد أبيه حرب بن أمية وقيادة مكة في الحروب ، ثم أصبح بعد ذلك زعيم مكة وسيدها بعد معركة بدر[١].

أما عن موقف بني أمية تجاه الدعوة الإسلامية فقد وقفوا ضد دعوة الرسول ﷺ ، وكانوا من أشد الأعداء له[٢] ، على عكس بني هاشم الذين أعانوا وحرسوا الرسول ﷺ سواء من اعتنق منهم الإسلام أو لم يعتنقه[٣] ، ولم يدخل بنو أمية الإسلام إلا بعد فتح مكة سنة (٨هـ/ ٦٢٩م)[٤] ، مع الإشارة إلى أن عدد من بني أمية قد أسلموا في وقت مبكر من بدء الدعوة الإسلامية مثل: عثمان بن عفان بن العاص بن أمية ، وخالد وعمرو أبناء سعيد بن العاص بن أمية كانا من المسلمين الأوائل ، وهاجروا إلى الحبشة على الرغم من معارضة أبيهما ، وعادوا مع جعفر بن أبي طالب إلى المدينة سنة (٧هـ/ ٦٢٨م)[٥] .

وعلى الجملة فإن الفروع من أبناء أمية التي كانت فيها الخلافة ثلاثة وهم: فرع العاص الذي ينحدر منه عثمان بن عفان رضي الله عنه الخليفة الراشدي الثالث ،

(١) ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٤٦ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص١٤٨ ؛ علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ط٤ ، دار الساقي، (بيروت-٢٠٠١م) ، ج٧ ، ص١١٠.

(٢) ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٤٦ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٤٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص١٤٨ .

(٣) ابن إسحاق ، أبو عبد الله بن إسحاق (ت١٥١هـ) ، المغازي ، تحقيق : محمد حميد الله ، (الرباط – ١٩٧٦م) ، ص١٢٠-١٢١ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٢١ .

(٤) المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ) ، البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة – بلات) ، ج٥ ، ص١٠٧ .

(٥) ابن هشام ، عبد الملك بن أيوب (ت٢١٨هـ) ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، (القاهرة – بلات) ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – بلات) ، ج٢ ، س٣١٨ .

وفرع حرب الذي ينحدر منه ثلاثة خلفاء ، وفرع أبي العاص الذي ينحدر منه إحدى عشر خليفة .

ثانياً . ولاية معاوية على الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ :

لتفهم حقيقة العوامل والأسباب التي قادت إلى قيام الدولة الأموية لابد من تسليط الضوء على الأحداث التاريخية التي سبقت قيام الدولة ، فواقع الحال يشير إلى أن قيام الدولة لم تكن وليدة الساعة أو المرحلة ، إنما هي حصيلة الجهود التي بذلها معاوية بن أبي سفيان منذ أن كان والياً على بلاد الشام .

في بداية الأمر كان معاوية بن أبي سفيان أحد قادة الجيوش التي أرسلها الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ مدداً لأخيه يزيد بن أبي سفيان أحد قادة الجيوش الإسلامية الأربعة التي أمرها الخليفة بالتوجه لتحرير الشام[1] ، وهناك أصبح معاوية تحت إمرة أخيه ، ولما تم النصر للمسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أسند ولاية دمشق ليزيد بن أبي سفيان ، واستمر في ولايته حتى وفاته في طاعون عامواس أواخر سنة (١٨هـ/ ٦٣٩م) ، عند ذلك عين الخليفة معاوية بن أبي سفيان والياً على دمشق خلفاً لأخيه ، وكان ذلك في بدايات سنة (١٩هـ/ ٦٤٠م)[2].

استمرت ولاية معاوية على الشام للخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قرابة أربع سنين عمل خلالها على تثبيت سلطته ونفوذه ، ووفقاً لرأي الخليفة فقد قام بتحصين الثغور الإسلامية وشحنها بالرجال ، كما أقام نظام للمرابطة في فصل

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٤٠٦ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٥٧٥ .
(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٤١٦ ؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٨٥م) ، ص١٣٣ .

الصيف ، فضلاً عن ذلك فقد استكمل تحرير بقية مدن السواحل مثل طرابلس وقيسارية وعسقلان[١] .

وفي وقت متقدم حرص معاوية على مجابهة الروم البيزنطيين وإبعاد خطرهم عن طريق البحر ، فبعد أن أنشأ أسطوله البحري مستعيناً بالبحارة من أهل الشام ومصر كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يستأذنه بركوب البحر والتوجه لغزو جزيرة قبرص الواقعة في البحر المتوسط القريبة من حدود بلاد الشام[٢] .

ويبدو أن الخليفة لم يشاهد البحر ولم تكن لديه صورة واضحة عنه ، وعلى ذلك طلب من عمرو بن العاص والي مصر أن يصف له البحر وراكبه ، فكتب إليه عمرو قائلاً : " إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، ليس إلا السماء والماء ، إن ركد خرق القلوب ، وإن تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود إن مال غرق ، وإن نجا برق "[٣] ، فلما قرأه الخليفة كتب إلى معاوية ، والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لا أحمل فيه

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٨٢ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت – ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص١٤٦-١٤٨ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١٥٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٦٦م) ، ج٣ ، ص٩٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٢٥٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٩٥ .

مسلماً أبداً ، فو الله لمسلم أحب إليَّ مما حوت الروم ، فإياك أن تعرض لي ، وقد أمتثل معاوية لأمر الخليفة ولم يحاول أن يكرر المحاولة مرة أخرى[١].

وقد حرص معاوية أثناء ولايته على كسب ود الخليفة وإظهار الطاعة له ، وفي ذات الوقت أراد أن يجعل لوجوده في بلاد الشام صفة مميزة في أبهة الملوك والسلطان ، بحيث أصبح لا يسير إلا في موكب يحيط به الحراس والحجاب ، ولما قدم الخليفة إلى الشام استقبله معاوية في موكب كبير ، ولم ترق للخليفة مشاهدة مظاهر الترف والعظمة في هذا الاستقبال واستنكر ذلك قائلاً : "أكسرويه يا معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا في ثغر تجاه العدو وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة"[٢] ، وفي رواية : "يجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به ، فإن أمرتني فعلت ، وإن نهيتني انتهيت ، فقال له الخليفة: لا آمرك ولا أنهاك"[٣] .

كذلك استطاع معاوية أثناء ولايته أن يوثق علاقته مع القبائل العربية في بلاد الشام خصوصاً قبيلة بني كلب اليمانية لاسيما بعد زواجه من ميسون بنت بحدل زعيم هذه القبيلة[٤] ، وكانت هذه القبائل تشكل القوى العظمى من

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٢٥٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٩٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، تحقيق : عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٨٧م) ، ج٣ ، ص٢٢٣ .

(٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذة ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٨٨م) ، ص٢٥٤ ؛ سالم ، عبد العزيز ، تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، (القاهرة – ١٩٨٩م) ، ص٣١٨ .

(٣) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٤١٧ ؛ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين (ت٥٧١هـ) ، تاريخ دمشق ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٥م) ، ج٥٩ ، ص١١٢ .

(٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧٠ ، ص١٣٣ .

أجناد أهل الشام التي كانت تتألف من جند دمشق وجند حمص وجند الأردن وجند فلسطين وجند قنسرين[١] .

ويبدو أن هذه الأجناد كانت تعاني من مشاكل داخلية غير أن مصالحها تلاقت مع مصالح معاوية في إقامة نظام مستقر في بلاد الشام خالٍ من المشاكل ، وإعداد جيش قوي متماسك يتألف من هذه الأجناد جميعاً ، وقد وقف هذا الجيش إلى جانب معاوية في أغلب الظروف التي واجهته نحو تطلعاته في قيام الدولة الأموية[٢] .

ثالثاً. ولاية معاوية على بلاد الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ :

بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أخذت أحوال معاوية بن أبي سفيان تستقيم أكثر في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ الذي أقره على ولايته ، ثم جمع له الشام والجزيرة وثغورها ، وبذلك فقد ازدادت صلاحياته في إدارة بلاد الشام على المستوى السياسي والإداري والمالي والعسكري[٣] .

(١) الهمذاني ، احمد بن محمد (ت٣٤٠هـ) ، البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، عالم الكتب ، (بيروت – ١٩٩٦م) ، ص١٦٠ ؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – ١٩٧٩م) ، ج١ ، ص٣ ؛ ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ ، ص١١٥ .

(٢) الدينوري ، أبو حنيفة احمد بن داود (ت٢٨٢هـ) ، الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٦٠م) ، ص١٤٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٤٤ ؛ احمد ، لبيد إبراهيم وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي ، (بغداد – ١٩٩٢م) ، ص٨ .

(٣) ابن خياط ، أبو عمرو خليفة (ت٢٤٠هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٣٩٧هـ) ، ص١٥٥ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٣٨٦ .

ولعل من أول الأعمال التي قام بها معاوية في خلافة عثمان بن عفان ﷺ هو تحصين وتقوية المدن الساحلية ومجابهة الروم البيزنطيين[١] ، كما أن فكرة ركوب البحر وتحقيق حلمه القديم لم يبرح نفس معاوية الذي أحس بأن الأوان قد آن لضرب الروم عن طريق البحر ، وبذلك كتب إلى الخليفة يستأذنه في فتح جزيرة قبرص من أجل تأمين سواحل بلاد الشام ، غير أن الخليفة لم يأذن له في بادئ الأمر[٢] ، لكنه بعد إلحاح معاوية وافق له على الغزو بحراً ، وأشترط عليه أن يحمل زوجته معه ، وأن يؤمن وسائل الدفاع عن السواحل قبل خروجه في الغزو ، وأن لا يكره أحداً من المسلمين على الغزو معه[٣] ، وقد وافق معاوية على شروط الخليفة وحمل معه زوجته فاختة بنت قرظة من عبد مناف ، وتم له فتح هذه الجزيرة سنة (٢٨هـ/ ٦٤٨م) ، ثم صالح أهلها على جزية سنوية يؤدونها إلى المسلمين ، واشترط عليهم بعدم مساعدة الروم ضد العرب ، وإبلاغ المسلمين في حال محاولتهم الهجوم على العرب ، فكانت هذه الغزوة أول غزوة بحرية يقوم بها المسلمون في البحر المتوسط[٤] .

وحينما حاول الروم البيزنطيون تجميع قواتهم البحرية لاستعادة سواحل بلاد الشام وتأمين ملاحتهم في البحر المتوسط تصدت لهم أساطيل الشام بقيادة

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٤٤ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١٥٣ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٦٦ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٢٦٠ ؛ ابن أعثم ، أبو محمد احمد (ت٣١٤هـ) ، الفتوح ، دار الندوة الجديد ، (بيروت – ١٩٧٠م) ، ج٢ ، ص١١٧ ؛ الشمري ، صالح حسن عبد ، العلاقات البيزنطية في العصر الأموي من ٤١-١٣٢هـ ، مطبعة جامعة ديالى ، (ديالى – ٢٠١٣م) ، ص٤٣ .

(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٦٦ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١٥٨ ؛ الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص١٣٩ .

معاوية بن أبي سفيان وأساطيل مصر بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، والتقى الطرفان في معركة سميت ذات الصواري سنة (٣٤هـ/ ٦٥٤م) ، تجلت فيها انتصارات المسلمين على الروم البيزنطيين[١] .

وحينما تفاقمت فتنة الأمصار سنة (٣٤هـ/ ٦٥٤م) وأخذت طابع التحدي لسلطة الخلافة ، أحس الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بخطورة الموقف فبعث إلى ولاته في الأمصار الإسلامية يدعوهم للقدوم إلى المدينة ليكشف عن حقيقة الأوضاع وما أُشيع فيها ، وعقد معهم اجتماعاً وبعد مداولات طلب أن يشيروا عليه[٢] ، فكان رأي معاوية بن أبي سفيان أن يخرج الخليفة معه الى بلاد الشام حيث يجد الرجال والأنصار الذين يذودون عنه ، غير أن الخليفة رفض ذلك قائلاً : " أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي "[٣] .

ويبدو أن معاوية كان يهدف من وراء دعوته للخليفة عثمان ﷺ بالانتقال إلى دمشق أن يكتسب بوجوده هناك سنداً روحياً يمهد له الظفر بالخلافة من بعده[٤] ، دليل ذلك أنه خاطب بعض الصحابة في المدينة قبل رحيله إلى الشام

(١) ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٩هـ) ، فتوح مصر وأخبارها ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٦م) ، ص١٩٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٢٩٠؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٥٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٣٣٣-٣٤٢ ؛ مسكويه ، احمد بن محمد (ت٤٢١هـ) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تحقيق : أبو القاسم إمامي ، ط٢ ، دار سروش ، (طهران – ١٤٢٢هـ) ، ص٤٣٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٣٤٥ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ص٤٣٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٤٣٥ .

(٤) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص٣٢٠ .

عندما دُعي فيمن دعي من ولاة الأمصار للتداول مع الخليفة في شأن الفتنة قائلاً: "يا معشر الصحابة أوصيكم بشيخي هذا خيراً ، فو الله لئن قتل بين أظهركم لأملأنها عليكم خيلاً ورجالاً"[1] .

ويبدو أن معاوية بن أبي سفيان كان يعي حقيقة تلك الفتنة والمصير الذي سوف يؤول إليه الخليفة ، أي أنه سوف يقتل ، ولذلك أقترح عليه مرة أخرى قبل مغادرته المدينة إلى بلاد الشام أن يبعث إليه جنداً من أهل الشام يقيمون عنده ويقفوا إلى جانبه ، لكن الخليفة رفض مرة أخرى طلب معاوية معللاً ذاك أن أهل المدينة والمهاجرين سيضيقون بجند أهل الشام قائلاً : "لا أريد أن أضيق عليَّ وعلى جيران رسول الله ﷺ"[2] .

وبذلك سارت الأمور إلى ما سارت اليه ، وكانت محصلة تلك الفتنة والتي عبر عنها الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) : أنها وسيلة لتفريق هذه الأمة ، استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ سنة (٣٥هـ/ ٦٥٥م)[3] .

رابعاً. معاوية في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ :

بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أجمع أهل المدينة على مبايعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ خليفة للمسلمين[4] ، وكان أول عمل قام به

(١) ابن شبة النميري ، أبو زيد عمر بن شبة التميمي (ت٢٦٢هـ) ، تاريخ المدينة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، دار الفكر ، (قم – ١٤١٠هـ) ، ج٣ ، ص١٠٩٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٤٤ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٥٢٨ ؛ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – بلات) ، ج٧ ، ص١٦٥ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٧٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٤٢٧-٤٢٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٨١ .

الإمام علي عليه السلام في مجال إدارته السياسية هو عزل جميع ولاة الأمصار واستبدالهم بولاة جدد ، وكان معاوية ممن شمله قرار الاستبدال هذا[١] ، غير أن الوضع العام في بلاد الشام لم يكن يسير بالاتجاه الذي أراده الإمام علي عليه السلام ، فقد أتيحت الفرصة لمعاوية بن أبي سفيان لينفرد بالشام ويتزعم بني أمية في المطالبة بدم الخليفة ، إذ اعتبر نفسه الولي الشرعي المطالب بالاقتصاص من قتلة الخليفة واستطاع أن يقنع أهل الشام بقضيته وضمن تأييدهم الفعال في هذا المجال[٢] ، وهكذا فإن سهل بن حنيف والي بلاد الشام الجديد الذي توجه بناءً على أوامر الخليفة علي بن ابي طالب عليه السلام لم يتمكن من الوصول إلى مقر عمله إذ ردته خيل أهل الشام في تبوك[٣] .

كان هذا الموقف أول رد فعل من قبل الشام في مستهل خلافة الإمام علي عليه السلام ، وبات الأمر واضحاً وهو أن معاوية بن أبي سفيان لم يكن معترضاً على البيعة للخليفة الجديد فقط ، بل أنه يطالبه بالاقتصاص من قتلة الخليفة والمطالبة بدمه[٤] .

ويرى أحد الباحثين إن دعوى معاوية بالمطالبة بدم الخليفة كان على أساس قبلي واضح ، لأن هذه المطالبة من واجب الدولة وعملها وليس من حق

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص١٤١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٤٢ .
(٢) ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ) ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتاب العربي ، (بيروت – بلات) ، ج٣ ، ص١٩٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٢٥٦ .
(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص١٨٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٤٢ .
(٤) كنعان ، عاصم إسماعيل ، الخلافة الأموية ٤١-٦٠هـ دراسة في الأحوال السياسية والإدارية والمالية ، المطبعة المركزية جامعة ديالى ، (بغداد – ٢٠١١م) ، ص٣١ .

الأقرباء[١] ، ويدل التفاف الكثيرين حول معاوية على قوة هذا الاتجاه القبلي الذي حاول الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام لأن يقف إزاءه بتطبيقه المبادئ الإسلامية الأساسية ، وهكذا اصطدم في بداية خلافته مع هذا التيار القبلي[٢] ، في حين استغل معاوية هذا التيار لتعزيز مكانته لاسيما وأنه يمتلك القوة العسكرية التي تتيح له تحقيق ما يطمح إليه ، فقد استطاع طيلة المدة السابقة وهي ليست بالقليلة أن يمهد لنفسه بالخلافة وأن يجعل الشام تحت أمره ولا تعرف حاكماً سواه وأن تقف صامدة وراءه[٣] .

وتساءل أحد الباحثين مفترضاً ماذا كانت الأمور ستسفر لو أن الإمام علي عليه السلام التزم بمشورة المغيرة بن شعبة وأبقى معاوية بن أبي سفيان والياً على بلاد الشام بدلاً من عزله ، أكانت الأمور تسير بمثل ما سارت عليه؟ ، من المؤكد أن الأمور لا تختلف حيث يبدو أن المطالبة بدم الخليفة عثمان رضي الله عنه لم تكن إلا وسيلة وليست غاية ، فقد كان معاوية يرى في نفسه أنه ابن أبي سفيان بن حرب رئيس قريش قبل الإسلام ، ويرى أن الشام كان كله في قبضة يده ، وقد طالت ولايته على أهله واستمالهم إليه بلينه ودهائه في سياستهم ، فهو والحالة هذه يمكن أن يصل بهم إلى الإمارة على المسلمين[٤] .

وهكذا انتقل الخلاف بين الخليفة والوالي إلى مرحلة الصراع الحاد والقائم على الحجج التي أدلى بها كل من الفريقين لتأييد موقفه ، فحجة الإمام

(١) الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت – ١٩٦١م) ، ص٥٨ .
(٢) احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي ، ص١١ .
(٣) كنعان ، الخلافة الأموية ، ص٣١-٣٢ .
(٤) كنعان ، الخلافة الأموية ، ص٣٢ .

علي عليه السلام واضحة أنه خليفة المسلمين وإن طاعته في أمور الدين والدنيا واجبة ، وما معاوية إلا خارج عن الطاعة[١] ، أما حجة معاوية فهي أنه ولي الخليفة المقتول وإنه لا يرضى بأقل من أن يسلمه هؤلاء القتلة[٢] .

وقد ترتب على الأمور الأنفة الذكر أن توصل الإمام علي عليه السلام إلى قناعة أن معاوية لم يترك وسيلة للتفاهم وحل الخلاف معه ، لذا بدء بتجهيز حملة عسكرية للخروج باتجاه الشام لمقاتلة معاوية وحمله على الطاعة[٣] ، وقبل خروجه جاءته الأخبار من مكة عن خروج عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وغيرهما باتجاه البصرة للمطالبة بدم الخليفة عثمان رضي الله عنه[٤] ، وقد حملت هذه الأخبار الإمام علي عليه السلام على تأجيل الخروج بدلاً من الشام إلى البصرة ، وكان ينوي الإصلاح وحل الخلافات ، فبعث إلى طلحة والزبير وتكلموا فيما اختلفوا واتفق الطرفان على الصلح ، وخطب الإمام علي عليه السلام بالناس قائلاً : " ألا وأني راحل غداً فارتحلوا "[٥] ، غير أن الذين أثاروا الفتنة على الخليفة عثمان رضي الله عنه تشاوروا واجمعوا على إيقاع الحرب بين الطرفين ، فكانت واقعة الجمل بالقرب من البصرة سنة (٣٦هـ/ ٦٥٦م)[٦] .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٢٧-٤٢٨ ؛ كنعان ، الخلافة الأموية ، ص٣٢.
(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص٢٢٩ .
(٣) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ، ص٤٨٦ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٩١-٤٩٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٥٩١-٥٩٢ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٩٣ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ، ص٤٨٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٥٩٣ .
(٦) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٨١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٥٠٨ .

بعد الانتهاء من واقعة الجمل أخذ الإمام علي عليه السلام البيعة من أهل البصرة ، وقام بتعيين عبد الله بن عباس والياً عليها[١] ، ثم توجه بمن معه من الجند إلى الكوفة واتخذ منها معسكراً ومقراً لإدارة شؤون الدولة السياسية[٢] ، ومن الكوفة أرسل الإمام علي عليه السلام رسوله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية بن أبي سفيان في محاولة لإقناعه بالتخلي عن معارضته والدخول في طاعته[٣] ، فلما وصلت رسالة الإمام علي عليه السلام وهي تحمل المطالبة بأحد الأمرين أما الدخول في الطاعة أو القتال[٤] ، استشار معاوية عمرو بن العاص في ذلك فأشار عليه بمطالبة الإمام علي عليه السلام بدم الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وبذلك قطع الطريق لحل الخلافات بينهما بالوسائل السلمية[٥] .

وهكذا بدء ناقوس الحرب يدق وأن لا ملاذ من المواجهة العسكرية ، فقد بادر الإمام علي عليه السلام بالخروج من الكوفة باتجاه بلاد الشام لمقاتلة معاوية وعسكر في موضع على أعالي نهر الفرات يدعى صفين ، وفي المقابل خرج معاوية على رأس حملة عسكرية ، والتقى الطرفان بجيشين كبيرين اختلفت الروايات في عدته[٦] ، وأسفرت المعركة التي وقعت أحداثها سنة

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٥٤١ ؛ ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج (ت٥٩٧هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٢م) ، ج٥ ، ص٩٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٥٦١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٥٦١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٩٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٥٦١ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٥٦١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١٠٠ .

(٦) اختلف في عدد أصحاب كل واحد من الفريقين ، فقيل : كان الإمام علي عليه السلام في مائة وعشرين ألف ، ومعاوية في تسعين ألف ، وقيل : إن الإمام علي عليه السلام كان في تسعين ألف ، ومعاوية في خمس وثمانين ألف ، وقيل : قتل في الحرب بينهما سبعين ألفاً خمس وعشرين ألفاً من أصحاب الإمام علي عليه السلام منهم خمس وعشرين صحابياً بدرياً ، وقتل خمس وأربعين ألف من أصحاب معاوية ، ينظر : الدينوي ، الأخبار الطوال ، ص١٦٦ ؛ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مطبعة الانجلو مصرية ، (القاهرة–١٩٦٤م) ، ج٢ ،ص٤١٦–٤١٧ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤١٤.

(٣٧هـ/ ٦٥٧م) عن خسائر كبيرة للطرفين ، حيث أشارت المصادر إلى فضاعتها وهولها وإن الإسلام لم يشهد مثلها[١] .

انتهت المعركة بخطة من معاوية أشار فيها عليه عمرو بن العاص ، فبعد أن أصبح النصر قاب قوسين أو أدنى من جيش الإمام علي عليه السلام ، رفع أهل الشام المصاحف فوق رؤوس الرماح[٢] ، منادين : " هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، مَن لثغور الشام بعد أهل الشام ، مَن لثغور العراق بعد أهل العراق "[٣] ، ويبدو أن هذا النداء قد اثر في نفوس قسم من جيش أهل العراق الذين قالوا : نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه[٤] ، ثم توجهوا إلى الإمام علي عليه السلام وقالوا : " قد أعطاك معاوية الحق ، ودعاك إلى كتاب الله فأقبل منه "[٥] .

وهنا حاول الخليفة إقناع أتباعه بما أقدم عليه أهل الشام من رفع المصاحف إنما هي خدعة ومكيدة ، لأن الحرب مالت لغير صالحهم ، لكنهم لم يقنعوا بذلك وألحوا عليه بقبول التحكيم ، وتهددوه أن يُصنع به ما صَنع بعثمان[٦] ، فوافق على طلبهم وهو يقول : بالأمس كنت أميراً واليوم أصبحت مأموراً[٧] .

(١) أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ) ، المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، (القاهرة – بلات) ، ج١ ، ص١٧٦-١٧٧ .
(٢) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ، ص٥٣٧ .
(٣) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ، ص٥٣٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٦٦٧ .
(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٢٧٢ .
(٥) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، تحقيق : طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي ، (القاهرة – بلات) ، ج١ ، ص١٠٢ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢٩٠ .
(٦) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢٩١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٣٦.
(٧) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢٩١ .

وهكذا بعد أن وافق الإمام علي عليه السلام على قبول التحكيم أرسل الأشعث بن قيس إلى معاوية للتعرف على التفاصيل المقترحة بشأن التحكيم ، فأجابه معاوية : نرجع نحن وأنتم إلى كتاب الله والى ما أمر به في كتابه ، تبعثون منكم رجلاً ترضونه وتختارونه ، ونبعث منا رجلاً ، ثم نأخذ عليهما العهود والمواثيق أن يعملا بكتاب الله ولا يخرجا عنه ، ثم نتبع ما سوف يتفقان عليه في التحكيم[1] ، وبعد ذلك أتفق الطرفان على التفاوض والتحاكم على الصيغة النهائية لصحيفة التحكيم ومفادها : إننا ننزل عند حكم الله عز وجل ولا يجمع بيننا غيره وإن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته[2] ، وأن تتوقف الحرب بين الطرفين وأن يعود كل طرف إلى إقليمه الخاص ، وأن يكون موعد التحكيم بعد ثمانية أشهر في دومة الجندل بمنطقة أذرح[3] ، وتحدثت المصادر التاريخية عن صعوبات واجهت الإمام علي عليه السلام في اختيار ممثله ، فقد اضطر إلى قبول أبو موسى الأشعري ممثلاً عنه في التحكيم ، أما معاوية فكان ممثله عمرو بن العاص[4] .

بعد الاتفاق على صيغة التحكيم البعض من جيش أهل العراق الذين قبلوا التحكيم أولاً تراجعوا عن موفقهم ، وطالبوا الإمام علي عليه السلام باستئناف القتال مع معاوية ، ولما كان الإمام علي عليه السلام ومعاوية قد وقعا على وثيقة

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٩١ ؛ أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج١ ، ص١٧٧-١٧٨ .
(٢) المنقري ، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) ، وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٢ المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، (القاهرة - ١٣٨٢هـ) ، ص٥١١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج١ ، ص٢٩١ .
(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج١ ، ص٢٩١ ؛ الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٧١م) ، ص٤٠٩ .
(٤) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ص١٧٦ .

التحكيم وأقرا بحكم الحكمين ، فقد استنكر طلبهم بنقض العهد والوثيقة واحتج عليهم بقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾[1] ، لكنهم لم يقتنعوا وانتهى الأمر بخروجهم من معسكره فسميت تلك الفئة بالخوارج ، لأنهم خرجوا عن طاعة الإمام علي عليه السلام[2] .

عموماً انقضت الثمانية أشهر ، وجاء موعد التحكيم وانعقد الاجتماع في منطقة أذرج سنة (٣٨هـ/ ٦٥٨م) ، وحضره عدد كبير من أهل العراق وأهل الشام ليشهدوا التحكيم ، في بداية الاجتماع سعى عمرو بن العاص الى انتزاع خصمه أبو موسى الأشعري بأحقية معاوية بدم الخليفة عثمان رضي الله عنه مستشهداً بقوله تعالى : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾[3] ، فرد عليه أبو موسى الأشعري إن جاز لمعاوية أن يكون ولياً للمطالبة بدم قريبه عثمان رضي الله عنه فإنه لا يجوز له أن يطالب بالخلافة ، وبعد مداولات انتهى الاجتماع باتفاق الحكمين على خلع الرجلين الإمام علي عليه السلام ومعاوية ، وجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من شاءوا ومن أحبوا[4] .

(١) سورة النحل الآية : ٩١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦٤ ؛ الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ) ، الملل والنحل ، (بيروت – ١٩٦٠م) ، ج١ ، ص١٥٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٣٧١ ؛ أبو سعدة ، محمد ، الخوارج في ميزان الفكر الاسلامي ، ط٢ ، (القاهرة – ١٩٩٨م) ، ص٢٥ .

(٣) سورة الإسراء الآية : ٣٣

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ص١٥٦ ؛ الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٠٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦٨ .

كانت هذه هي نتيجة التحكيم التي رفضها الإمام علي عليه السلام ولم يقبل بها ، وحجته أن هذين الحكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا أهوائهما[1] ، إنهما اتفقا على أن الخليفة عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً ، وليس لهذا علاقة بتنحية الإمام علي عليه السلام من الخلافة ، لأنه لم يقتله ولم يشترك بالقتل ، والأولى أن يرد الأمر إليه فيفعل فيه كما يرى لا أن يعزل ، ثم أن الإمام علي عليه السلام استند الى شيء آخر وهو أن الحكمين اتفقا على جعل الأمر شورى فينتخب المسلمين خليفتهم ، ولكن المسلمين الذين حضروا وشهدوا التحكيم من أهل العراق والشام لم يقبلوا بذلك[2] ، لأن رأي الحكمين لم يثبت في كتاب الله ولم تؤخذ عليه الشهادة وبقى الأمر مطلقاً وكأن الطرفين في حل مما رآه الحكمان[3] ، وعلى هذا حكم خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) على حادثة التحكيم هذه بالفشل بقوله : " فلم يتفق الحكمان على شيء وافترق الناس "[4] .

بعد فشل قرار التحكيم حاول الإمام علي عليه السلام استئناف القتال مع معاوية ، لكن الذي منعه من ذلك ظهور الخوارج وتحديهم لسلطة الخلافة ، وبذل الإمام علي عليه السلام جهود حثيثة في سبيل إقناعهم بالعودة إلى جادة الصواب لكنهم أبوا الرجوع عن أفكارهم ، مما قاد ذلك إلى صراع مسلح بينه وبين المنشقين عنه ، فحاربهم في النهروان سنة (٣٨هـ/ ٦٥٨م) ، وأوقع بهم هزيمة

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ص١٢٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٧٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٦٨٨ .

(٢) كنعان ، الخلافة الأموية ، ص٣٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٧٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٦٨٨ .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٤٤ .

كبيرة بعد أن قتل زعيمهم عبد الله بن وهب الراسبي[١] ، ومن النهروان أخذ الإمام علي عليه السلام يحث أتباعه من جديد بالتوجه إلى بلاد الشام لمقاتلة معاوية ، غير أن أنصاره من أهل العراق تثاقلوا ورفضوا ذلك قائلين : "يا أمير المؤمنين نفذت نبالنا ، وكلت سيوفنا ، ونصلت أسنة رماحنا ، فارجع بنا إلى مصرنا ، لنستعد بأحسن عدتنا"[٢] ، فرحل بالناس حتى نزل النخيلة بالقرب من الكوفة ، فعسكر بها وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم ، فأقاموا أياماً ثم صاروا يتسللون إلى الكوفة ولم يبق معه في المعسكر إلا زهاء ألف رجل من وجوه الناس[٣] .

وقد استغل معاوية هذه الظروف والأوضاع التي حلت بالإمام علي عليه السلام في أعقاب صفين والتحكيم والنهروان في تدعيم موقفه وكسب التأييد المطلق من أهل الشام ، فقد كان أنصاره طوع أمره وإرادته حيث أجمعوا على مبايعته أميراً عليهم[٤] ، ثم بعث معاوية الرسل إلى كل كور الشام يدعوهم إلى مبايعته بالإمارة ، غير أن والي حمص شرحبيل بن السمط الكندي رفض أن يبايعه أميراً وإنما يبايعه خليفة ، وكتب بذلك إلى معاوية قائلاً : "أما بعد : فانك أخطأت خطاءً عظيماً حين كتبت إليَّ أن أبايع لك بالإمرة ، وأنك تريد أن تطالب بدم الخليفة المظلوم وأنت غير خليفة ، وقد بايعت لك بالخلافة"[٥] ،

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢١٠-٢١١ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص١٠٧ .
(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢١١ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٢ ، ص٣٧٩.
(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢١١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٩ .
(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ص٧٤ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي ، ص١٢ .
(٥) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ص٧٤ .

فلما قرأ معاوية كتابه سره ذلك ، ثم دعا أهل الشام إلى مبايعته بمثل ما بايعه شرحبيل فبايعوه على ذلك ولم يتخلف أحد منهم[١] .

هكذا كان حال أهل الشام مع معاوية بن أبي سفيان جند مطيع وقلوب متحدة ساعدت على تقوية مركزه كثيراً ، مما شجعه بالهجوم والإغارة على المناطق الخاضعة لسلطة الخلافة ، فوجه حملة عسكرية إلى مصر في ستة آلاف رجل بقيادة عمرو بن العاص سنة (٣٨هـ/ ٦٥٨م) ، واستطاع أن يضم مصر بكل ما تمتلكه من واردات إلى سلطان معاوية[٢] ، ثم أرسل بعد ذلك البعوث إلى مختلف الأطراف ، حيث وجه النعمان بن بشير في ألف رجل إلى عين تمر سنة (٣٨هـ/ ٦٥٨م) ، كما وجه سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل وأمره بالتوجه إلى هيت والأنبار والمدائن ، ووجه عبد الله بن مسعدة في سبعة آلاف رجل إلى تيماء ، كما أرسل الضحاك بن قيس الفهري في حملة إلى القطقطانة بالقرب من الكوفة[٣] ، فضلاً عن ذلك فقد أرسل بسر بن أبي ارطأة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز واليمن سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م) ، فسار بسر بن أبي ارطأة إلى المدينة ففر واليها أبو أيوب الأنصاري وبايعه أهلها ، ثم أتى مكة وأكره أهلها على البيعة ، وبذلك استقامت الحجاز لمعاوية لفترة مؤقتة إلى حين استردها جيش الإمام علي عليه السلام ، ثم مضى بسر بن أبي ارطأة بعد ذلك إلى اليمن ، وكان واليها عبيد الله بن عباس ، فلما سمع بمسير بسر فر إلى الكوفة ، وبذلك استولى بسر على اليمن ، وامتدت عمليات بسر إلى مناطق مختلفة حتى بلغ ساحل حضرموت ، غير أن بسر لم يمكث طويلاً في اليمن فقد هرب وتفرق

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ص٧٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٩٣ .

(٣) البلاذري،فتوح البلدان ،ج٢ ،ص١٩٣-١٩٤ ؛الطبري ، تاريخ الرسل والملوك،ج٥ ، ص١٣٤.

أصحابه بعد سماعه بتوجه حملة عسكرية من العراق لمحاربته بقيادة جارية بن قدامة السعدي[١] .

إن التطورات الأنفة الذكر أثبتت عدم جدوى القوة العسكرية في حل الخلافات ، فكان لابد للمفاوضات أن تأخذ طريقها من جديد ، ففي سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م) جرت مكاتبات ومراسلات بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان اتفق الطرفان فيها على الهدنة ووقف الحرب بينهما ، على أن يكون للأمام علي عليه السلام العراق ، ولمعاوية الشام ، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله في جيش ولا غارة ولا غزو[٢] .

ويبدو أن هذا الاتفاق كان هدنة مؤقتة أملتها الضرورات الواقعية التي كان يمر بها الجانبان ، ولذا فإن هذه الهدنة لم تستمر طويلاً بسبب مبايعة أهل الشام لمعاوية بالخلافة في مدينة القدس سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م) ، مما أثار ذلك حفيظة الإمام علي عليه السلام واعتبر ذلك تحدياً له ولسلطته في الخلافة ، فقام بتجهيز جيشً قوامه أربعين ألف مقاتل لمحاربة معاوية ، ولكن المنية لم تمهله ، حيث استشهد في مسجد الكوفة بعد صلاة الفجر على يد أحد الخوارج المدعو عبد الرحمن بن ملجم المرادي في رمضان سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م)[٣].

خامساً. خلافة الحسن بن علي عليه السلام والصلح مع معاوية :

بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام اجتمع الناس من أهل العراق في الكوفة على مبايعة الإمام الحسن بن علي عليه السلام ، وكان أول من بايعه قيس بن سعد بن

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٤٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٩٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٣٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٤٠ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ، ص٥٦٥ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢١٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٤ .

عبادة قائلاً : " أبسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقتال المحلين ، فقال له : على كتاب الله وسنة نبيه ، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت وبايعه الناس "[1] ، وفي رواية إن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قد وضع شروطاً للبيعة هي السمع والطاعة ومسالمة من سالمه ومحاربة من حاربه ، فلما سمعوا ارتابوا وانصرفوا إلى الإمام الحسين بن علي عليه السلام ، لكن الإمام الحسين عليه السلام رفض مبايعة القوم في حياة أخيه ، مما اضطرهم للرجوع إلى مبايعة الإمام الحسن عليه السلام على ما اشترط عليهم[2] .

أما معاوية بن أبي سفيان فقد بويع بالخلافة من جديد في بيت المقدس من قبل أهل الشام ودعي بأمير المؤمنين ، ثم سار باتجاه العراق في حملة عسكرية جعل في مقدمتها عبد الله بن عامر بن كريز ، فاستولى على عين التمر ، ثم نزل الانبار يريد المدائن[3] ، فلما بلغ ذلك الإمام الحسن عليه السلام وكان في الكوفة خرج في أثنى عشر ألفاً يقودهم قيس بن سعد بن عبادة متجهاً إلى المدائن ، فلما وصل الإمام الحسن عليه السلام إلى ساباط أخذ يتفحص أتباعه من حيث الاستعدادات العسكرية ، وهل هم جادين في نصرته أم أنهم سوف يخذلونه ، فوجد أن أتباعه زاهدين وغير راغبين في الحرب ، فأعلن أمام الناس أنه لا يريد أن يحمل الناس على ما يكرهونه ، وأن الجماعة أفضل من الفرقة ، ولكن هذه المقولة لم تعجب

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٥٨ ؛ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن المظفر (ت٧٤٩هـ) ، تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، (النجف الاشرف – بلات) ، ج١ ، ص٢٢ .

(٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ص١٤٠ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢١٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص١٧ .

جماعة في عسكره فحرضوا الجند عليه ، ودخلوا معسكره ونهبوا متاعه وطعنه أحدهم في فخذه ، فحمل إلى المدائن وعولج حتى شفى من جرحه[١] .

وعلى ذلك نظر الإمام الحسن عليه السلام إلى الظروف التي هو فيها نظرة واقعية وأيقن أن جنده غير جادين في نصرته ، وحفاظاً على وحدة الأمة وحقن دمائها فضل الإمام الحسن عليه السلام سلوك طريق المفاوضات والتوصل إلى الصلح[٢] ، مقابل شروط أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الراشدين ، وليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده عهداً بل الأمر شورى بين المسلمين[٣] ، وأن يسلم ما في بيت المال في الكوفة خمسة آلاف ألف للحسن عليه السلام ، وله خراج دار أبجرد[٤][٥] ، وأن يؤمن على أهل العراق وبقية الأمصار الإسلامية على أنفسهم وأموالهم[٦] ، وقد سار معاوية إلى الكوفة والتقى بالإمام الحسن عليه السلام وتعهد له بالاستجابة على جميع الشروط ، بعد ذلك ألقى الإمام الحسن عليه السلام خطبة في جامع الكوفة أشار فيها إلى موافقته من الصلح قائلاً : "أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دول ،

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢١٧ ؛ الاصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ) ، مقاتل الطالبين ، تحقيق : السيد احمد صقر ، دار المعرفة ، (بيروت – بلات) ، ص٧٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢١٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٦٠ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ، ص٥٧٣ .

(٤) أبجرد : تقع في فارس ، ينظر : ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ص١٥٧ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٦٠ .

(٦) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢١٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٦٠ .

وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ وأن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين[1] ، وهكذا تحصّل معاوية بن أبي سفيان على الخلافة لنفسه ، وصارت له السيادة على جميع الأمصار الإسلامية ، وسمي العام الذي تنازل فيه الإمام الحسن عليه السلام عن الخلافة لمعاوية بعام الجماعة ، لاجتماع المسلمين على خليفة واحد ، وهو عام قيام الدولة الأموية سنة (٤١هـ/ ٦٦١م) والتي استمرت حتى سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)[2] .

سادساً. انتقال عاصمة الدولة الإسلامية من الكوفة إلى دمشق :

بعد تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن الخلافة إلى معاوية بدء عهد جديد من تاريخ الدولة العربية الإسلامية هو عصر الخلافة الأموية[3] ، وقد تطلبت ظروف الدولة الجديدة أن تنتقل عاصمة الخلافة إلى الشام ، فأصبحت دمشق مركزاً للخلافة الأموية ، وكان من الطبيعي أن يعمل معاوية على نقل مركز الخلافة إلى دمشق ، لأنه قضى فيها حقبة طويلة تقرب من عشرين عاماً والياً على الشام ، اكتسب خلالها خبرات واسعة في شؤون الإدارة والسياسة والحرب وتعود على أهلها وطبيعة الحياة فيها[4] ، فضلاً عن ذلك أن الفترة التي قضاها معاوية والياً على بلاد الشام قد أفادته كثيراً في تفهم عقلية القبائل التي كان جلها من القبائل اليمانية ، فقد ارتبطت القبائل اليمانية بالبيت الأموي من خلال علاقة المصاهرة ، فقد تزوج الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه من نائلة بنت

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢١٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٦٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٧ .

(٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ص١٠٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٢٤ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٣ ، ص٤٣-٤٤ .

(٤) احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي ، ص٢٢-٢٣ .

الفرافصة الكلبية[١] ، ثم أن معاوية هو الآخر لم يتردد في تجديد تلك العلاقة من خلال زواجه من ميسون بنت بحدل الكلبي[٢] ، وكان لهذا الارتباط أثر كبير في الأحداث السياسية من خلال تأييدها ومساندتها لمعاوية وللدولة الأموية[٣].

ولما كانت دمشق عاصمة الدولة ومركز إدارتها ، فإن هذا يحتم أن تتواجد فيها الدواوين المركزية والتنظيمات الإدارية ، فضلاً عن كونها مقراً للقيادة المشرفة على شؤون الدولة وإدارتها[٤] ، واستمرت دمشق عاصمة للأمويين حتى خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، فكان من الأشياء التي فعلها هي نقل العاصمة من دمشق إلى مدينة حران الواقعة في الجزيرة الفراتية ، ويبدو أن مروان قد نقل مركز الخلافة إلى حران لأنها كانت تمثل مركز القبائل القيسية فهو لم يكن يثق بمن في الشام ، إنما كانت ثقته محصورة بمساعديه وقادته الذين عرفهم وتعامل معهم لسنوات طويلة خلال ولايته على الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان ، غير أن هذا التصرف كانت عواقبه وخيمة فقد خسر تأييد أهل الشام لاسيما القبائل اليمانية وهم أنصار الأمويين الأساسيين[٥] .

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٤ ، ص٣٧ ؛ كنعان ، الخلافة الأموية ، ص٧٨ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧٠ ، ص١٣٠ .

(٣) كنعان ، الخلافة الأموية ، ص٧٩ .

(٤) الكبيسي ، عامر ، الإدارة العربية الإسلامية فكراً وتطبيقاً ، (بغداد – ١٩٩٤م) ، ص١٦٠-١٦١ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٣٧ ؛ العش ، يوسف ، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان ، ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٨٥م) ، ص٣٠٨-٣٠٩ .

سابعاً. أشهر الولاة في خلافة معاوية بن أبي سفيان :

لاشك أن ثمة عوامل قد ساعدت على إرساء وإقامة دعائم الدولة الأموية ، منها وقوف بعض القادة إلى جانب معاوية الذين اعتمد عليهم في تذليل الصعاب ، فقد كان عمرو بن العاص بن وائل السهمي ساعده الأيمن وعضده الأقوى[١] ، فهو الذي أشار على معاوية يوم صفين بالتحكيم[٢] ، واستطاع أن يضم مصر الغنية بخراجها إلى إدارة معاوية سنة (٣٨هـ/ ٦٥٨م)[٣] ثم أقره معاوية والياً عليها وأصبح له السلطان المطلق في إدارة هذه البلاد ، وقد نجح في إدارة هذه الولاية الكبيرة وأن يوجه منها حملات عسكرية نحو شمال أفريقيا ، وضل والياً عليها حتى وفاته سنة (٤٣هـ/ ٦٦٣م)[٤] .

ومن الشخصيات التي وقفت إلى جانب معاوية المغيرة بن شعبة الثقفي أصله من الطائف صحابي أسلم عام الخندق[٥] ، كان من دهاة العرب وله ماضٍ حافل في خدمة الإسلام ، فقد اشترك في حروب التحرير في العراق وبلاد الشام حتى ذهبت إحدى عينيه في معركة اليرموك ، فضلاً عن اشتراكه في فتوح فارس[٦] ، وقد ولاه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على البصرة بعد عتبة بن

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٣٤٢ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١١٨٨ ؛ حسن ، ابراهيم حسن ، تاريخ عمرو بن العاص ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة – ١٩٩٦م) ، ص٢٦٧-٢٦٨ .

(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١١٨٨ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٢٣٢.

(٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٤٢٥ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٣٤٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٢ ، ص٤٢٥.

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢١٤ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٤٤٥ .

(٦) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٤٤٥ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٤٧٢.

غزوان ، وفي سنة (٢١هـ/ ٦٤١م) عينه والياً على الكوفة واستمر في ولايتها حتى وفاة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ[١] .

وهكذا فقد كان المغيرة بن شعبة مطلع على أحوال أهل العراق ، وفي مقابل ذلك فقد عرف معاوية كيف يستغل مواهب هذا الرجل ذو الدهاء السياسي على الرغم من اعتزاله الفتنة التي عصفت في خلافة عثمان بن عفان ﷺ[٢] .

ولعل أول الخدمات التي قدمها المغيرة بن شعبة لمعاوية حينما توجه على رأس وفد إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام ، ثم خرجوا من عنده وهم يقولون : " إن الله قد حقن بابن رسول الله الدماء ، وسكن به الفتنة وأجاب إلى الصلح "[٣] .

وبعد مبايعة معاوية بالخلافة عينه والياً على الكوفة سنة (٤١هـ/ ٦٦١م) ، واستطاع أثناء ولايته أن يهدأ الكوفة ويضمن طاعتها لمعاوية بأقل ما يمكن من الضحايا والدماء ، فكان بذلك من أحسن الولاة الذين تولوا الكوفة ، فهو على وصف الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م):" أحب العافية ، وأحسن في الناس السيرة "[٤] ، ولم يخف أهل الكوفة عنه عواطفهم بل اظهروا حماسهم وتعاونهم في قمع حركات الخوارج بسبب رضاهم عن ولايته وإتباعه سياسة الاعتدال ، وتجنبه الشدة مع المعارضين طالما لم ينتقلوا من مرحلة الكلام إلى

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص١٢ ؛ ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٨ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٤٤٥ .
(٢) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٤٧٢.
(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢١٥ .
(٤) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٧٤ .

مرحلة الفعل[١] ، توفى المغيرة بن شعبة سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م) بعد إصابته بمرض الطاعون[٢] .

ومن الشخصيات الأخرى التي حظيت باهتمام معاوية بن أبي سفيان شخصية زياد بن أبيه ، ولد في مدينة الطائف في السنة الأولى للهجرة[٣] ، ليست له صحبة ولا رواية عن رسول الله ﷺ[٤] ، وقد اختلف في اسم أبيه ، وكان يقال له : زياد بن سمية نسبة إلى أمه سمية[٥] .

كان زياد يجيد الكتابة والحساب لذا عمل كاتباً لعتبة بن غزوان ، ثم عمل كاتباً لأبي موسى الأشعري أيام أمرته على البصرة[٦] ، وكان أبو موسى الأشعري إذا غاب عن المدينة استخلف زياد ، فلما بلغ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " يستخلف أبو موسى من لا أعرفه "[٧] ، فطلب باستدعائه ليشاهده ، فلما قدم عليه سأله الخليفة عن أمر المسلمين وعن الأوضاع العسكرية في تلك الجبهة ، فصور له الموقف بكل دقة ووضوح ، فقال له الخليفة: هل تستطيع أن تقوم بالناس بمثل ما كلمتني ، فأجابه زياد : والله ما على الأرض شخص أهيب في صدري منك ، فكيف لا أقوى على هذا في

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٩٧ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٤٧٢.
(٢) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٤٣٩ .
(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٤٦ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٥٢٣ .
(٤) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٥٢٣ .
(٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص١١٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤١٤ .
(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢١٩-٢٢١ .
(٧) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، (بيروت – ٢٠٠٠م) ، ج١٥ ، ص٨ .

غيرك[١] فسمح له الخليفة أن يخطب في الناس موضحاً لهم حقيقة ما يدور في تلك الجبهة ، وقد أعجب الناس بفصاحته ولباقته وحسن كلامه ، وكان في ذلك المجلس أبو سفيان فاعترف أمام بعض الصحابة بأن زياد هو ابنه[٢] .

كان زياد يعد من الدهاة ويتمتع بقابليات كبيرة أهلته أن يتولى عدد من المهام الإدارية ، ففي خلافة الإمام علي عليه السلام تم تعيين عبد الله بن عباس والياً على البصرة ، وجعل زياد على خراجها وبيت المال فيها[٣] ، ثم بعد ذلك عينه والياً على فارس وكرمان حربها وخراجها ، فاخذ قلاعها وتمكن منها[٤] .

هذا ولم ينجح معاوية بن أبي سفيان في استمالة زياد إلى جانبه في صراعه مع الخليفة علي عليه السلام ، فقد كتب له كتاباً يهدده ويلمح له بأبيه أبو سفيان ويقول له : أنت أخي ، غير أن زياد لم يلتفت إليه ورد عليه رداً عنيفاً[٥] .

بعد استشهاد الخليفة علي عليه السلام تحصن زياد بقلعة مدينة اصطخر يقال لها : قلعة زياد[٦] ، وهنا بدأت محاولات معاوية من جديد في محاولة إقناع زياد إلى الدخول في طاعته ، ولكن زياد امتنع عن ذلك ، وضل موالياً للإمام علي عليه السلام بعد استشهاده متحدياً معاوية بن أبي سفيان ، حتى كانت محاولة معاوية الأخيرة على يد المغيرة بن شعبة الذي كان صديقاً لزياد ، ونجح في

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٢٠ .
(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج١ ، ص١٦٤ .
(٣) ابن عساكر ، تهذيب التاريخ الكبير ، نشر : عبد القادر بدران ، روضة الشام ، (دمشق – ١٣٣٢هـ) ، ج٥ ، ص٤٠٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٤٠٨ .
(٥) ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٦٦م) ، ص١٠٩ .
(٦) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج١ ، ص١٦٥ .

إقناعه بالشخوص إلى معاوية[١] ، فلما قدم زياد الى الشام اعترف له معاوية بأخوتهما ثم قام بألحاقه بنسبه سنة (٤٤هـ/ ٦٦٤م) ، ومن ذلك الوقت أصبح يسمى زياد بن أبي سفيان ، وصار يكتب على كتبه الرسمية من زياد بن أبي سفيان[٢] ، وفي سنة (٤٥هـ/ ٦٦٥م) قام معاوية بتعينه والياً على البصرة[٣] ، وكانت أوضاعها سيئة للغاية ، فقد انتشرت فيها حالة السلب والنهب والقتل في رابعة النهار[٤] ، فلما دخلها زياد خطب في الناس خطبته المعروفة بالبتراء ، لأنه لم يبدأ بحمد الله وقد أعلن زياد من خلال هذه الخطبة عن سياسته الإدارية ، ثم عدد مساوئ أهل البصرة وتوعدهم أنه سوف يأخذ بالظنة ويعاقب بالشبهة[٥]وقد أقترن قوله هذا بالفعل ، مما جعل الناس تخافه في سلطانه خوفاً شديداً[٦].

انعكست سياسة زياد تلك في ضبط شؤون البصرة وإرساء قواعد الاستقرار فيها ، ونجح في القضاء على الفوضى والاضطراب وإقرار الأمن حتى أمن الناس بعضهم بعضاً ، فكان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٢١.
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٢١-٢٢٢ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص١١٠ .
(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٢١.
(٤) كان معاوية بن أبي سفيان قد استعمل على البصرة عبد الله بن عامر ، وكان رجلاً ليناً كريماً لا يأخذ على أيدي السفهاء ، ففسدت البصرة بسبب ذلك ، ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٩٥-٢٩٦ ؛ طهبوب ، صلاح ، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر الأموي ، دار أسامة ، (عمان – ٢٠٠٩م) ، ص١١-١٢ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٢١ .
(٦) طهبوب ، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر الأموي ، ص١٢ .

له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه ، وأصبحت المرأة تبيت في بيتها فلا تغلق عليها بابها ، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحد من قبله[١] .

بعد وفاة المغيرة بن شعبة سنة (٥١هـ/ ٦٧١م) أضيفت ولاية الكوفة إلى زياد ، ثم جمع له معاوية الهند والبحرين وعُمان ، وبذلك أصبح زياد مسؤولاً عما يعادل نصف إقاليم الدولة العربية الإسلامية ، فكان يقيم في البصرة ستة أشهر وفي الكوفة ستة أشهر[٢] ، وفي أثناء أمرته على العراق قسم البصرة إلى خمسة أقسام يضم كل خمس عدد من القبائل ، كما جعل الكوفة أرباعاً يضم كل ربع قبيلة أو أكثر ، وكل ذلك من أجل تسهيل إدارتها على الدولة ، ومن جهة أخرى فإن هذا التقسيم ساعد على تخفيف حدة العصبية القبلية وإضعاف سلطة رؤساء القبائل[٣] .

ومن جانب آخر فقد قام زياد بنقل خمسين ألف من البصرة والكوفة بعائلاتهم إلى خراسان[٤] ، ولعل ذلك راجع إلى رغبة زياد في التخفيف من حدة التوتر السياسي في العراق ، ومن جهة أخرى من أجل دعم حركة الاستقرار في تلك البلاد البعيدة ، وتصبح خراسان قاعدة ثابتة للعرب وجعلها مركزاً ومنطلقاً لحركات الفتوح الإسلامية في بلاد ما وراء النهر[٥] ، لاسيما وأنه

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٣٢ ؛ ابن أعثم ، الفتوح ، ج٤ ، ص٣١٠ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص١٩.

(٢) ابن أعثم ، الفتوح ، ج٤ ، ص٣٠٤ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص٢٠ .

(٣) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص٢٠ ؛ العلي ، صالح احمد ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، ط٢ ، دار الطليعة ، (بيروت – ١٩٦٩م) ، ص٥٣ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٢٦ .

(٥) العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ، ص٤٤ .

استطاع أن يحكم أمن الطرق بينه وبين خراسان حتى كان يقول في ذلك : " لو ضاع حبل بيني وبين خراسان علمت من أخذه "[1] ، هذا واستمر زياد أميراً على العراق حتى وفاته سنة (٥٣هـ/ ٦٧٢م)[2] .

ثامناً. تحول الخلافة إلى نظام الوراثة :

في العصر الأموي انقلب نظام الخلافة الى حكم ملكي وراثي، وظهر منصب ولاية العهد[3] ، وبما أن الولاية في اللغة تحمل معنى الإمارة أو السلطان ، والعهد يحمل معنى الوصية أو الميثاق[4] ، فقد ظهر مصطلح ولي العهد ليدل على الشخص الذي يخلف الحاكم ويرث ملكه ، أو ينوب عنه بعد وفاته في إدارة شؤون الدولة ، وظهر هذا النظام على يد معاوية بن أبي سفيان الذي جعل نظام الحكم في الدولة العربية الإسلامية ابتداءً من عهده وراثياً بعد أن أعطى ولاية العهد من بعده إلى ابنه يزيد ، ومن ثم سار الخلفاء من بعده على هذا النهج ، حتى أصبح الخليفة يعهد لمن يرغب في أن يتولى الحكم من بعده سواء من أبنائه أو أقاربه بولاية العهد على أن يستلم هذا الشخص المستخلف مقاليد الحكم بعد وفاة الخليفة ومبايعته بيعة الخلافة[5] .

(١) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص١٩ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢١٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٦٤٧ .

(٣) فروخ ، عمر ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٩٨٣م) ، ص١٩٨ .

(٤) ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، (القاهرة – بلات) ، ج٢ ، ص٢٥٠ .

(٥) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ) ، الأحكام السلطانية ، دار الحديث ، (القاهرة – بلات) ، ص٣٠-٣١ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٩ ، ص٥ .

والواقع أن هذا الإجراء الذي قام به معاوية لم يكن معروفاً أيام الخلافة الراشدة أي توريث الخلافة ، لأن النظام السياسي الذي كان سائداً آنذاك هو نظام الشورى[١] ، وعلى الرغم من التحول في نظام الحكم يعد سابقة سياسية حينما استحدث معاوية نظام ولاية العهد وسار عليها فيما بعد الخلفاء الأمويون ، ومن بعدهم الخلفاء العباسيون ، إلا أن هذا النظام لم يكن غريباً بل كان معروفاً عند الأمم والشعوب غير العربية كالفرس والبيزنطيين[٢]وعند العرب قبل الإسلام في ممالك اليمن والتجمعات القبلية في الجزيرة العربية[٣] .

تشير الكثير من الروايات الى أن فكرة ولاية العهد بدأت سنة (٤٩هـ/ ٦٦٩م) ، وإن المغيرة بن شعبة والي الكوفة هو من أشار على معاوية بن أبي سفيان بأخذ البيعة لابنه يزيد وجعله ولياً للعهد[٤] ، حقناً للدماء وجمعاً للكلمة ، فسأله معاوية ومن لي بهذا؟ ، فقال المغيرة : أكفيك أهل الكوفة ، ويكفيك زياد أهل البصرة ، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك[٥] .

إلا أن المتتبع للحوادث التاريخية بإمكانه أن يستنتج أن معاوية لم يكن بحاجة إلى من يشير عليه لاتخاذ قرار كهذا ، فقد كان معاوية يمهد لهذا الأمر منذ أن استقر بالخلافة ، حيث سلك سياسة تقوم على تحقيق أهداف أولها حصر الخلافة بالبيت الأموي لمنع الاختلاف المتوقع حدوثه بعد وفاته ، فضلاً عن محاولته تلافي المتاعب والصعوبات الناجمة عن الصراع على الخلافة في

(١) الكبيسي ، الإدارة العربية الإسلامية ، ص١٥٦ .
(٢) علي ، المفصل ، ج٤ ، ص٢٧٠ ؛ كنعان ، الخلافة الأموية ، ص١٣٧ .
(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت–بلات) ، ص٢٠٩.
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٢٢٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٥٠٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٦ ، ص٢٧٢ .
(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٩ .

المستقبل[١] ، ويبدو أن معاوية كان يتحسس ذلك الصراع الـذي ان لم يظهـر في عهده فإنه سوف يظهر بعد وفاته لعلمه أن بنو أمية لا يمكن أن يرضـوا بتسـليم الحكم إلى غيرهم[٢] ، وأشار ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) إلى تلك الحالـة معللاً إيثار معاوية لابنه يزيد بالعهـد دون سـواه إنمـا هـو مراعـاة المصـلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم عصابة قريش ، وأهـل الملـة أجمـع ، وأهل الغلب منهم ، فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بهـا ، وعـدل عـن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء[٣] .

وهكذا فقد سعى معاوية إلى الإعـداد لحصـر الخلافـة في البيـت الأمـوي وجعلها وراثية ، فلجأ إلى اختيار ابنه يزيد وأثره بالعهد على غيره ممن يظن أنهم أولى منه بهـذا الأمـر[٤] ، مسـتغلاً في ذلـك القـوى المؤيـدة للحكـم الأمـوي ، واستعان بقبيلة بني كلب في الترويج لبيعة يزيد وتذليل العقبـات الـتي يمكـن أن تعترضه ، لاسيما وأن شخصية يزيد كانت توصف بأنها شخصية متهاونة تحـب اللهو واللعب والصيد ، وهذه العادات لم تكن محبذة ، لأن التوجـه آنـذاك كـان نحو الدين[٥] ، لذلك حرص معاوية على إعداد شخصية يزيد وأخذ يعمل على إظهاره بمظهر الرجل الكفء القادر على تحمل المسؤولية ، فقـام بإرسـاله علـى

(١) ذوقان ، وجيه لطفي طالب ، ولاية العهد في العصر الأموي ٤١-١٣٢هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح ، (فلسطين – ٢٠٠٥م) ، ص٥٣ .
(٢) كنعان ، الخلافة الأموية ، ص١٣٧ .
(٣) المقدمة ، ص٢١٠ .
(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٩٩ .
(٥) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٩٦ .

رأس قوة عسكرية إلى بلاد البيزنطيين[١] ، ثم كانت الخطوة الثانية قيام معاوية بعمل استطلاعي شمل معظم أقاليم الدولة من أجل تهيئة الأجواء وتمهيد الأذهان بقبول فكرة ولاية العهد من دون أن يقرر أخذ البيعة من أحد[٢] ، فكتب إلى أمراء الأمصار يستطلع رأيهم في أمر البيعة ، وكان زياد بن أبيه أول من كتب إليه بذلك ، غير أن زياد نصحه بالتريث وعدم التعجل بهذا الأمر[٣] .

ثم كتب معاوية إلى مروان بن الحكم عامله على الحجاز فقام مروان بإخبار الناس بما يريده معاوية ، وهنا ظهرت ردة فعل أهل المدينة ، حيث رأى عبد الرحمن بن أبي بكر إن ما يقوم به معاوية من جعل الخلافة وراثية إنما هو خروج عن سياسية أسلافه ، معبراً عن ذلك بالقول : "تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل"[٤] ، أما الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر فقد اعتبروا أن ما يقوم به معاوية باطل[٥] ، معللين ذلك : إذا كانت الخلافة وراثية فإن لهم الحق فيها أكثر من يزيد ، أما إذا كانت بالاختيار لأفضل المرشحين فإن يزيد بعيد عنها لعدم توفر أي من الصفات المطلوبة فيه[٦] ، أما أهل مصر فقد كتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري عامله هناك يعلمه بأخذ البيعة ليزيد فأجابه إلى ذلك[٧] .

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٩٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٥٠٨ .
(٢) ابن عبد ربه ، أبو عمر احمد بن محمد (ت٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ، تحقيق : احمد أمين وآخرون ، (القاهرة – ١٩٥٣هـ) ، ج٢ ، ص٣٠٢ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٠٢ .
(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٥٠٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٥٠٧ .
(٦) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٨هـ) ، ص٩٥ .
(٧) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق : شارلز توري ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، (بلام – بلات) ، ص١٣٩ .

وهكذا اتضحت حقيقة المواقف وأصبحت الصورة واضحة لدى معاوية في مدى الاستجابة لهذه الفكرة من قبل أقاليم الدولة[١] ، فكان الإجراء التالي عقد مؤتمر في دمشق سنة (٥٦هـ/ ٦٧٥م) ، حيث كتب إلى عماله بإيفاد الوفود لأخذ البيعة ليزيد ، فبايعته وفود الشام والعراق ومصر ، إلا المدينة التي تعد المكان الحقيقي للبيعة[٢] ، فقد استنكر أهل المدينة وأبناء الصحابة خروج معاوية على التقاليد الإسلامية ومبدأ الشورى ، ونظراً لأهمية بيعة أهل المدينة فقد سعى معاوية للحصول على بيعتهم بكل الوسائل المتاحة له ، فقد كلف عمرو بن سعيد بن العاص عامله على الحجاز بالدعوة إلى يزيد ، غير أن المعارضين من أهل المدينة أنكروا عليه أن يتولى عليهم يزيد[٣] ، مما اضطر معاوية للخروج بنفسه إلى المدينة لمقابلة أبناء الصحابة وإقناعهم ببيعة يزيد[٤] ، فأبوا عليه ذلك ورفضوا طلبه[٥] ، ويقال : إن معاوية استطاع بالحنكة والشدة من حمل المعارضين على الاعتراف بولاية العهد لابنه يزيد باستثناء الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير[٦] ، أما حقيقة الأمر فإن هؤلاء النفر المعارضين وهم كلاً من الإمام الحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير ، لم يبايعوا ليزيد بولاية العهد[٧] .

(١) كنعان ، الخلافة الأموية ، ص١٣٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٠٣ ؛ فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة : محمد عبد الهادي وحسين مؤنس ، (القاهرة – ١٩٦٨م) ، ص١٣٥ .

(٣) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص١٨٢ ؛ ذوقان ، ولاية العهد ، ص٥٥ .

(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٠٢-٢٠٤ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٦٣ .

(٦) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص١٨٢-١٩٢ .

(٧) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص١٦٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٦٣.

وخلاصة القول إن معاوية بن أبي سفيان كان أول من أستحدث ولاية العهد وجعل الخلافة وراثية ، واستمر العمل بهذا النظام في الدولة الأموية ، ومن بعدهم سار الخلفاء العباسيون والفاطميون على النهج نفسه في توريث العهد وتولية أكثر من واحد من أبنائهم وأقاربهم ، وحذا حذوهم أمراء الدويلات الإسلامية في المشرق والمغرب[١] .

تاسعاً. الخلفاء الأمويون :

أ. خلفاء الفرع السفياني (٤١- ٦٤هـ) :

١. معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٦٠هـ/٦٦٠-٦٧٩م) :

هو معاوية بن أبي سفيان (صخر) بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي[٢] ، ولد بمكة قبل البعثة بحوالي خمس سنوات[٣]أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي[٤] ، أسلم هو وأبوه وأمه يوم فتح مكة سنة (٨هـ/ ٦٢٩م) ، وله من العمر ثلاث وعشرين سنة[٥] .

(١) احمد وآخرون ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي ، ص٢١ ؛ الجميلي ، رشيد عبد الله ، الدولة العربية الإسلامية الخلافة الأموية ٤١-١٣٢هـ ، (بغداد-١٩٩٩م) ، ص٥٩ .

(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٤١٦ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص١١٩-١٢٠ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت٨٥٢هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – بلات) ، ج٦ ، ص١٢٠.

(٤) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٤١٦ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٤٠٦ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٤١٦ .

يعد معاوية مؤسس الدولة الأموية ، ومن أطول حكام المسلمين عهداً فقد قضى في ولايته على الشام قرابة عشرين سنة ، وفي الخلافة عشرين سنة[١]، ولاشك أن لشخصية معاوية وما كان يتمتع به من مؤهلات سياسية ، فضلاً عن الظروف المحيطة به والتفاف أهل الشام حوله قد ساعدته في اجتياز الكثير من العقبات التي كانت في طريقه للوصول إلى الخلافة ، وبهذا الصدد ذكر اليعقوبي (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م):" إن معاوية كان له حلم ودهاء وجود بالمال على المداراة "[٢] ، ووصفه ابن الطقطقي (ت٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م) : " بأنه جيد السياسة حسن التدبير لأمور الدنيا ... يحلم في موضع الحلم ويشتد في موضع الشدة ، إلا أن الحلم كان يغلب عليه ... محباً للرياسة مشغوفاً بها "[٣] ، ومما أثر عن معاوية أنه كان يقول : " لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، قيل : وكيف ذلك؟، قال : كنت إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتها "[٤] .

وهكذا يبدو أن لشخصية معاوية الأثر الكبير في قيام وإرساء قواعد الدولة ، فضلاً عن ابتكاره أشياء في مؤسسات الدولة الإدارية والسياسية لم يسبقه أحد إليها منها :

(١) السيوطي ، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء ، دار الفجر ، (القاهرة – ٢٠٠٤م) ، ص١٥٦ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٢٨ .

(٣) الفخري في الآداب السلطانية ، ص١١٠ .

(٤) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص٦٢ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٢٨.

انه أول من أتخذ الحرس فكانوا يمشون بين يديه بالحراب[١] .

١. وهو أول من أتخذ المقصورة التي يصلى بها في الجامع منفرداً عن الناس وذلك لخوفه مما جرى لأمير المؤمنين علي عليه السلام على يد أحد الخوارج اثناء صلاته في مسجد الكوفة ، فصار يصلي منفرداً في مقصورة ، فاذا سجد قام الحرس على رأسه بالسيوف ، وكانت تلك المقصورة لا يدخلها الا ثقاته وحرسه[٢] .

٢. وهو أول من وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة[٣] .

٣. وانه أول من ابتكر ديوان الخاتم لمنع التزوير[٤] .

٤. وهو أول من أتخذ المئذنة ، فأصبحت عنصراً معمارياً اساسيا من عناصر الجامع[٥].

٥. ومعاوية أول من أستحدث نظام ولاية العهد[٦] .

٢. يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م) :

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ولد سنة خمس أو ست وعشرين للهجرة في أثناء ولاية والده على بلاد الشام في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[٧] ، أمه ميسون بنت بحدل الكلبية ، وهي امرأة بدوية تزوجها معاوية قبل أن يتولى

(١) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص١١٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص١١٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١١٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص١١٢ .
(٥) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص٣٣٣ .
(٦) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٩٩ .
(٧) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٥ ، ص١٦٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٧٣٠ .

الخلافة[١] ، ولكنها لم تحتمل حياة الحضر ، إنما كانت تحن إلى حياة الخيام ، فأعادها معاوية إلى أهلها في البادية ومعها ابنها يزيد ، وهكذا نشأ يزيد في البادية فأجاد اللغة والشعر ، وجهل السياسة والإدارة ، وكان مولعاً باللهو والصيد واللعب ، ولم يكن له دهاء أبيه ولا مقدرته السياسية والإدارية[٢] .

تولى يزيد الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م) ، وكان له من العمر خمس وثلاثون سنة ، وثبت عمال أبيه على الأمصار الإسلامية[٣] ، وطلب من الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة أخذ البيعة له من أهل المدينة وفي مقدمتهم الإمام الحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن الزبير ، وكانا قد امتنعا عن مبايعته بعد وفاة أبيه ، فاستدعى الوليد بن عتبة الإمام الحسين عليه السلام وطلب منه مبايعة يزيد ، فرفض الإمام الحسين عليه السلام ذلك وقال له : "إن مثلي لا يعطي بيعته سراً ... فإذا جمعت الناس لذلك ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً"[٤] .

حكم يزيد بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر[٥] ، ولم يبارك الله في عمره ، فقد مات وعمره آنذاك ثمان وثلاثون سنة[٦] ، ولم يهنأ بالخلافة يوماً ، فقد ثارت في وجهه الأحداث فأخذ يعالجها ، فكان العلاج أقسى من الداء ،

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص١٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٥.
(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧٠ ، ص٣٣ ؛ شلبي ، احمد ، الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها ، (القاهرة – ١٩٨٤م) ، ص٤٥ .
(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٥ ، ص٣٩٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٧.
(٤) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٢٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٤٠ .
(٥) الكتبي ، محمد بن شاكر بن احمد (ت٧٦٤هـ) ، فوات الوفيات ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٧٣م) ، ج٤ ، ص٣٢٨ .
(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٩٩ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٤ ، ص٣٢٨ .

فقد ثار في وجهه الإمام الحسين بن علي عليه السلام ، وثارت عليه المدينة فكانت موقعة الحرة ، وثار عليه عبد الله بن الزبير بمكة[١] .

٣. معاوية بن يزيد (٦٤هـ/٦٨٣م) :

هو معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، المعروف باسم معاوية الثاني ، ولد سنة (٤٣هـ/ ٦٦٣م) ، ونشأ في دار الخلافة[٢] ، استخلف بعهد من أبيه عند موته سنة أربع وستين للهجرة[٣] ، وكان شاباً صالحاً ديناً لم تطل مدة خلافته ، فقد كان مريضاً فاستمر مريضاً إلى أن مات[٤] ، ولم يخرج إلى الباب ولا فعل شيئاً من الأمور ولا صلى بالناس[٥] ، وكانت مدة خلافته على الأكثر أربعين يوماً ، وقيل : شهرين ، وقيل : ثلاثة أشهر ، ومات وله من العمر إحدى وعشرين سنة ، وقيل : عشرون سنة[٦] .

ويذكر أن معاوية بن يزيد في آخر إمارته أمر فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " أما بعد .. فاني ضعفت عن أمركم ، فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده ، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم ، فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أجبتم "[٧] ، ولما ثقل المرض بمعاوية الثاني وأخذ يحتضر قيل له : لو عهدت إلى

(١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٦٠ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص٥٢-٥٣ .
(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص١٢٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٧٢١ .
(٣) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٣٨٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٧٢١.
(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٩ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٦٨ .
(٥) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٦٨ .
(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص١٢٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٩ ، ص٢٠٩ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٦٨ .
(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٨ .

رجل عهد أو استخلفت خليفة ، فقال : " والله ما نفعتني حياً فأتقلدها ميتاً ، وإن كان خيراً ، فقد استكثر منه إلى أبي سفيان ، ولا تذهب بنو أمية بحلاوتها وأتقلد مرارتها "[1] .

وهكذا فقد تنازل معاوية الثاني عن الخلافة بسبب مرضه وانزوى في بيته حتى مات ، وامتنع أن يعهد أو يستخلف لأحد من أقاربه بالخلافة ، وترك الأمر شورى بين المسلمين ، وبوفاته انطوت صفحة الفرع السفياني ، لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من تاريخ الخلافة الأموية ليتولى زمام أمورها خلفاء الفرع المرواني .

ب. خلفاء الفرع المرواني (٦٤- ١٣٢هـ) :

٤. مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م) :

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، ولد بمكة سنة اثنتين للهجرة ، وكان ابن ثمان سنوات حينما توفي رسول الله ﷺ[2] ، وكان كاتباً لعثمان بن عفان ﷺ في خلافته ، ولي أمر المدينة غير مرة لمعاوية بن أبي سفيان[3].

ولما كان معاوية الثاني كما مر معنا من قبل قد مات دون أن ينصب خلفاً له ، أو يعهد لأحد من بعده بالأمر ، فقد حدث فراغ سياسي وأصبح منصب

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦-٢٧ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص١٣٩ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، تحقيق : روحية النحاس وآخرون ، دار الفكر ، (دمشق – بلات) ، ج٢ ، ص٧٠٦ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٢٨ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص١٣٩ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ج٢ ، ص٧٠٦ .

الخلافة شاغراً ، ووقع الاختلاف وبرزت العصبيات القبلية بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، فقد ساءت القبائل الشمالية لاسيما القيسية وبطونها حكم بني أمية الذين اعتمدوا على اليمنيين ، لذلك لجأت القبائل الشمالية إلى الاعتراف بخلافة عبد الله بن الزبير ، وأما القبائل الجنوبية لاسيما قبيلة بني كلب فقد أصرت على بقاء الخلافة في بني أمية[١] .

أما في الحجاز فقد استوثق الأمر هناك لعبد الله بن الزبير ، اذ بايعه أهل الحجاز ومصر وخراسان وقسم كبير من أهل العراق وحمص وقنسرين وفلسطين كما بايعته القيسية بزعامة الضحاك بن قيس الفهري[٢] ، وهناك رواية تذهب بالقول : إن مروان بن الحكم من بلاد الشام أراد أن يرحل إلى الحجاز لمبايعة عبد الله بن الزبير بالخلافة ، غير أن عبيد الله بن زياد أقنعه بالعدول عن موقفه وقال له : " استحييت لك ما تريد أنت كبير قريش وسيدها تصنع ما تصنعه "[٣] .

وفي وسط هذه الانقسامات اجتمع بنو أمية في الجابية سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) ، وتشاوروا فيمن يتولى أمر الخلافة ، لكنهم انقسموا على أنفسهم وأصبح هناك أكثر من مرشح لمنصب الخلافة ، فمنهم من أرادها لخالد بن يزيد بن معاوية وفي مقدمتهم حسان بن بحدل الكلبي أمير الأردن ، وفريق يريد مبايعة عمرو بن سعيد بن العاص ، وفريق يؤيد ترشيح مروان بن الحكم ، وقد مثل هذا الفريق كل من عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير السكوني وروح

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣١ ؛ حسن ، التاريخ الإسلامي ، (القاهرة – بلات) ، ص٢٨٤.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٤٥-١٤٨ ؛ الجميلي ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٧٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣٠ ؛ مسكوية ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص١٠١ .

بن زنباع الجذامي ، وقد أسفر مؤتمر الجابية عن ترشيح مروان بن الحكم الذي كان له نفوذ كبير في بني أمية وأكبرهم سناً وصاحب الخبرة الواسعة لمنصب الخلافة[١] ، كما تم الاتفاق على أن يكون خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد وليا عهد لمروان بن الحكم ، وبذلك تمت مبايعة مروان بالخلافة سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م)[٢] .

أما القبائل الشمالية فقد امتنعت عن حضور المؤتمر ورفضت مبايعة مروان بن الحكم ، وأعلنوا الطاعة لعبد الله بن الزبير بعد مبايعته بالخلافة ، وأصبح الضحاك بن قيس والياً لدمشق من قبل عبد الله بن الزبير[٣] ، بعد ذلك سار اليهم مروان بن الحكم فالتقى الطرفان في مرج راهط على بعد أميال من دمشق سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) ، وأسفرت المعركة التي استمرت قرابة عشرين يوماً عن انتصار مروان بن الحكم بعد مقتل الضحاك بن قيس[٤] ، وهكذا غلب مروان على الشام ثم سار إلى مصر سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م) وانتزعها من طاعة عبد الله بن الزبير ، وولى عليها ابنه عبد العزيز ثم عاد إلى الشام[٥] ، ومن الشام أخذ

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٣٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣١.

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٥٨ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص١٣٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٧٠٧ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص١٣٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣٤ .

(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٦١-١٦٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣٣ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٥٥-٢٥٨ .

يعمل على استعادة الحجاز والعراق ، لكن المنية لم تمهله فقد مات مروان بن الحكم بعد تسعة أشهر من خلافته سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[١] .

هذا ولم يلتزم مروان بن الحكم بمقررات مؤتمر الجابية التي نصت على أن تكون ولاية العهد لخالد بن يزيد بن معاوية ، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص فقرر جعلها لولديه عبد الملك ثم لعبد العزيز من بعده ، وقد ساعده على تنفيذ رغبته استتباب الأمور في مصر والشام ، فأرغم عمرو بن سعيد بن العاص على التنازل عن ولاية العهد ، كما أرسل إلى حسان بن بحدل وأقنعه بالتخلي عن مساندته لخالد بن يزيد بحجة حداثة سنه وعدم صلاحيته لتولي الخلافة ، فضلاً عن ذلك فقد كان مروان بن الحكم يرى أن ما تم في مؤتمر الجابية من ولاية العهد لخالد بن يزيد ومن بعده لعمرو بن سعيد كان ضرورة لحسم الخلاف الداخلي ، وقد زالت هذه الضرورة[٢] .

وهكذا انتقلت الخلافة من الفرع السفياني الى الفرع المرواني ، وتراجع دور ومكانة الفرع السفياني .

٥. عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) :

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، ولد في المدينة سنة ست وعشرين للهجرة[٣] ، كان يتمتع بشخصية قوية من الناحية السياسية والعسكرية وثقافة عالية حتى أنه كان يعد من فقهاء المدينة ومن طبقة

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص١٧٢ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص١٠٥؛ الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية ، ص٨٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦١٠ ؛ الهاشمي ، عبد المنعم ، الخلافة الأموية ، دار ابن حزم ، (بيروت – ٢٠٠٢م) ، ص١١٢ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٢٣ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٥٥ .

سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير[١] ، وشهد له أنه كان من أصحاب القراءات[٢] ، قال عنه عامر الشعبي (ت١٠٤هـ/ ٧٢٢م) : "ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه ، إلا عبد الملك بن مروان ، فاني ما ذاكرته حديث إلا زادني فيه ، ولا شعراً إلا زادني فيه"[٣] ، وهذا يدل على أن عبد الملك بن مروان كانت لديه ثقافة علمية في الفقه والحديث والشعر ، ولذلك كان يقال فقهاء المدينة أربعة : سعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير وقصيبة بن ذؤيب[٤] .

تولى عبد الملك بن مروان الخلافة في نفس يوم وفاة أبيه ، وكانت مدة حكمه طويلة امتدت لأحدى وعشرين سنة من سنة (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م)[٥] ، وكانت فترة حكمه عصيبة مليئة بالاضطرابات ، فقد تولى الخلافة والعالم الإسلامي في نزاع سياسي قلق ، وكان عليه أن يواجه تحديات كثيرة منها حركة عبد الله بن الزبير في الحجاز ، وحركة المختار في العراق ، وحركات الخوارج ، وردود الفعل الأموية مثل حركة عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق فضلاً عن التهديدات البيزنطية الخارجية[٦] ، وعلى الرغم من هذا الواقع السياسي الصعب فقد استطاع عبد الملك بن مروان أن يرد البلاد إلى الطاعة ،

(١) الشيرازي ، أبو اسحاق ابراهيم بن علي (ت٤٧٦هـ) ، طبقات الفقهاء ، تحقيق : احسان عباس دار الرائد العربي ، (بيروت – ١٩٧٠م) ، ص٦٢ .
(٢) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٩٧٢ .
(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٧ ، ص١٢٤ .
(٤) الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، ص٦٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٩٧٢ .
(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٢٣ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٥٥ .
(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٧٣-٧٤ ؛ الخضري ، محمد بك ، الدولة الأموية ، مؤسسة المختار ، (القاهرة – ٢٠٠٣م) ، ص٣٦٢ .

وأن يفرض سيطرته على كل أنحاء الدولة ، فاستحق بذلك أن يوصف بأنه المؤسس الثاني للدولة الأموية[١] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مروان بن الحكم قبيل وفاته قد عهد بالخلافة إلى ولديه عبد الملك وعبد العزيز ، ولكن عبد العزيز مات في خلافة أخيه سنة (٨٥هـ/ ٧٠٤م) ، فعهد عبد الملك بالخلافة من بعده لولديه الوليد وسليمان وكتب بذلك إلى البلدان فبايع الناس[٢] .

٦. الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) :

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ولد سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م) ، لم تكن له ولاية العهد إلا بعد أن مات عمه عبد العزيز بن مروان سنة (٨٥هـ/ ٧٠٤م) ، وله من العمر خمس وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر[٣] .

اعتلى الوليد الخلافة في وقت كان أبوه قد قضى على الأزمات والأخطار التي واجهت الدولة ، وبذلك استلم دولة موطدة الأركان قوية الدعائم[٤] ، تنعم بالهدوء والاستقرار ، وهذا ما ساعده على استئناف الفتوحات الإسلامية ، إذ فتحت الفتوحات الكبيرة في أيامه واتسعت حدود الدولة الإسلامية إلى بلاد الهند وأطراف الصين شرقاً ، وأوروبا غرباً ، وكان من أشهر

(١) شلبي ، الدولة الأموية ، ص٥٨ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤١٢ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤١٢ .
(٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص١١٨٢-١١٨٣ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الألباب ، تحقيق : احسان سعيد وزهير حميدان ، منشورات وزارة الثقافة ، (دمشق – ١٩٩١م) ، ص١٢٦ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٧٧-١٧٨ .

قادة تلك الفتوحات قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم الثقفي ومسلمة بن عبد الملك وموسى بن نصير وطارق بن زياد[١] .

والى جانب الفتوحات الإسلامية فقد شهدت خلافة الوليد ازدهاراً شمل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والعمرانية ، فقد أنشأ الدور لإيواء العجزة والمساكين وأجرى الأرزاق على العميان والمرضى ، وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً ، وخصص لهم عطاء ثابت ، وتعهد الأيتام وكفلهم ورتب لهم المؤدبين واجرى لهم الأرزاق المنتظمة ، وكان الوليد أول من أتخذ دور الضيافة بعد أن بنى البيوت والمنازل ليأوي إليها الغرباء[٢] .

وأهتم الوليد بالناحية الصحية فهو أول من أتخذ البيمارستانات (المستشفيات) للمرضى ، فأمر ببناء عدد منها لمعالجة الناس وخصص بعضها للمجذومين ورتب لهم الأرزاق ومنعهم من سؤال الناس ، وخصص بعضها لذوي الأمراض المعدية ليحول دون انتشارها في البلاد[٣] .

أما من الناحية الدينية فقد تم في عهد الوليد بناء الجامع الأموي سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م) ، وقد استعمل في بناء هذا الجامع خلقاً كثير من الصناع والمهندسين ، وأنفق عليه أموالاً كثيرة[٤] ، كما كلف عمر بن عبد العزيز بعد أن

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٢٤ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الألباب ، ص١٢٧ ؛ حسن ، التاريخ الإسلامي ، ص٣٠٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٩٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٧٠ ؛ الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية ، ص١٠٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٩٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٧٠ .

(٤) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٦ ،ص٤٩٦ ؛الصفدي ، تحفة ذوي الألباب، ص١٢٩-١٣٠.

ولاه المدينة سنة (٨٧هـ/ ٧٠٥م) بإعادة بناء المسجد النبوي وفرغ من بناء سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨م)[١] ، كذلك أمر بإعادة بناء المسجد الأقصى[٢] ، كما أمر الوليد ببناء المساجد في العديد من مدن الدولة ووضع المنائر ، وشمل القراء والفقهاء وقوام المساجد برعايته وخصص لهم عطاء ثابت[٣] .

إضافة إلى ما تقدم فقد كان الوليد ميالاً إلى العمارة فأهتم بتعبيد الطرق المؤدية إلى الحجاز ، كما أمر بحفر الآبار على طول هذه الطرق ، وأمر بإصلاح الطرق وربط المدن بشبكة من المواصلات والعناية بالزراعة وشؤون الري[٤] .

هذا وقد أراد الوليد قبيل وفاته عزل أخيه سليمان عن ولاية العهد والبيعة لابنه عبد العزيز[٥] ، ويبدو أن سبب رغبة الوليد في تغيير ولي عهده أنه لم يكن راضياً عن سياسة سليمان حينما أجار يزيد بن المهلب وأخوته بعد هروبهم من سجن الحجاج بن يوسف الثقفي وذهابهم إلى الرملة في فلسطين حيث كان يقيم سليمان بن عبد الملك هناك وهو ما يزال ولياً للعهد[٦] ، فخشي

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٢٦ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٩٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٧٠ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٧٠ ؛ ابن العبري ، غريغوريوس (ت٦٨٥هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، دار الشرق ، (بيروت – بلات) ، ص١١٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٩٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٧٠ .

(٤) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص٤٢٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٧٠ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الألباب ، ص١٣٢ ؛ الجميلي ، الدولة العربية الإسلامية ، ص١٠٠ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص١٠ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٢٠٢.

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٥٠ .

أن تكون هناك مراكز قوى جديدة للمعارضة في الأمصار الإسلامية ولائها لغير الخليفة ، ولهذا فكر بعزل سليمان من ولاية العهد[١] ، واستشار خاصته وقادته فوافقه على ذلك الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم ، وعارض عمر بن عبد العزيز على ذلك قائلاً : " إن لك ولأخيك سليمان بيعة في أعناقنا ، فكيف نخلعه ونتركك "[٢] ، والمهم في الأمر أن الوليد بن عبد الملك مرض ومات قبل أن ينفذ أمره ، فبايع الناس سليمان خليفة على المسلمين بعد وفاته[٣] .

٧. سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م) :

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ولد سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م)[٤] ، تولى أمر الخلافة سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م) وعمره يومئذ سبع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته سنتين وثمانية أشهر[٥] .

تميزت خلافة سليمان بن عبد الملك بجملة من الأمور منها تعصبه لليمانية فقد كانت أمه ولادة يمنية[٦] ، وفي الوقت نفسه استعمل الشدة مع القيسية ومع الذين وقفوا إلى جانب أخيه الوليد حين عزم على إقصائه عن ولاية العهد[٧] ،

(١) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٤٥٠ ؛ ذوقان ، ولاية العهد ، ص٦٨ .
(٢) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٧ ، ص١٥٦ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الألباب ، ص١٣٧ .
(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٢٠٢ .
(٤) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٢٩ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٧٩ .
(٥) ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد (ت٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٩٤م) ، ج٢ ، ص٤٢٠ .
(٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٤٢٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص١٧٧.
(٧) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٢٠٢ ؛ زعرور ، إبراهيم ، علي ، احمد ، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري ، منشورات جامعة دمشق ، (دمشق – ١٩٩٦م) ، ص٨١ .

ولم يكن الحجاج بن يوسف الثقفي غافلاً عن ذلك وكان محظوظاً فقد نجا من انتقام سليمان لأنه توفي قبل أن يصبح سليمان خليفة بتسعة أشهر سنة (٩٥هـ/ ٧١٣م) ، غير أن سليمان صب جام غضبه على آل الحجاج وولاته وقادته ، فقد أسند ولاية العراق إلى يزيد بن المهلب[١] ، وأمر بعزل محمد بن قاسم الثقفي عن بلاد السند ومن ثم حبسه في مدينة واسط ، وانتهى أمره أخيراً بالقتل[٢] .

أما قتيبة بن مسلم الذي كان عاملاً للحجاج على خراسان فقد خشى المصير نفسه ، فاستبق الأحداث وخلع الطاعة عن الخليفة سليمان ودعا الناس إلى ذلك فلم يوافقه أكثرهم ، ثم اختلف عليه جيشه فقتلوه سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م)[٣] .

هذا وقد شهدت خلافة سليمان جهود كبيرة في الميدان العسكري وشحن الثغور الإسلامية بالمرابطة[٤] ، وعرف عن سليمان حبه لقصره الصحراوي في الرملة ، ويبدو أن الخلفاء الأمويين كانوا يتخذون القصور الصحراوية حتى يكونوا بعيدين عن ضجيج الحياة بدمشق إلى هدوء الصحراء وجوها الصحي السليم من الأوبئة[٥] ، وكان سليمان قد عهد بالخلافة لولده

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٩٧-٥٢٣ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٦ ، ص٣٣٤ ؛ زعرور ، تاريخ العصر الأموي ، ص٨٢ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٢٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٢.
(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٩٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٢.
(٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٥٦ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص٧٨ .

أيوب من بعده ، غير أن وفاة أيوب جعلته يعهد بالخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك[١] .

٨. عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) :

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، أمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ﷺ[٢] ، ولد في المدينة سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م) ، وقضى الشطر الأكبر من حياته فيها ، وفيها أتصل بشيوخها وتعمق في الفقه وبرع في الحديث[٣] ، وبعد وفاة والده سنة (٨٥هـ/ ٧١٣م) ارتحل إلى دمشق وزوجه الخليفة عبد الملك بن مروان ابنته فاطمة[٤] ، وفي خلافة الوليد عُين والياً على الحجاز ، وكان في خلافة سليمان كالوزير له[٥]

كان عمر بن عبد العزيز قبل توليه الخلافة معروفاً عنه بالاعتناء بحسن مظهره ومبالغته في التنعم وإفراطه في الاختيال في المشي ، وكانت مشيته تسمى المشية العمرية ، وكانت الجواري يتعلمنها من حسنها وتبختره بها[٦] ، وكان يستعمل نوعاً من الطيب فإذا مرَّ من ناحية فاحت رائحته فيها[٧] .

---

(١) ابن عبد الحكم ، أبو محمد عبد الله بن أيمن (ت٢١٤هـ) ، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، تحقيق : احمد عبيد ، عالم الكتب ، (بيروت – ١٩٨٤م) ، ص٢٨-٢٩ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص١٩١ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٨٠-١٨١ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٥٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٣ ، ص١١٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٨٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص١١٦.

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٨١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص١٦٧.

(٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص١١٧ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٥٣ .

(٦) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص٢٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص١١٥ .

(٧) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٨٢-١٨٣ .

تميزت الحقبة التي تولى فيها عمر بن عبد العزيز الخلافة والتي لم تتجاوز السنتين وخمسة أشهر بآثارها الواضحة في جميع شؤون الدولة ، لاسيما المالية منها ، فقد رد المظالم وسار بالعدل[١] ، ومن شدة حرصه أنه بدأ بنفسه وأهل بيته فجرد نفسه من كل نعيم وترك ألوان الطعام وتولى خدمة نفسه بنفسه[٢] ، ثم التفت الى قومه وعشيرته وسائر المسلمين وأخذ يعمل برد المظالم ، وبدأ ببني أمية وأخذ ما كان في أيديهم من الغصوب فردها على أهلها[٣] ، ولعل ذروة اجراءاته في رد المظالم في الخطوة التي انفرد بها على بني أمية حينما جلس بين يدي القاضي خصماً لأحد المشتكين[٤] .

كان عصر الخليفة عمر عصر إصلاح واستقرار ، فقد أقدم على عزل الولاة الذين عرفوا بالظلم وولى مكانهم الأكفاء وأمرهم بالسهر على مصالح رعاياهم في الأمصار مستهدفاً من ذلك تحقيق المساواة وإشاعة العدل[٥] ، كما أمر الولاة أن يرفعوا الجزية التي كانت تأخذ من المسلمين غير العرب ، ومنح الداخلين في الإسلام هبات من المال[٦] .

(١) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص٤٠ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص١٨٢ .

(٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص١٥ ؛ ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار ابن خلدون ، (القاهرة – ١٩٩٦م) ، ص١٥٢.

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٣١ .

(٤) مجهول ، العيون والحدائق وأخبار الحقائق ، (ليدن – ١٨٧١م) ، ص٦١ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٦٥٨ ؛ الجميلي ، الدولة العربية الإسلامية ، ص١٠٣-١٠٤.

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٩٩ ؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ص٣١٤ .

أما في مجال سياسته الداخلية فقد أصلح الخليفة عمر بن عبد العزيز الكثير من الأراضي الزراعية ، وحفر الآبار ، وعمر الطرق ، وأهتم بالمحتاجين والفقراء ونظم الكيل والميزان ، وأكثر من بناء المساجد[١] ، فضلاً عن ذلك فقد أهتم بأهل السجون اذ خصص لهم أرزاقاً شهرية وكسوة في الصيف والشتاء ، ومنع أن يقيد أحدهم بقيد يمنعه من تمام الصلاة ، كما منع حبس الرجال والنساء معاً كذلك منع أن يسجن أهل الديون مع أهل الدعارات سوياً[٢] .

٩. يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م) :

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، ولد بدمشق سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م) ، تولى الخلافة سنة (١٠١هـ/ ٧١٥م) بعد عمر بن عبد العزيز بعهد من سليمان بن عبد الملك ، وكان عمره آنذاك تسع وعشرين سنة[٣] ، غير أن سياسته التي سار عليها لم تكن توافقية بالمعنى المتكامل على خطى سياسة سلفه إذا ما قورنت بالجهد الضخم الذي بذله سلفه عمر بن عبد العزيز[٤] ، فهو مثلاً لم يلتزم بسياسة سلفه في حفظ التوازن بين القبائل العربية ، فقد أظهر ميلاً نحو القيسية بعد أن قربهم وولاهم الوظائف في الدولة ،

(١) ابن آدم ، أبو زكريا يحيى بن آدم بن سليمان القرشي (ت٢٠٣م) ، الخراج ، تحقيق : حسين مؤنس ، دار الشروق ، (القاهرة – ١٩٨٧م) ، ص٩٩ ؛ ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص١٥٨ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٥٦ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ٢٦٢-٢٧١ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٢١ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الألباب ، ص١٥٣ .

(٤) ابن ألأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٦٧ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٩٦-١٩٧.

مما أدى إلى تجدد النزاع والقتال بين القبائل القيسية واليمانية لاسيما في خراسان وكل ذلك أسهم فيما بعد في إضعاف الدولة وعجل في سقوطها[١] .

ومن الأحداث التي شهدتها خلافة يزيد بن عبد الملك ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الذي كان والياً للخليفة سليمان على العراق ثم على خراسان وافتتح جرجان وطبرستان ، فلما آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز طالبه بخمس الغنائم التي جباها فعجز عن أدائها فسجنه في جزيرة دهلك في البحر الأحمر على ساحل الحبشة ، ثم نقل إلى حلب وظل في السجن حتى بلغه مرض الخليفة عمر بن العزيز ، فهرب من سجنه وكتب إلى الخليفة يقول له : " إني والله لو علمت انك تبقى ما خرجت من محبسي ، ولكن لم آمن من يزيد بن عبد الملك "[٢] .

فلما مات عمر بن عبد العزيز وتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة توجه يزيد بن المهلب نحو البصرة وأسر واليها عدي بن ارطأة الفزاري ، وغلب على البصرة وما والها من الاحواز وفارس وكرمان ، ثم سار إلى الكوفة فانظم إليه الأزد ، وخلع الطاعة للخليفة يزيد بن عبد الملك[٣] .

وقد تشعرنا تلك الإجراءات التي قام بها يزيد بن عبد الملك بمدى التحامل والعداء الذي كان يكنه ليزيد بن المهلب لمجرد مؤازرة الأخير لسليمان

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٦٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٢؛ الجميلي ، الدولة الأموية ، ص١٠٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٦٤-٦٥ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص٤٦٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٦٤ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف، ج١ ، ص٢٧٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٧٠.

بن عبد الملك في تنكيله بأسرة آل الحجاج ، فقد كان بين يزيد بن عبد الملك وأسرة الحجاج صلاة وثيقة ، فقد كان يزيد بن عبد الملك متزوجاً من بنت أخ الحجاج بن يوسف الثقفي[١] ، وعلى ذلك أرسل إليه جيشاً بقيادة مسلمة بن عبد الملك والتقى الطرفان في مكان يدعى العقير بالقرب من كربلاء ، وفي هذه المعركة انتصر جيش أهل الشام فكانت هذه النهاية لأسرة المهلب بقطع رأس يزيد بن المهلب ومصادرة جميع ممتلكاته[٢] .

١٠. هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) :

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، ولد سنة (٧٢هـ/ ٦٩٢م) ، استخلف أخيه يزيد سنة (١٠٥هـ/ ٧٢٣م) وله من العمر ثلاث وثلاثين سنة ، وامتدت خلافته نحو عشرين سنة[٣] ، قام خلالها ببعض الإصلاحات الداخلية ، فقد سعى في بداية خلافته إلى إقامة توازن بين القبائل العربية لاسيما بعد أن لحظ ارتفاع شأن القبائل القيسية وانخفاض القبائل اليمانية نتيجة لما حدث في عصر سلفه يزيد بن عبد الملك[٤] ، وتحقيقاً لذلك فقد عزل عمر بن هبيرة الفزاري (١٠٢-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٣م) عن ولاية العراق وعين بدلاً عنه خالد بن عبد الله القسري مكانه[٥] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٤٩-٣٤٧ ؛ المجمعي ، حامد حميد عطية ، أراضي القطائع في الدولة العربية الإسلامية ٤١-١٣٢هـ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (بغداد ، ٢٠١٤م) ، ص٢٦١ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٧٣ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٩٧ .

(٣) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٣ ، ص٥٤٤ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الالباب ، ص١٥٨ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٩٧ .

(٤) حسن ، التاريخ الاسلامي ، ص٣١٧ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢١٩ .

وقد استطاع الوالي الجديد إلى حدٍ ما أن يحافظ على التوازن بين القبائل القيسية واليمانية[١] ، كذلك ساعدته المدة الطويلة التي مكث فيها في ولايته على العراق نحو خمسة عشر سنة (١٠٥-١٢٠هـ/ ٧٢٣-٧٣٧م) من القيام بإصلاح الكثير من الأراضي وشق الأنهار[٢] ، لكنه في الوقت نفسه اصبح من أكبر ملاكي الأراضي ، ولكثرة أملاكه كان يتحكم في المستوى العام لأسعار السوق في العراق بسبب غزارة غلته من انتاج المحاصيل[٣] ، مما أثار ذلك حفيظة الخليفة هشام فعزله وعين مكانه يوسف بن عمر الثقفي (١٢٠-١٢٦هـ/ ٧٣٧-٧٤٣م) والياً على العراق[٤] .

ومن إصلاحات هشام بن عبد الملك الداخلية اهتمامه بالجيش ، فقد عمل على تدعيم قوته وأمر ببناء عدة حصون على حدود بلاد الشام مع البيزنطيين وشحنها بالمقاتلة[٥] ، ونظم الدواوين فكانت مثال للدقة والنظام[٦]ونشطت الحركة العلمية وترجمت الكتب في عهده إلى اللغة العربية وظهرت مؤلفات تناولت مواضيع مختلفة[٧] .

(١) الكبيسي ، عبد المجيد محمد صالح ، عصر هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ ، مطبعة سلمان الاعظمي ، (بغداد – ١٩٧٥م) ، ص١١٧ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٩ ، ص٩٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٧٥.

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٢٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٦٨ ؛ الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ) ، الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة مصطفى الحلبي ، (القاهرة – ١٩٣٨م) ، ص٣٨-٣٩ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص١٧٠ ؛ ابن أعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص٢٥٣-٢٥٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٣ .

(٧) الهاشمي ، الخلافة الأموية ، ص٣٧٣ .

أما عن سياسته الخارجية فقد واصلت الدولة فتوحاتها الإسلامية حتى بلغت الدولة أقصى اتساع لها بعد أن امتدت حدودها من المحيط الأطلسي والأندلسي غرباً إلى حدود الصين شرقاً ، على أن خلافة هشام تعد خاتمة لعصر القوة الذي انتهت بوفاته[١] .

١١. الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) :

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ولد سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨م) ، تولى الخلافة بعهد من أبيه سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م) وكان عمره آنذاك خمسة وثلاثين سنة[٢] .

لم يكن الوليد بن يزيد يتمتع بصفات أسلافه ، فقد اشتهر عنه بانصرافه إلى اللهو والمجون وسماع الغناء وعزوفه عن شؤون البلاد[٣] ، فضلاً عن تداعيات الأحداث الخطيرة التي شهدتها الخلافة في مجرى الأحداث السياسية وكان أبرزها تعاظم نشاط العباسيين وخروجهم من السر إلى العلنية ، فكان هذا وذاك باعثاً لكي تكون خلافة الوليد بن يزيد بداية النهاية للدولة الأموية وطليعة سقوطها[٤] .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٧٣-١٧٦ ؛ الجميلي ، الخلافة العربية الاسلامية ، ص١٧٣ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٢٥٦ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الألباب ، ص١٦٣ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٠ .

(٣) المسعودي ، التنبيه والأشراف ، تعليق : دي غوية ، (ليدن – ١٨٩٤م) ، ص٢٩٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٥٣ .

(٤) المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٩٢ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الألباب ، ص١٦٤ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٠ .

١٢. يزيد بن الوليد (١٢٦هـ/٧٤٣م) :

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، ولد سنة (٩١هـ/ ٧٠٩م) ، بايع بالخلافة لنفسه بعد أن قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م) ، وخطب بالناس مبرراً قتله للوليد[١] ، موضحاً لهم نظرته تجاه الخلافة وإنه سيحكم بالعدل[٢] ، وهكذا أصبح يزيد خليفة بعد أن بايعه الناس في دمشق[٣] ، وكان محبوباً لدى المتدينين ورعاً تقياً على عكس الوليد بن يزيد[٤] .

شهدت خلافة يزيد بن الوليد اهتمامات في المجالات الاقتصادية متمثلة في إنشاء مشاريع الري لغرض استصلاح الأراضي الزراعية واستثمارها[٥] ، كذلك حاول أن يسير بحركة الإصلاح التي وعد بها لكنه لم يستطع أن يزيد من عطاء الناس بل أنقص من أعطيات الجند بعد أن كان سلفه الوليد بن يزيد قد زادها بعد توليه الخلافة ، وعلى ذلك لقب يزيد بن الوليد بالناقص[٦] .

هذا ولم يهنأ يزيد بن الوليد بالخلافة التي سعى إليها سوى ستة أشهر ، فقد كثرت عليه الفتن لاسيما بعد أن قرب إليه اليمانية على عكس سلفه الوليد

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٦٧ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٦٣ ؛ الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٤٩ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٢ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٦٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٦٢ .

(٤) حسن ، التاريخ الإسلامي ، ص٣٢١ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٤٥٥ .

(٦) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٦٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٩٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٩٥ .

بن يزيد ، فقد عزل الولاة القيسية وولى مكانهم ولاة من اليمانية[١] ، مما أثار حفيظة القيسية فثاروا عليه في حمص وخلعوا عنه الطاعة لاسيما وأنهم كانوا ناقمين عليه بعد قتله للوليد بن يزيد وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن الحصين ، فوجه إليهم يزيد بن الوليد حملة عسكرية وأوقع بهم الهزيمة[٢] ، كما وجه حملة أخرى لمقاتلة أهل فلسطين بعد أن ثاروا عليه وأرغمهم على الدخول في طاعته[٣] ، فضلاً عن ذلك فإن العصبية القبلية كانت على أشدها بين القيسية واليمنية في خراسان ، وجرت بين الطرفين معارك ذهب ضحيتها الكثير من العرب[٤] .

وقد ساعدت هذه الاضطرابات الدعوة العباسية على الاتساع وإعلان دعوتهم الى الإعداد للمواجهة الحاسمة مع الأمويين .

١٣. إبراهيم بن الوليد (١٢٦-١٢٧هـ/٧٤٣-٧٤٤م) :

هو إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، ولد سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م) ، بويع بالخلافة بعد أخيه يزيد بن الوليد بعهد منه سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)[٥] ، وقيل : إن أخاه لم يعهد إليه وإنه استولى بغير عهد[٦] .

(١) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٣ ، ص١٩٥ ؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ص٣٢١ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٦٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٦٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٨٧ .
(٤) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٣ ، ص٢٠٦ ؛ الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية ، ص١١٩ .
(٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص٤٤٣ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الالباب ، ص١٧٦ .
(٦) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧ ، ص٢٤٦ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٣ .

وقد أشارت بعض المصادر التاريخية أن إبراهيم بن الوليد كان ضعيف الرأي مضطرب الأمر ، وكان أتباعه يسلمون عليه تارة بالخلافة وتارة بالإمارة وتارة بغير ذلك[١] ، ولم تكن خلافته موضع إجماع المسلمين ، فلم يعترف المسلمون خارج دمشق بخلافته ، ومكث في خلافته سبعين يوماً ، وقيل : ثلاثة أشهر ، كان خلالها عاجزاً عن إدارة شؤون الخلافة ، بعدها خرج عليه مروان بن محمد الذي كان رافضاً الاعتراف بخلافته ، فهرب إبراهيم خارج دمشق ثم رجع وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى مروان بن محمد وبايعه طائعاً[٢] .

١٤. مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م) :

هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، ولد بالجزيرة الفراتية سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)[٣] ، آخر خلفاء بني أمية ، يلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم الذي تعلم من مذهبه في القول بخلق القرآن وبالقدر[٤] ، ولقب بالحمار لقوته الجسمانية وثباته في الحروب ، فكان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه ، وكان يصل السير بالسير ، ويصبر على مكاره الحرب ، وكان يقال في المثل : فلان أصبر من حمار في الحروب ، فلذلك لقب به[٥] .

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص٤٤٣ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٦ ، ص١٠٥.

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٩٣ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٩ ، ص١٩٩؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧ ، ص٢٤٦ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٣ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٧ ، ص٣٢١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٧٣٢ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٤ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٤٢٩ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٤ .

(٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٧٣٢ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الألباب ، ص١٧٨ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٤ .

كان مروان والياً على الجزيرة الفراتية حينما مات الخليفة يزيد بن الوليد ، وبعد أن تولى أخوه إبراهيم أمر الخلافة رفض مروان أن يبايعه ، وسار في جند الجزيرة نحو دمشق لمحاربته ، فلما وصل إلى قنسرين وحمص أنظمت إليه القيسية[١] ، والتقى بجيش الخليفة إبراهيم بن الوليد الذي كان يقوده سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي بعين الجر – بين بعلبك ودمشق – وتمكن مروان من هزيمة الجيش ودخل دمشق وبايعه أهل الشام بالخلافة سنة (١٢٧هـ/ ٧٤٤م)[٢] ، ولما استقر الأمر لمروان بن محمد بدمشق قرر العودة إلى حران حيث يكثر أنصاره من القيسية هناك وجعلها عاصمة الخلافة[٣] .

ويرى أحد الباحثين إن مروان بن محمد لم يكن مطمئناً إلى اليمنية الذين كانوا يشكلون الاغلبية في دمشق ، وإنه قد ارتكب خطأً كبيراً حين أقدم على نقل مقر الخلافة إلى حران ، فقد أثار حفيظة اليمنية وأغضب قبيلة بني كلب التي رأت أن نقل مركز الخلافة يستهدف إبعادهم عن النفوذ والسلطان[٤] .

والواقع أن مروان بن محمد لم يمكث طويلاً في حران حتى ثارت عليه مدن الشام الواحدة تلو الأخرى ، فقد ثارت عليه فلسطين وحمص وتدمر وطبرية ودمشق نفسها ، لكنه نجح في تصفيتها وإخمادها وإعادتها إلى حضيرة الدولة[٥] .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣٠٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٧٣٣.
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣٠١ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣١٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٨٧ .
(٤) الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية ، ص١٢٠ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣٠٠-٣٠١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٧٣٤ .

كان مروان بن محمد مشهوراً بالفروسية والرجولة شجاعاً صاحب دهاء ومكر ، حتى كانوا يعدونه في مقابلة ألف مقاتل[١] ، لكنه لم يهنئ بالخلافة فقد وصل إليها في الوقت الضائع في وقت كانت الخلافة تسير نحو السقوط ولا مجال لتغيير ذلك الحال لكثرة من خرج عليها[٢] ، وفي أيامه قويت الدعوة العباسية فسار لحربهم ، والتقى الطرفان قرب الموصل فخسر مروان المعركة ورجع إلى الشام ، ثم خرج إلى مصر فانهار جيشه أمام ضربات العباسيين ، وسقط مروان قتيلاً على يد بني العباس في قرية اسمها بوصير – اسم لأربع قرى في مصر – وبموته تهاوت أركان الدولة الأموية لتقوم على أنقاضها الدولة العباسية[٣] .

(١) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب ، ص١٣٨ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٤.
(٢) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٤ .
(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٣٣ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٤.

الفصل الثاني

المعارضة للسلطة الأموية

أولاً. حركات الخوارج :

لاشك أن من يبحث في تاريخ الفرق الإسلامية سيجد أن الخوارج من أوائل الفرق التي ظهرت على مسرح الأحداث الدينية والسياسية إن لم تكن أولها[1] ، وقد يعني الخارجي في كتب اللغة للدلالة على طائفة من أهل الأهواء والآراء لخروجهم على الناس أو عن الدين الحق[2] .

أما الخوارج في المعنى الذي يشير إلى الانشقاق ومفارقة الجماعة كفرقة دينية وحزباً سياسياً فقد ارتبطت بتلك الجماعات التي خرجت بشكل علني وفعلي في الساحة السياسية على الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين سنة (٣٧هـ/ ٦٥٧م)[3] ، إذ عد هؤلاء التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر ، ومن ثم طلبوا من الإمام علي عليه السلام أن يتوب عن هذا الذنب ، وانتهى الأمر أنهم خرجوا من معسكره[4] ، واشترطوا لرجوعهم إلى

(١) أبو سعدة ، الخوارج ، ص١٩ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٢٥ ؛ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (ت٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، دار العلم للملايين ، (بيروت – بلات) ، ج٣ ، ص٣٤٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦٤ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص١٠٥ معطية ، احمد ، الإسلام الخوارجي ، دار الحوار ، (دمشق – ٢٠٠٠م) ، ص١٤ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦٤ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص١٠٥ شلبي ، الدولة الأموية ، ج٢ ، ص٢٧ .

صفوف المسلمين أن يقر الإمام علي عليه السلام على نفسه بالكفر لموافقته على التحكيم ، وأن ينقض الاتفاق الذي أبرمه مع معاوية بن أبي سفيان[١] .

والخوارج هو الاسم الغالب على هذه الطائفة ، وهو مشتق من الفعل الثلاثي خرج والجمع خارجي[٢] ، لأنهم خرجوا عن طاعة الإمام علي عليه السلام بعد أن كانوا ضمن أتباعه ، وقد فسر الخوارج خروجهم من معسكر الإمام علي عليه السلام بأنه خروج من بيوتهم جهاداً في سبيل الله وفقاً لقوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [٣] .

والواقع أن الخوارج كانوا من أشد المتحمسين لقبول فكرة التحكيم ، لكنهم بعد ذلك رفضوه ، وعبروا عن موقفهم هذا بقولهم : تحكمون في أمر الله الرجال ، ثم رفعوا شعار (لا حكم إلا لله) ، أي أنهم كانوا يرغبون في استمرار القتال لحسم النزاع مع معاوية بن أبي سفيان ، فلما سمع الإمام علي عليه السلام ندائهم قال : كلمة حق يراد بها باطل ، نعم إنه لا حكم إلا لله ، ولكنهم يقولون : إنه لا أمرة إلا لله ، ولابد للناس من أمير بر أو فاجر ، ولذا فقد أصبح الخوارج يعرفون بالمُحكمة ، لأنهم أرادوا تحكيم الله تعالى لا تحكيم الرجال[٤] .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٣٦٦-٣٥٩ .
(٢) الجوهري ، الصحاح تاج اللغة ، ج١ ، ص٣٠٩ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٣ ، ص٣٣٩.
(٣) سورة النساء الآية : ١٠٠ .
(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٢ ، ص٣٥٢ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٩ ، ص١١٩ ؛ البكاي ، لطيفة ، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي ٣٧-١٣٢هـ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت – ٢٠٠١م) ، ص٢٧ .

وبعد رجوع الإمام علي عليه السلام من صفين إلى العراق لم يدخل معه الخوارج في الكوفة ، إنما انحازوا إلى قرية بظاهر الكوفة على بعد ميلين منها تدعى حروراء ، فأصبحوا يعرفون بالحرورية ، وهذه هي تسمية جغرافية نسبة إلى تلك القرية[1] .

كما أطلق الخوارج على أنفسهم اسم الشراة ، لأنهم يزعمون انهم باعوا حياتهم في سبيل الله من قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ** ﴾[2] ، أي باعوا أنفسهم لله تعالى[3] .

كان معظم الخوارج في بداية الأمر عرباً ينتمون إلى قبائل بكر وتميم التي كانت تسكن اليمامة في الأصل واندمجت في الإسلام واستقرت في البصرة والكوفة ، وقد شغفت هذه الجماعات بالقرآن الكريم شغفاً شديداً ، فكانوا يحفظون أجزاء منه عن ظهر قلب ويتلونه بحرارة جهراً وسراً نهاراً وليلاً ، ولكثرة سجودهم كانت جباههم معفرة من أثر السجود[4] .

واقترن ظهور الخوارج منذ البداية برفض كل الأوضاع السياسية القائمة لاسيما نظام الخلافة ، ولعل من أبرز مبادئهم السياسية في الخلافة أنهم اعترفوا بصحة خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقالوا بصحة خلافة عثمان رضي الله عنه في شطرها الأول ، ثم تبرؤوا منه وكفروه من بقية عهده ، كما اعترفوا بصحة

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج٥ ، ص٦٤ ؛ ابن عبد الحق، عبد المؤمن البغدادي (ت٧٣٩هـ) ، مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، (بيروت–١٤١٢هـ) ، ج١ ، ص٣٩٤ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٠٧ .

(٣) ابن سعدة ، الخوارج ، ص٣٠ .

(٤) عطية ، حامد حميد ، السلطة السياسية والخوارج قراءة في مناظراتهم ، بحث منشور في مجلة دراسات في التاريخ والآثار ، العدد ٤٥ ، بغداد ، ٢٠١٤م ، ص٥٢٥ .

خلافة الإمام علي عليه السلام في بدايتها إلى أن حكم الحكمين فقالوا : إنه أخطأ في قبول التحكيم وحكموا عليه بالكفر[١] .

ومن آرائهم أن الخلافة جائزة في غير قريش لكل عربي حر ، ولكن آراؤهم في هذه النظرية تطورت لاسيما بعد أن أنظمت إلى حركتهم عناصر غير عربية ، فجعلوا الخلافة جائزة لكل مسلم يتصف بالصفات الحسنة بغض النظر عن أصله وجنسه ، المهم ان يكون عارفاً بكتاب الله والسنة[٢] ، ومن آرائهم أيضاً وجوب الخروج على الإمام الجائر وإذا خالف الشروط التي بويع عليها جاز عزله أو قتله[٣] .

وعلى الجملة يبدو أن الخوارج كان لهم طموح ورغبة قوية في الرياسة والسلطان بدليل أنهم رفضوا كل الخلفاء المسلمين في عصرهم ، وكانوا يأمرون عليهم أمير المؤمنين من أنفسهم يأتمرون بأمره ويدعون إلى أفكاره ، وكانوا في ظل أميرهم يشعرون بأن مجتمعهم هو المجتمع الإسلامي الحق ، وإن إمامتهم هي الإمامة الصحيحة[٤] ، بيد أن سياستهم لم تكن موجهة نحو أهداف يمكن تحقيقها فضلاً عن أنها منافية للمدنية لما اشتهر عنهم من عنف وقسوة واستباحة الدماء واستحلال الأموال[٥] .

(١) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص١٥٩-١٦٠ ؛ الخربوطلي ، علي حسين ، الإسلام والخلافة ، (القاهرة – بلات) ، ص٦٦-٦٧ .

(٢) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص١٦١-١٦٥ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الاسلامية ، ص٢٥ .

(٣) البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ) ، الفرق بين الفرق ، (القاهرة – بلات) ، ص٢٧٣ ؛ فروخ ، تاريخ الفكر العربي ، ص٢٠٩-٢١٠ .

(٤) أبو سعدة ، الخوارج ، ص١٣١ .

(٥) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص٨٣ ؛ أبو سعدة ، الخوارج ، ص١٣٢ .

أ. الخوارج في عهد معاوية بن أبي سفيان :

كان من اخطر المعارضين لخلافة معاوية بن أبي سفيان هم الخوارج ، الذين كانوا يرون وفق نظريتهم للخلافة أنه لم ينل الخلافة بإجماع المسلمين ، واختياره لم يتم بطريقة حرة[١] ، ومن جهة أخرى فقد اعتبر الخوارج تنازل الإمام الحسن بن علي عليه السلام عن الخلافة إلى معاوية خطر يهدد وجودهم وينذر بتصفيتهم[٢] ، وعلى هذا الأساس لم ينتظر الخوارج طويلاً للخروج على النظام الجديد حتى حملوا السلاح وأعلنوا سخطهم على معاوية بن أبي سفيان ، وكان أول من خرج عليه فروة بن نوفل الاشجعي مع خمسمائة من أصحابه قائلاً ومحرضاً لأصحابه : قد جاء الآن ما لا نشك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه[٣]، فهاجموا الكوفة سنة (٤١هـ/ ٦٦١م) ، وكان معاوية بن أبي سفيان لا يزال فيها بعد تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن الخلافة ، فأرسل لهم قوة من أهل الشام ولكنهم لم يتمكنوا منهم ، فاستعان بأهل الكوفة بعد أن قال لهم : لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوهم ، فخرج أهل الكوفة فقاتلوهم[٤] ، فقالت لهم الخوارج : أليس معاوية عدونا وعدوكم دعونا حتى نقاتله فإن أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم ، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا[٥] ، فقالوا : لا والله حتى نقاتلكم ، فقالت الخوارج : يرحم الله أخواننا من أهل النهروان كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة ، فاقتتلوا فهزمهم أهل الكوفة وطردوهم[٦] .

---

(١) شلبي ، الدولة الأموية ، ص٢٥٩ .
(٢) الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية ، ص٥٢ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص١٢٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٢٦-١٢٧ .
(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٩ .
(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٤ .

ومن الخوارج الذين خرجوا على معاوية في مستهل خلافته حوثرة بن وداع بن مسعود الأسدي ، فوجه إليه معاوية عبد الله بن عوف الأحمر في ألفين من الرجال ، فأقتتل الطرفان وكانت الهزيمة من نصيب حوثرة الذي قتل في هذه المعركة ، فضلاً عن مقتل معظم أصحابه ، وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة (٤١هـ/ ٦٦١م)[١] .

ومن بين الخوارج الذين خرجوا على معاوية شبيب بن بجرة الأسدي وكان هذا ممن دبر واشترك مع عبد الرحمن بن ملجم في مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م)[٢] ، وتمكن المغيرة بن شعبة من القضاء عليه بعد قتله مع معظم أصحابه سنة (٤١هـ/ ٦٦١م)[٣] .

إضافة الى ذلك فقد خرجت جماعة أخرى من الخوارج بقيادة حيان بن ظبيان السلمي وتسللوا إلى الكوفة واتخذوا من دار حيان مركز تجمع لهم وعزموا على الخروج ، فلما علم والي الكوفة المغيرة بن شعبة باجتماع هؤلاء وجه إليهم صاحب شرطته فألقى القبض عليهم وأودعهم في السجن[٤] ، أما أتباعه فقد لاذوا بالفرار وأمروا عليهم المستورد بن علقمة وغادروا إلى المدائن ، فوجه إليهم المغيرة حملة عسكرية قوامها ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة معقل بن قيس الرياحي لقتالهم[٥] ، وفي جرجرايا – بلدة من أعمال المدائن – تقاتل الطرفان أشد القتال كان من الشدة أن تضارب فيه معقل والمستورد بالسيوف فقتل كل

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤١٠-٤١١ .
(٢) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٢٠٦ .
(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٢٠ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٢٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٣٢٦ .

منهما الآخر ، فأخذ الراية بعد معقل عمرو بن محرز بن شهاب فقاتل الخوارج وهزمهم هزيمة منكرة ، وكان ذلك في رمضان سنة (٤٣هـ/ ٦٦٣م)[١] .

هذا ولم يقتصر ظهور الخوارج وتحركاتهم على الكوفة ، بل شهدت البصرة أيضاً نشاطاً خارجياً في مستهل خلافة معاوية بن أبي سفيان ، ويبدو أن ولاة معاوية الأوائل على البصرة وهم بسر بن أبي ارطأة (٤١هـ/ ٦٦١م) ، وعبد الله بن عامر (٤١-٤٤هـ/ ٦٦١-٦٦٤م) ، والحارث بن عبد الله الازدي (٤٤-٤٥هـ/ ٦٦٤-٦٦٥م) لم يفلحوا في ضبط الأمور وإعادتها إلى نصابها[٢] ، مما دفع معاوية إلى تعيين زياد بن أبيه والياً عليها ، وأظهر زياد مقدرة فائقة في قتال الخوارج ، فقد قتل أعداد كبيرة منهم وضيق عليهم الخناق وملأ سجونه بهم[٣] .

وهكذا فإن الشدة التي استعملها زياد تجاه الخوارج ساعدته على إخماد حركتهم وبسط الأمن والاستقرار في البصرة .

بعد وفاة زياد سنة (٥٣هـ/ ٦٧٢م) لم تشر المصادر إلى حدوث حالة خروج للخوارج في البصرة حتى عهد عبيد الله بن زياد سنة (٥٥هـ/ ٦٧٤م) الذي حاول أن يتعامل معهم بالتآلف واللين حتى أنه أطلق سراح المودعين في سجن أبيه ، لكنه لم يلبث أن عاد إلى استخدام الشدة حينما حاول هؤلاء مزاولة نشاطهم من جديد ، ولم يتردد بتعقبهم بمنتهى العنف والقسوة ، فحبس من اشتبه بأمره أو له علاقة بهم ، وتعقب الباقين وقتل منهم جماعة كثر ، وكان ممن

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٩٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٧.
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١١-١٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١١-١٥ .

قتله أحد زعمائهم وهو عروة بن أدية التميمي[١] ، وكان لعروة أخ يدعى مرداس بن أدية التميمي خرج من البصرة في أربعين من أتباعه حتى نزلوا في أسك – بلدة من نواحي الاحواز – فأرسل إليهم عبيد الله بن زياد جيشاً من أربعة آلاف رجل فانتصروا عليهم بعد مصرع مرداس ومعظم أصحابه ، وكان ذلك سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م)[٢] .

بعد مقتل مرداس ألتف الخوارج حول زعيم خارجي يدعى نافع بن الأزرق الذي قرر الرحيل إلى مكة لمؤازرة عبد الله بن الزبير في حركته ضد الدولة الأموية مدفوعين برغبتهم وحماسهم في الدفاع عن البيت الحرام ، فقاتلوا معه حتى وصول خبر وفاة يزيد بن معاوية سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) فتوقف القتال[٣] ، وحاول الخوارج إقناع عبد الله بن الزبير أن يتبنى مبادئهم وأفكارهم لكنه لم يوافقهم على رأيهم ، فقالوا له بعد مناظرة : "برىء الله منك يا عدو الله فردهم برئ الله منكم يا أعداء الله"[٤] ، وترتب على ذلك انصراف الخوارج من مكة فعاد قسم منهم بزعامة نافع بن الأزرق الحنظلي إلى البصرة ، أما القسم الباقي بزعامة فديك وأبو طالوت وابن الأسود اليشكري فقد توجهوا نحو اليمامة واستولوا عليها[٥] .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣١٢ .
(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٣ ، ص١٥٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣١٢.
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٦٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٦٥-١٦٧ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٦٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٥٦٦ .

ب. الخوارج بعد وفاة يزيد بن معاوية :

كانت أوضاع البصرة بعد وفاة يزيد بن معاوية قد سادها الاضطراب ، وقد هيأ هروب عبيد الله بن زياد من البصرة بعد أن رفض أهلها مبايعته إلى بلاد الشام وتنازع القبائل في البصرة ، الفرصة للخوارج بزعامة نافع بن الأزرق بعد عودتهم من مكة من التوجه نحو سجن البصرة وإخراج جماعتهم ، ثم ابتدئوا حركة تمرد سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) واتخذوا من الاحواز مقراً لنشاطهم وتحركاتهم[١] .

ويبدو أن رحيل نافع إلى الاحواز قد فتح باب الجدل بين قادة الخوارج حول طبيعة أفكارهم ومبادئهم ووضعتهم على مفترق طرق ، إذ عد نافع بن الأزرق كل من تخلف عن الجهاد معه كفرة ويحل قتالهم ، فتخلف عنه عدد من قادة الخوارج ، وهكذا ظهرت فرق متعددة للخوارج نسبت إلى أسماء المنشقين على نافع بت الأزرق وتفرقوا في أماكن مختلفة من أقاليم الدولة العربية الإسلامية[٢] .

كانت الجماعة التي بقيت مع نافع بن الأزرق تعرف بفرقة الأزارقة ، وهي من أكثر فرق الخوارج غلواً في مبادئ الخوارج ، فقد تميزوا بالتشدد في فهم النصوص الدينية إذ أنهم يكفرون القعدة – أي الخوارج الذين يقعدون عن قتال مخالفيهم – وإباحة قتل أطفال ونساء مخالفيهم ، وقتل أطفال المشركين

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٦٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٦٥-١٧٧ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٢٨ .

(٢) المبرد ، محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) ، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، (القاهرة – بلات) ، ج٢ ، ص١٠٣-١٠٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٦٢ .

وتكفيرهم وتخليدهم مع آباءهم في النار ، ومرتكب الكبيرة عندهم كافر كفراً يخرجه من ملة الإسلام ويخلد في النار ، واسقطوا حد الزنا لأنه لم يرد عليه نص في القرآن الكريم ، والتقية عندهم غير جائزة في قول وعمل[١] .

إن الآراء المتطرفة التي تبناها نافع بن الأزرق قد خالفه فيها زياد بن الأصفر ومن تبعه في ذلك أصبحوا يعرفون بفرقة الصُفّرية ، ويقال لهم : أيضاً الزيادية نسبة إلى زياد بن الأصفر[٢] ، وهناك من يذهب بالقول أنهم سموا بالصفرية للصفرة التي تعلو وجوههم من أثر العبادة والزهد ، وهناك من ينسبهم إلى عبد الله بن صفار التميمي[٣] ، أصحاب هذه الفرقة لم يكونوا قساة غلاظاً كالأزارقة إنما كانوا أقرب إلى الاعتدال وأبعد عن التطرف في أحكامهم ، فلم يكفروا القاعدين عن القتال ، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار ، وفاعل الكبيرة عندهم عاص وليس كافراً مشركاً ، ولم يسقطوا حدة الزنا ، والتقية عندهم جائزة في القول دون العمل[٤] .

وأعلن نجدة بن عامر الحنفي انفصاله عن نافع بن الأزرق وأصبح أميراً على طائفة من الخوارج عرفوا بالنجدات[٥] ، وكان نجدة يرى أن أراء نافع بن

(١) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص٩٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٦٧ ؛ فروخ ، تاريخ الفكر العربي ، ص٢١٠ .
(٢) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص١٢٣ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج٣ ، ص٥٤٨ .
(٣) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص١٣٧ ؛ جلي ، احمد محمد ، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين ، ط٢ ، (الرياض – ١٩٨٨م) ، ص٧٢ .
(٤) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ،ص٩٣ ؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٦٧.
(٥) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص٨٧ .

الأزرق مخالفة للقرآن والسنة ، إذ يرى أن القعود عن القتال جائز ولكن الجهاد إذا أمكن أفضل ، وأجاز التقية في القول والعمل[١] .

وقد أنكر أبي بيهس الهيصم بن جابر الضبعي وأتباعه أراء نافع بن الأزرق فأصبحوا يعرفون بالبيهسية ، وكان من أراء هذه الفرقة أن الإيمان هو الإقرار والعلم بالله وبما جاء به الرسول ﷺ ، وقالوا : إن الأطفال كآبائهم إيماناً وكفراً ، وإذا كفر الإمام كفرت الرعية[٢] .

أما فرقة الاباضية أتباع عبد الله بن أباض فقد اختلفوا مع نافع بن الأزرق وحاربوا آراءه المتطرفة[٣] ، وتعد هذه الفرقة من أشهر الفرق التي تنسب إلى الخوارج ، لأنهم لا يزالون حتى يومنا هذا يسكنون في عمان وزنجبار وشمال أفريقيا[٤] ، فقد كانت الاباضية من أكثر الفرق الخارجية اعتدالاً في السلوك والمبادئ[٥] .

كانت فرقة الأزارقة من أكثر فرق الخوارج عداءً للدولة الأموية ، فقد مارس نافع ابن الأزرق نشاطاً عسكرياً مكثفاً وعنيفاً مع أهل البصرة لاسيما بعد أن أنظم إليه عدد كبير من الخوارج ، فاشتبك مع أهل البصرة في موقع يعرف بدولاب سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م) ، واقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت

(١) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص١٢٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٦٧.

(٢) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ج١ ، ص١٠٧ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص٩٣-٩٤.

(٣) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص١٣٤ .

(٤) الشكعة ، مصطفى ، إسلام بلا مذاهب ، ط١٣ ، الدار المصرية ، (القاهرة – ١٩٩٧م) ، ص١٣٥ .

(٥) الشهرساني ،الملل والنحل ،ج١ ، ص١٣٤-١٣٥ ؛ مطيعة ،الإسلام الخوارجي ،ص٢٩-٣٠.

الرماح وقتل في هذه المعركة نافع بن الأزرق[١] ، وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن بشير الماحوز فقاد المعركة وهزم أهل البصرة[٢] ، ويبدو أن أهل البصرة قد خافوا من ورود الخوارج عليهم مرة أخرى فكتبوا إلى عبد الله بن الزبير يعلمونه بالحال[٣] ، فأرسل لهم عاملاً وعهد إلى المهلب بن أبي صفرة بقتال الخوارج ، وقد نجح المهلب في دفع خطر الخوارج ، ولم يزل يدفعهم عن البصرة حتى وصلوا إلى الاحواز ، وفي منطقة سلّي بالقرب من الاحواز جرت معركة عنيفة بين المهلب والخوارج سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م) انتصر فيها المهلب بعد مقتل أمير الخوارج عبيد الله بن بشير الماحوز[٤] .

ت. الخوارج في عهد عبد الملك بن مروان :

شهدت الخلافة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان أعنف حركات الخوارج ، إذ تهددت الدولة من جهات متعددة ، ففي شرق الجزيرة العربية تزعم نجدة بن عامر الحنفي الجماعة التي فارقت نافع بن الأزرق وبايعته قبائل بني حنيفة باليمامة[٥] ، وبعد سلسلة من المعارك قادها نجدة سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م) استولى على البحرين وشواطئ الخليج العربي وعمان وبعض أجزاء اليمن ،

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٣٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦١٣.

(٢) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج٢ ، ص٢١٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٩٤ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٩٥ .

(٤) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج٢ ، ص٢٢٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٩٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٣١ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٦ ، ص١٥ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الاسلامية ، ص٣٠.

وبذلك أصبح نفوذه مساوياً لنفوذ عبد الملك وعبد الله بن الزبير[١] ، ولكن ذلك الحال لم يستمر طويلاً لنجدة بن عامر بسبب الخلاف الذي وقع بينه وبين أتباعه حتى انتهى الأمر بعزله ومبايعة أبي فديك عبد الله بن ثور محله[٢] ، ويبدو أن أسباب الخلاف بين نجدة وأتباعه تتعلق ببعض الأخطاء التي وقع بها نجدة أثناء ممارسته السلطة حول بعض الآراء التي تتعلق بمبادئ الخوارج النجدات ومن أبرزها :

١. دخول نجدة مع عبد الملك بن مروان في مكاتبات يدعوه الأخير إلى طاعته مقابل أن يهدر له ما أصاب من الأموال والدماء ويوليه اليمامة وما حولها ، وهذا الأمر كان الخوارج يرفضونه بسبب عداوتهم الشديدة للأمويين .

٢. عدم المساواة في توزيع الفيء بين أتباعه ، كما فرق الأموال بين الأغنياء وحرم ذوي الحاجات .

٣. تهاونه في تطبيق بعض الحدود والأحكام ، ومنها عدم معاقبته لشارب الخمر لأنه كان شديد الهجوم على العدو أثناء الحرب .

٤. رده إحدى الأسيرات في إحدى الغارات لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بعد أن اشتراها نجدة ، وهي بنظر أتباعه جارية من عدو لا يجوز ردها[٣] .

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٤٤ ؛ الهاشمي ، الخلافة الأموية ، ص١٦٤ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٤٥ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج١١ ، ص١٤٣ ؛ المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج٦ ، ص٢٥ ؛ العقيلي ، محمد ارشيد ، الخليج العربي في العصور الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى مطلع العصور الحديثة ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٣م) ، ص١١٥ .

هذا ولم ينته الأمر بعزل نجدة وإبعاده عن الإمارة ، بل أخذ أبي فديك يعمل على تصفيته والتخلص منه ، ويروى أن نجدة قد رغب في المسير إلى عبد الملك بن مروان في الكوفة ، غير أن أتباع أبي فديك كانوا يتربصون به فقتلوه سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)[١] ، وقد ترتب على مقتل نجدة تفرق الخوارق النجدات ، الأمر الذي جعل أبي فديك ينقل مقر عمله من اليمامة إلى البحرين حيث يكثر هناك أتباعه ومؤيديه ، وهكذا بعد أن تشتت الخوارج النجدات قام عبد الملك بن مروان بإرسال حملة عسكرية إلى البحرين تمكنت بسهولة من القضاء على الخوارج النجدات بعد مقتل أبي فديك سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م) ، وبذلك سحقت فرقة النجدات في اليمامة والبحرين ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك[٢] .

وبعد أن استقر الأمر لعبد الملك بن مروان في العراق استأنف القتال ضد الخوارج ، وعهد بهذه المهمة إلى خالد بن عبد الله بن أسيد عامله على البصرة ، غير أن خالد لم يفلح في قتالهم ، فعزله وولى مكانه بشر بن مروان الذي صار والياً للعراق كله ، وأمره أن يعهد مهمة قتال الخوارج إلى المهلب بن أبي صفرة ، فدعا بشر المهلب وأرسله على رأس جيش من أهل البصرة وأمده بجيش آخر من أهل الكوفة[٣] ، وتمكن المهلب من إبعاد خطر الازارقة عن المناطق المحيطة بالبصرة والاحواز ، فلما وصل إلى رام هرمز – من كور الاحواز – لقتال الخوارج وصل خبر وفاة بشر بن مروان ، فاضطربت أحوال الجيش وانسحب أغلب عناصره عائدين إلى أمصارهم ولم يبقَ مع المهلب في مواجهة

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٤٥ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٢٦ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٣١ ؛ العقيلي ، تاريخ الخليج العربي ، ص١١٦-١١٧ .

(٣) البلاذري ،أنساب الأشراف ،ج٥ ، ص٣٣٢ ؛ الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٦ ،ص١٢٧.

الخوارج سوى عدد قليل من أتباعه[١] ، فكتب المهلب إلى عبد الملك بن مروان يعلمه بذلك الحال ، وإنه ليس عنده من الرجال ما يقاتل بهم الخوارج ، فكان ذلك من العوامل التي أدت إلى تعيين الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق سنة (٧٥هـ/ ٦٩٤م)[٢].

كانت من أولى إجراءات الحجاج أنه هدد بالقتل كل من وجده متخلفاً عن قتال الخوارج ، وبذلك حشد كل مقاتلة البصرة والكوفة والحقهم بالمهلب بن أبي صفرة في رام هرمز[٣] ، واستطاع المهلب من إزاحة خطر الازارقة عن رام هرمز سنة (٧٥هـ/ ٦٩٤م) ، ثم استمرت الحرب سجالاً بين المهلب والازارقة حتى تمكن من طردهم عن البصرة والاحواز وفارس بعد أن قتل أبرز قادتهم أمثال قطري بن الفجاءة وعبد ربه الكبير[٤] .

وجابهت خلافة عبد الملك بن مروان خطر الخوارج الصفرية في الجزيرة الفراتية ، إذ تزعم نشاطهم هناك صالح بن مسرح التميمي وشبيب بن يزيد الشيباني ، وتمكنوا من الانتصار على الجيش الذي أرسله مروان بن محمد والي الجزيرة الفراتية[٥] ، ثم وجه حملة عسكرية أخرى اضطر الخوارج على أثرها للانسحاب نحو الكوفة ، فجهز لهم الحجاج بن يوسف الثقفي حملة

(١) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج٦ ، ص١٧٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٠٥ .
(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج١١ ، ص٢٧١ .
(٣) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج٦ ، ص١٧٩ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٢٠٨ .
(٤) الدينوري ،الأخبار الطوال ،ص٣٨٠ ؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج٤ ،ص٤٤٠-٤٧٥.
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٢٢٠ .

عسكرية كبيرة تمكنت من هزيمة الخوارج وقتل أميرهم صالح بن مسرح[١] ، فبايع الخوارج الصفرية شبيب بن يزيد الذي قاد سلسلة من الحملات العسكرية على قوات الحجاج تكللت معظمها بالنجاح ، مما اضطر الحجاج إلى طلب الإمدادات من الخليفة عبد الملك بن مروان ، فأمده بأربعة آلاف رجل ، وبذلك نجح الحجاج في إلحاق الهزيمة بالخوارج في الكوفة ، مما اضطر شبيب إلى الانسحاب نحو الاحواز ، واشتبك مع القوات الشامية التي تعقبته هناك ، فانهزم الخوارج وتفرقوا بعد أن مات شبيب غرقاً أثناء عبوره نهر الدجيل في الاحواز سنة (٧٧هـ/ ٦٩٦م)[٢] .

ث. الخوارج في عهد عمر بن عبد العزيز :

ظل الخوارج قرابة ربع قرن بعد وفاة عبد الملك بن مروان في حالة هدوء نسبي ، فلما بدأ عهد عمر بن عبد العزيز هب الخوارج من جديد ، وكان خروجهم في العراق بقيادة شوذب واسمه بسطام من بني يشكر ، وكان أتباعه يقدرون بنحو ثمانين فارساً[٣] ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يدعوهم إلى الالتزام بحدود الله تعالى وأن لا يبدأ بقتالهم إلا إذا سفكوا دماً أو أفسدوا في الأرض[٤] .

(١) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٢٢٠-٢٢١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٢٦٢ ؛ الجميلي ، الخلافة العربية الاسلامية ، ص٩٠ .

(٣) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص١٤٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٥٥ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، (بيروت – ١٩٦٣م) ، ج١ ، ص١٤٤ .

(٤) ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص٨١ .

ويبدو أن عمر بن عبد العزيز بما عرف عنه من حبه للسلم لم يشأ أن يأخذ الخوارج بالشدة والقسوة ، بل أراد أن يعاملهم باللين ويقارعهم الحجة[1] فأرسل إلى شوذب كتاباً يقول فيه : بلغني أنك خرجت غضباً لله ولنبيه ولست أولى بذلك مني ، فهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا ، فكتب شوذب إلى عمر بن عبد العزيز : لقد أنصفت ، وقد أرسلت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك ، وقد أثمرت سياسة عمر بن عبد العزيز في هذه المناظرة بإقناع الرجلين إن عمر على حق وإنه يعمل لخير الإسلام والمسلمين[2] .

وعندما عاد الخوارج إلى استعمال القوة والشدة مع والي العراق عبد الحميد أرسل إليهم الخليفة عمر بن عبد العزيز جيشاً من أهل الشام يقوده مسلمة بن عبد الملك فهزمهم وشتت شملهم[3] .

ج. الخوارج في أواخر عهد الخلافة الأموية :

في العصر الأموي المتأخر تكاد تكون جميع حركات الخوارج قد خرجت في الموصل والجزيرة الفراتية ، ففي عهد يزيد بن عبد الملك خرج

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٥ ؛ عطية ، السلطة السياسية والخوارج ، ص٥٣٠ .

(٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص١٣٠-١٣٤ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٣٥٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٥٥ .

شوذب ، فحاربه أهل الكوفة ولم يفلحوا ، فسير إليه يزيد بن عبد الملك جيشاً من بلاد الشام أطاح بشوذب فقتلوه وهزموا أصحابه سنة (١٠١هـ/ ٧١٩م)[١].

وفي خلافة هشام بن عبد الملك خرج بهلول بن بشر الملقب كثارة في أربعين رجلاً من أهل الموصل واتفقوا على قتل والي العراق خالد بن عبد الله القسري ، فلما علم خالد بأمرهم وجه إليهم جيشاً ، فالتقى الطرفان في صريفين – من قرى الكوفة – فهزم جيش خالد ، واستفحل أمر بهلول وهم بالتوجه إلى الشام لقتال الخليفة هشام ، فلما علم عماله بذلك جند له خالد بن عبد الله القسري جند من أهل العراق وجند من الجزيرة الفراتية ووجه إليه هشام جند من أهل الشام فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل ، وأقبل بهلول حتى التقوا بالكحيل – من أرض الموصل في جانب دجلة الغربي – فنشبت الحرب واقتتلوا قتالاً شديداً سنة (١١٩هـ٧٣٧م) وقتل بهلول في هذه المعركة وتفرق أتباعه[٢].

وبعد أن أخذت الدولة الأموية تتداعى لاسيما بعد مقتل الوليد بن يزيد سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م) ، وما أعقبه ذلك من انقسام الأمويين على أنفسهم استغل الخوارج ذلك فخرجوا بزعامة الضحاك بن قيس الشيباني الذي اشتد أمره بعد انضمام الخوارج الصفرية إلى جانبه[٣] ، فزحف نحو الكوفة واستولى

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٧٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٣٠-١٣٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ص٢٤٠-٢٤١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣١٦ ؛ الجميلي ، الخلافة العربية الاسلامية ، ص١٢٢ .

عليها ثم فرض سيطرته على العراق[١] ، مما اضطر مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أن يخرج بنفسه للقضاء على الضحاك ، والتقى مع الخوارج في كفر توثا[٢] ، إذ دارت معركة عنيفة قتل فيها الضحاك سنة (١٢٨هـ/ ٧٤٥م)[٣] ، فاجتمع أتباعه على شيبان بن عبد العزيز اليشكري الذي عسكر في الجانب الشرقي من الموصل ، فسير إليه يزيد بن عمرو بن هبيرة والي العراق جيشاً تمكن من هزيمة الخوارج ، وعلى أثرها هرب شيبان اليشكري إلى سجستان حيث هلك هناك سنة (١٣٠هـ/ ٧٤٧م)[٤] .

هذا ولم يكن العراق والجزيرة الفراتية مسرحاً لحركات الخوارج ، بل امتد خطرهم إلى حضرموت بقيادة عبد الله بن يحيى الكندي الملقب بطالب الحق وكان هذا الرجل من الخوارج الاباضية الذي استطاع من السيطرة على صنعاء فسير له مروان بن محمد جيشاً بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية ، تمكن من هزيمة الخوارج بعد مصرع طالب الحق سنة (١٣٠هـ/ ٧٤٧م)[٥] .

---

١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣١٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٤١ .

(٢) الكفر : تعني القرية ، وكفر توثا من قرى بلاد الشام من أعمال الجزيرة الفراتية ، ينظر : الجوهري ، الصحاح تاج اللغة ، ج٢ ، ص٨٠٧ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١١٦٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣١٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٤١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣٤٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٥٦ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣٧٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٨٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٣٦ .

ثانياً. حركات المعارضة :

أ. حركة حجر بن عدي الكندي :

هو حجر بن عدي بن جبلة بن ربيعة الكندي ، الكوفي ، له صحبة ، اصله من كندة من رؤوساء أهل الكوفة ، شهد القادسية وأسهم في تحرير الشام وكان من أصحاب الإمام علي عليه السلام ، شهد معه موقعتي الجمل وصفين أميراً[١] .

كان حجر ذا صلاح وتعبد يتمتع بشخصية مرموقة بالكوفة فضلاً عن حبه الكبير للإمام علي عليه السلام وتفانيه في الدفاع عن ذكراه والحرص على إظهار حقه صراحة دون خوف أو وجل[٢] .

وعلى ذلك كان حجر دائماً ما يصطدم بالسياسة العامة للدولة التي ينتهجها المغيرة بن شعبة والي الكوفة أثناء خطبته حتى أنه رد يوماً على المغيرة في مسجد الكوفة رداً عنيفاً لعن فيه معاوية والمغيرة معاً[٣] ، غير أن المغيرة لم يتبع مع حجر الشدة إنما كان يحذره بالقول : "يا حجر ويحك أتقِ السلطان ، اتقِ غضبه وسطوته فإن غضبة السلطان أحياناً مما يهلك أمثالك كثيراً ، ثم يكف عنه ويصفح"[٤] .

أما من الناحية الأخرى فإن المغيرة بن شعبة قد حبس الأرزاق والأعطيات عن جماعة من أهل الكوفة فاستاء حجر من ذلك وخاطب المغيرة أثناء خطبته معترضاً على تلك السياسة ،وقام معه ثلثي الناس يطالبون بالأرزاق

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٣٤ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج١ ، ص٣٢٩ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١١ ، ص٢٤٧ .
(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص١٥١-١٥٣ ؛ كنعان ، الخلافة الأموية ، ص١٣١ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٢٥٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٢٥٤ .

والأعطيات[1] ، ويبدو أن هذه الحادثة كانت السبب المباشر لقيام حركة حجر في الكوفة ومجاهرته بها ، لاسيما بعد أن وقف معه بعض الأصحاب ممن تتفق آرائهم معه .

ومرة أخرى فإن المغيرة بن شعبة لم يتخذ موقفاً تجاه حجر ، إنما كان يصفح عنه ، وقد عوتب المغيرة على تلك السياسة السمحة واللينة مع حجر ، ولكنه كان يبرر ذلك ويقول : "ويحكم إني قتلته بحلمي هذا ، إنه سيأتي بعدي ممن لا يحتمله فيقتله شر قتلة ، أما أنا لا أحب أن ابتدئ أهل المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم ، ولكني قابل من محسنهم وعافٍ عن مسيئهم ، وحامد حليمهم ، وواعظ سفيههم حتى يفرق بيني وبينهم الموت ، وسيذكرونني لو جربوا العمال بعدي"[2] .

وبالفعل فقد صح ما توقعه المغيرة بن شعبة ، فبعد وفاته سنة (٥١هـ/ ٦٧١م) أصبح زياد والياً على البصرة والكوفة ، فلما بلغ زياد أن حجر وجماعته يجتمعون ويحرضون الناس[3] ، أمر بإلقاء القبض عليهم وشهد عليهم الشهود ، ثم سيره وأصحابه إلى الشام حيث قتلهم معاوية هناك ، وعوتب معاوية على قتله لحجر وأصحابه ، فقال : لست أنا الذي قتلهم إنما قتلهم من شهد عليهم[4] .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٢٥٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٣٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٥٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٤٢.

(٣) اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ،ج٢ ، ص٢١٨ ؛ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج٣ ،ص٢٣٥.

(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٢٦٨ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج١ ، ص٣٣١.

وقد ترك مقتل حجر وأصحابه أثراً عميقاً في نفوس أهل الكوفة الذين حاولوا الاتصال بالإمام الحسين بن علي عليه السلام يرغبونه بالمجيء إلى الكوفة ، فلما علم معاوية بن أبي سفيان عن طريق مروان بن الحكم عامله على المدينة ، كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام يذكره بالعهد والبيعة ويدعوه إلى عدم الانسياق وراء الذين يحبون الفتنة ، فرد عليه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً : "أنا لا أريد حربك ولا الخلاف عليك"[١] .

ب. نهضة الإمام الحسين بن علي عليه السلام :

كان الإمام الحسين عليه السلام من أوائل الذين رفضوا تعيين يزيد ولياً للعهد في حياة أبيه ، وحافظ على هدوءه طوال مدة خلافة معاوية حتى وفاته سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م)[٢] ، فتولى الأمر من بعده ابنه يزيد ، فأصبح الإمام الحسين عليه السلام في حل من أمره من الخروج على يزيد ، لأنه كان يرى أنه لا يصلح للخلافة لانعدام شروط العدالة فيه ، وإنه أحق بالخلافة منه لقرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتجربته في الإسلام وكبر سنه ، ولذا فهو أكثر منه علماً وفقهاً ويحظى بقبول أكثر لدى الناس[٣] .

أما يزيد فكان همه هو أخذ البيعة من أهل المدينة وفي مقدمتهم الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير اللذان كانا على رأس المعارضين للبيعة له ، وبذلك كان أول عمل له بعد توليه الحكم أنه أرسل رسالة إلى والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يحثه على أخذ البيعة له ، فاستدعى الوليد الإمام الحسين عليه السلام وأقرأه الكتاب وطلب منه مبايعة يزيد ، فأجابه الإمام الحسين عليه السلام :

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٢٥ .
(٢) اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ،ج٢ ، ص٢٤٢ ؛ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج٣ ،ص٢٦٣.
(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٣٩.

"إن مثلي لا يعطي بيعته سراً ، ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن ننظرها على رؤوس الناس علانية ، قال : أجل ، قال : فإذا خرجت إلى الناس فادعوهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكأن أمراً واحداً ، فقال له الوليد وكان يحب العافية : فانصرف على اسم الله"[1] ، وعلى إثر هذه المقابلة انصرف الإمام الحسين عليه السلام إلى داره ، ثم غادر المدينة متوجهاً إلى مكة ومعه جميع أهل بيته إلا أخاه محمد بن الحنفية حيث أقام في المدينة ، وكان عبد الله بن الزبير هو الآخر قد توجه نحو مكة أيضاً[2] .

ولما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية بن أبي سفيان وخروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ، اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي وعزموا على مكاتبة الإمام الحسين عليه السلام ليبايعوه بالخلافة وتسليم الأمر له قائلين له : "إنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة ، لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا أنك أقبلت ألينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام"[3] ، ثم تلقى الإمام الحسين عليه السلام كتب أخرى بهذا المعنى ، ومن هذه الخطابات كتاب يقول : "أما بعد فحي هلا فإن الناس ينتظرونك لا إمام لهم غيرك فالعجل ثم العجل والسلام"[4] ، وهكذا تتابعت عليه الرسل والكتب من جماعات مختلفة من أهل الكوفة بلغت مئات الكتب تدعوه للقدوم إلى مدينتهم[5] .

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٣٩.
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٤٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٣٣.
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٥٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٣٣.
(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٤٢ .
(٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٢٩ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٠٢.

وامام مراسلات أهل الكوفة وقبل أن يتوجه الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق فضل أن يرسل ممثلاً عنه يستطلع نوايا وحال أهل الكوفة ، فكتب بذلك إليهم كتاباً جاء فيه : " أما بعد فقد فهمت كل الذي قصصتم ، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إليَّ أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجة منكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله "[١] ، ثم دعى الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل فسيره نحو الكوفة وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف ، فإن رأى الناس مجتمعين له عجل إليه بذلك[٢] .

وهكذا بدأت رحلة مسلم بن عقيل تجاه العراق فوصل الكوفة في الخامس من شوال سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م) ، ونزل بدار المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، وكان أمير الكوفة آنذاك النعمان بن بشير[٣] ، ويبدو أن مسلم قد أتخذ من دار المختار مركزاً لنشاطه دون غيره ، هو أن المختار كان متزوجاً من عمرة بنت والي الكوفة ، وهذا بطبيعة الحال سوف يضمن له العمل بحرية طالما هو في بيت صهر والي الكوفة[٤] ، وبذلك أخذت الناس تلتف حول مسلم وهو يقرأ كتاب الإمام الحسين عليه السلام فبايعه ثمانية عشر ألفاً على القتال والنصرة ، فكتب بذلك مسلم إلى الإمام الحسين عليه السلام بقوله : " أما بعد فإن الرائد لا يكذب

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٣٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٥٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٣٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٥٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٣٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٥٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٣٤ .

(٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٣ ، ص٥٤٢ .

أهله ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي ، فإن الناس كلهم معك ، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى والسلام"[1] .

ولما فشى أمر مسلم بالكوفة طلب أنصار بني أمية من النعمان بن بشير قتالهم ، وكان النعمان رجلاً يحب العافية ويؤثر السلم فأجابهم : " لا أقاتل إلا من قاتلني ، ولا أثب إلا من وثب عليَّ ، ولا أخذ بالقرفة (التهمة) والظنة "[2] ، إلا أن موقف والي الكوفة هذا لم يقنع أنصار بني أمية ، فكتبوا إلى يزيد في بلاد الشام يخبرونه بتحركات مسلم وسكوت والي الكوفة عنه ، فبادر يزيد بعزل النعمان بن بشير وتولية عبيد الله بن زياد الذي أصبح أميراً على المصرين البصرة والكوفة[3] ، وخرج عبيد الله باتجاه الكوفة يطلب مسلم بن عقيل حتى يظفر به فيقتله أو ينفيه عنها[4] ، وعلم ابن زياد عن طريق جواسيسه أن مسلم يقيم بدار هانئ بن عروة المرادي أحد زعماء الكوفة ، فاستدعاه وطلب منه تسليمه فامتنع عن ذلك ، فأمر عبيد الله بن زياد به فضربه وحبسه بالقصر ، ولما علم بذلك مسلم نادى في أصحابه فاجتمع إليه ناس كثير وسار نحو قصر الإمارة ، فأرسل إليهم عبيد الله بن زياد من يخوفهم ويهددهم ، فتفرق أتباع مسلم عنه وتخلو عن نصرته ، وسرعان ما وجد مسلم نفسه وحيداً لا يجد من يدله على منزل يأوي إليه فظفر به عبيد الله بن زياد وأمر بقتله ، وكان هانئ هو الآخر قد أمر بقتله[5] .

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٩٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٧٥ .
(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٣٠ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص٣١٦ .
(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٣١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٢٣١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص٢٣١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٥٠ .

أما الإمام الحسين عليه السلام فكان يعد العدة وعزم المسير إلى الكوفة ، ولم يكن يعلم ما جرى لمسلم بن عقيل ، وقبل خروجه من مكة جاءه عبد الله بن عباس ونصحه بالتريث وعدم الخروج وقال له : " أخبرني رحمك الله ، أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم ، وضبطوا بلادهم ، ونفوا عدوهم ، فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم ، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبي بلادهم ، فإنهم أنما دعوك إلى الحرب والقتال ، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ، ويخالفوك ويخذلوك ، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك "[1] ، ونصحه عبد الله بن عمر بعدم الخروج وذكره بخذلان أهل الكوفة لأبيه وأخيه[2] ، ومرة أخرى نصحه ابن عباس بعدم الخروج وقال له : " يا بن العم إني أتصبر ولا أصبر ، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال ، إن أهل العراق قوم غدر ، فلا تقربنهم ، أقم بهذا البلد فانك سيدا أهل الحجاز ، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ، ثم أقدم عليهم ، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن ، فإن بها حصوناً وشعاباً ، وهي أرض عريضة طويلة ، وأنت عن الناس في عزلة ، فتكتب إلى الناس وترسل ، وتبث دعاتك ، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية ، فقال له الحسين عليه السلام : يا بن عم ، إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق ، ولكني قد أزمعت وأجمعت على المسير ، فقال له ابن عباس : فإن كنت

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٤٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٨٣ .
(٢) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٦٤ .

سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فو الله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه "[1] .

وعلى الرغم من كل هذه النصائح والتحذيرات لكنها لم تثني الإمام الحسين عليه السلام عن المسير والتوجه نحو العراق ، فقد كان خروجه استجابة للوعود والعهود التي وصلت إليه عبر مراسلات أهل الكوفة ، فضلاً عن ذلك إن خروج الإمام الحسين عليه السلام كان على أساس مبدأ هو التغيير والإصلاح وعبر عن ذلك بقوله : " إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر "[2] .

وفي شهر ذي الحجة سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م) سار الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة بعدد لا يتجاوز الثمانين من أهل بيته وولده وبعض المخلصين من أتباعه وفي الطريق التقى بالشاعر الفرزدق بن غالب فسأله عن أحوال أهل العراق فقال له : " القلوب معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء ، فقال له الإمام الحسين عليه السلام : صدقت لله الأمر والله يفعل ما يشاء ، وكل يوم ربنا في شأن "[3] ، إلا أن ذلك لم يؤثر على عزيمة الإمام الحسين عليه السلام وتمسكه بالمبادئ والقيم التي آمن

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٨٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٤٨ .

(٢) ابن أعثم ، الفتوح ، ج٥ ، ص٢١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٨٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٥٠ .

بها[١] ، وواصل مسيرته وهو في طريقه إلى الكوفة جاءه خبر مقتل مسلم بن عقيل وتخاذل أهل الكوفة عن نصرته ، فقام الإمام الحسين عليه السلام بإعلان هذا الخبر على أصحابه فقال له بعضهم : ننشدك الله إلا ما رجعت من مكانك ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ، بل نتخوف أن يكونوا عليك[٢] ، ويبدو أن الإمام الحسين عليه السلام رغب بالعودة إلى الحجاز ، إلا أن بني عقيل رفضوا ذلك وقالوا : " والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم "[٣] ، فقال الإمام الحسين عليه السلام لا خير في العيش بعد هؤلاء ، من أحب أن ينصرف فلينصرف ، فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً ، لاسيما أولئك الذين انضموا إليه في أثناء رحلته ولم يبق معه سوى أصحابه الذين جاءوا معه من مكة[٤] ، فقرر المسير نحو الكوفة فتصدى له جيش عبيد الله بن زياد بقيادة الحر بن يزيد التميمي ومنع الإمام الحسين عليه السلام من الرجوع وذكر له أنه مأمور بملازمته حتى الكوفة ، غير أن الإمام الحسين عليه السلام رفض الذهاب مع الحر إلى الكوفة ، فاقترح عليه الحر أن يسلك طريقاً يجنبه الكوفة ولا يرجعه إلى المدينة ، فسار الإمام الحسين عليه السلام يتجه شمالاً حتى وصل كربلاء في يوم الخميس الثاني من محرم سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م)[٥] ،

(١) الجميلي ، الخلافة الأموية ، ص٦٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٩٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٥٢ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٥٢ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٩٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٥٢ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٣ ، ص٣٨٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٠٩ .

وكان يطلق على المكان الذي نزله آنذاك اسم الطف[١] ، وحينذاك قدم عليه جيش سيره عبيد الله بن زياد يقوده عمر بن سعد بن أبي وقاص مكوناً من أربعة آلاف مقاتل ، وعرض على الإمام الحسين عليه السلام أن ينزل على حكم عبيد الله بن زياد أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه[٢] ، فرفض الإمام الحسين عليه السلام هذا العرض وعبأ أصحابه ، وكان الحر بن يزيد قد انظم إلى صفوفه وهكذا نشبت الحرب بين كفتين غير متكافئتين من حيث العدة والعدد ، وأخذ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يتساقطون الواحد تلو الآخر حتى بقى وحده فقاتلهم بشجاعة نادرة إلى أن أثخنته الجراح وسقط على الأرض فتكاثر عليه أعداؤه وقتلوه في العاشر من محرم سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م) ، ثم احتزوا رأسه ورؤوس أصحابه وحملها شمر بن ذي الجوشن إلى عبيد الله بن زياد[٣] ، فقام ابن زياد بإرسال رأس الإمام الحسين عليه السلام ومعه أبناءه والنساء والصبيان إلى يزيد بن معاوية في دمشق ، وهناك أمر يزيد بإرجاع رأس الإمام الحسين عليه السلام ودفنه مع الجسد في كربلاء ، كما أمر بإعادة النساء إلى المدينة وكان معهن علي بن الحسين فتى صغير[٤] ، وهكذا سددت السلطة الأموية ضربة قوية للمعارضة العلوية ، وتخلص الحكم الأموي من أقوى المعارضين للخلافة الأموية[٥] ، لكنها في الوقت نفسه فتحت عليها باباً من الشر لم يؤصد حتى سقطت دولتهم

(١) الطف : في اللغة ما أشرف على العراق من أطف على الشيء بمعنى أطل ، والطف طف الفرات أي الشاطئ ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤١١-٤١٢ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٥٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٥٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٥٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٨٥-١٨٧ .

(٥) احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٤٣ .

وفي هذه الواقعة تألق الإمام الحسين عليه السلام رمزاً للبطولة على مر الأجيال الباحثة عن الحرية والحق والعدل .

ت. حركة التوابين :

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام شعر الكوفيون الذين كاتبوه وراسلوه بتأنيب الضمير لخذلانهم له ، واعترفوا بخطائهم الكبير بدعوتهم له إلى النصرة وتركهم إجابته ومقتله إلى جانبهم ولم ينصروه[١] ، فأرادوا أن يكفروا عن إثمهم وخطيئتهم عما اقترفوه بحقه لإرضاء الله تعالى وإراحة ضمائرهم ، فقرروا التوبة إلى الله تعالى من ذلك والتضحية بأنفسهم للثأر من قتلته أو الموت في هذا السبيل ومن ذلك سمو بالتوابين[٢] .

تزعم هذه الحركة خمسة من الرؤوساء البارزين في الكوفة وهم : سليمان بن صرد الخزاعي الذي كانت له صحبة مع الرسول ﷺ ، والمسيب بن نجبة الفزاري ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الازدي ، وعبد الله بن وال التيمي ، ورفاعة بن شداد البجلي ، وهؤلاء جميعاً كانوا من خيار أصحاب الإمام علي عليه السلام[٣] ، فاجتمعوا في منزل سليمان بن صرد وشعروا بكثير من الندم لموقفهم السلبي من ثورة الإمام الحسين عليه السلام وعدم تأييدهم له ، وبعد مناقشات

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج٥ ،ص٥٥٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ،ص٢٤٨.

(٢) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٣٦٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٥٢ .

(٣) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٣٦٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٤٨.

ومداولات استقر رأي هؤلاء أن تكون رئاسة هذه الحركة إلى سليمان بن صرد الخزاعي[1] .

كان ابتداء أمر التوابين أواخر سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م) ، وظلت هذه الحركة سرية حتى وفاة يزيد بن معاوية سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) ، واضطراب الأحوال في بلاد الشام حول أمر الخلافة ، وعجز عبيد الله بن زياد عن ضبط الأمور في البصرة والكوفة ، عند ذلك أظهر التوابون دعوتهم وأجرى سليمان مراسلات مع أنصاره في المدائن والبصرة يحثهم على حمل السلاح للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام فأجابوه جميعهم إلى ما دعاهم إليه[2] ، لكنهم لم يكونوا متفقين حول كيفية الانتقام والتضحية ، إذ كان يرى بعضهم الاستيلاء على الكوفة وتتبع قتلة الإمام الحسين عليه السلام لاسيما الأشراف الذين تواطئوا مع عبيد الله بن زياد ، ولكن هذا الرأي رفضه سليمان بن صرد ورد عليهم بالقول : " رويداً لا تعجلوا إني قد نظرت فيما ذكرتم فرأيت أن قتلة الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب ، وهم المطالبون بدمه ، ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم " ، ثم استقر رأي التوابين على الخروج من الكوفة وقتال قاتلي الإمام الحسين عليه السلام وعلى رأسهم عبيد الله بن زياد المسؤول عن تجمع الجيوش لقتال الإمام الحسين عليه السلام[3] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٥٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٤٨.

(٢) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٣٦٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٥٢.

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٥٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٥٢.

وهكذا تجمع التوابون في معسكر النخيلة بالقرب من الكوفة سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م) ، وعلى الرغم من الأعداد الكبيرة المؤيدة لهذه الحركة والبالغ عددهم ستة عشر ألف ، إلا أنه لم يحضر لهذا المعسكر سوى أربعة آلاف رجل ، والسبب تأخر وصول أهل المدائن والبصرة ، وكان جميع أفراد هذا التجمع عرب من مختلف القبائل العربية ، وهم مسلحون تسليحاً جيداً ، ثم توجهوا إلى كربلاء وزاروا قبر الإمام الحسين عليه السلام وترحموا عليه ، وأظهروا التوبة ، وقطعوا على أنفسهم أخذ الثأر من قاتليه[١] ، ثم ارتحلوا عبر الفرات حتى وصلوا قرقيسياء – من أعمال الجزيرة الفراتية – وبها زفر بن الحارث الكلابي أحد المعارضين للخلافة الأموية ، فهيأ لهم كل ما يحتاجونه من المؤن ، وأخبرهم بتحركات عبيد الله بن زياد الذي كان نازلاً بالرقة ، ثم نصحهم بالتوجه إلى عين الوردة[٢] للقاء عدوهم وقال لهم : "اجعلوها في ظهوركم فيكون الماء والمادة في أيديكم ، وما بيني وبينكم فأنتم آمنون"[٣] .

وفي عين الورد دارت رحى الحرب بين سليمان وأتباعه وجند أهل الشام سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م) فتقاتلا قتالاً شديداً كان فيه النصر حليفاً للتوابين ، فلما بلغ الخبر عبيد الله بن زياد سير الحصين بن نمير السكوني في أثنى عشر ألفاً ، ثم بثمانية آلاف بقيادة شرحبيل بن ذي الكلاع ، ثم أتاهم المدد من أهل الشام في

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٣٦٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٨٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٦٤.

(٢) عين الوردة : مدينة قرب نصيبين وقرب الرقة من أعمال الجزيرة الفراتية ، ينظر : الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٩٠٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط٢ ، دار السراج ، (بيروت – ١٩٨٠م) ، ص٢٦٤ .

(٣) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٣٧٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٩٥ .

عشرة آلاف يقودهم أدهم بن محرز الباهلي ، وفي يوم الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى الأول سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م) دارت معركة عنيفة واقتتلوا قتالاً لم يرَ مثله[١] ، واستمرت المعركة حتى يوم الجمعة انتصر فيها أهل الشام بعد أن قتل قائد الحركة سليمان بن صرد وهزيمة الباقين من دون أن يطاردهم أحد من جند أهل الشام في انسحابهم ، وفي الطريق التقوا بأنصارهم القادمين من أهل البصرة والمدائن الذين لم يصلوا إلى المعركة في الوقت المناسب وقرروا العودة فعاد الجميع إلى الكوفة[٢] .

ث. حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي :

تنسب هذه الحركة إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي ولد ونشأ في مدينة الطائف ، ويقال : أنه ولد في السنة الأولى التي هاجر فيها الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة[٣] ، أما أبوه عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ، ولد ونشأ في مدينة الطائف وأسلم في حياة النبي ﷺ وله صحبة معه[٤] ، ثم استعمله الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قائداً للحملة العسكرية المتوجهة إلى تحرير العراق ، وبذلك خرج أبو عبيد الثقفي على رأس تلك الحملة وبرفقته زوجته دومة بنت عمرو بن وهب وأبناءه جبر والمختار[٥] .

استطاع أبو عبيد أن يحقق بعض الانتصارات على الفرس مما أقلقهم وجعلهم يحشدون قواتهم لملاقاة المسلمين ، فالتقى الطرفان في موقعة الجسر سنة

(١) البلاذري ،انساب الأشراف ،ج٦ ، ص٣٧١ ؛الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٥ ،ص٥٩٨.
(٢) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٣٧١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٩٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٦٦ .
(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٠٠ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٤ ، ص١٢٣ .
(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٦ ، ص٢٠١ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٦ ، ص٢٧٥ .
(٥) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٣٧٥ .

(١٣هـ/ ٦٣٤م) ، وانتهت المعركة بمقتل أبو عبيد الثقفي وهزيمة المسلمين ، وفي هذه المعركة كان المختار حاضراً وشاهد مصرع أبيه وأخيه جبر وكان عمره آنذاك ثلاث عشرة سنة[١] .

وفي العراق عاش المختار مع عمه سعد بن مسعود الثقفي الذي كان والياً على المدائن للإمام علي عليه السلام ، وتزوج بنت النعمان بن بشير الأنصاري ، وكانت له ضيعة (أرض زراعية) بالقرب من منزله تدعى الخطرنية كان يعمل فيها مع مواليه[٢] ، ولم يظهر المختار على مسرح الأحداث السياسية إلا بعد قدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة فاستقبله المختار في داره ، وأخذت الناس تتجمع عليه لإعلانهم البيعة للإمام الحسين عليه السلام ، ولما انتهى أمر مسلم بن عقيل بالقتل أمر عبيد الله بن زياد بالقبض على المختار ثم ألقاه في السجن متهماً إياه بالتستر على أعداء الخلافة الأموية[٣] ، إلا أنه استطاع أن يخرج من السجن بعد أن توسط له عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان متزوجاً من أخت المختار عند يزيد بن معاوية ، فخرج من السجن ولكنه نفي خارج الكوفة بشرط من ابن زياد[٤] .

فذهب المختار إلى الحجاز واتصل بعبد الله بن الزبير في مكة وحارب إلى جانبه في أثناء الحصار الذي فرضه الحصين بن نمير السكوني ، وبينما كان القتال مستمر وصل خبر وفاة يزيد بن معاوية فتوقف القتال ، وعاد المختار إلى الكوفة

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٧٩ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة ، ج٦ ، ص٢٠١؛ ابن حجر العسقلاني ، ج٦ ، ص٢٧٥ .
(٢) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٣٧٦ .
(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ص٢٥٨ .
(٤) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٣١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٥٨ .

وادعى للناس أنه موفد إليهم من قبل محمد بن الحنفية للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام فاستجاب إليه عدد كبير من أهل الكوفة ، كما نجح في ضم بقايا التوابين إلى جانبه ، ولكن بعض أشراف أهل الكوفة لم يكونوا مطمئنين إلى نوايا المختار وادعائه ، فحذروا والي الكوفة منه فقبض عليه وأودعه السجن ، ولكنه استطاع أن يخرج من السجن مرة أخرى بشفاعة عبد الله بن عمر رضي الله عنه وبكفالة عشرة من وجهاء أهل الكوفة[1] .

واستمر أمر المختار يتنامى في الكوفة حتى استعمل ابن الزبير عبد الله بن مطيع والياً على الكوفة سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م) ، فعزم المختار على إظهار دعوته واستعان بإبراهيم بن مالك الاشتر النخعي ، وبفضل تعاون ابن الاشتر تمكن المختار من اقتحام قصر الإمارة بالكوفة وطرد واليها منها[2] ، ونتيجة لذلك فقد هرب بعض أشراف الكوفة إلى البصرة ، أما الباقون فقد بايعوا المختار على كتاب الله وسنة رسوله ، والمطالبة بدماء أهل البيت والدفاع عن الضعفاء ، وبذلك استطاع المختار أن يفرض سيطرته على الكوفة والعراق والمناطق الشرقية مثل همذان واصبهان والري وعين عليها الولاة[3] .

كانت حركة المختار في بداية الأمر تضم عناصر كثيرة من القبائل العربية ، ثم ازدادت قوته بعد أن انضم تحت قيادته جموع كثيرة من الموالي ، فقد انضم إليه أول الأمر خمسمائة ثم ازداد عددهم إلى أربعين ألف وكان معظم هؤلاء

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٢٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٢.

(٢) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٢٨٥-٢٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٦ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٩٩ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٦ ، ص٢٨٨ .

الموالي من الفرس[١] ، وحاول المختار في أول الأمر أن يوفق بين جميع العناصر التي انضمت إلى حركته ، لكنه لم يستطع أن يستمر طويلاً في محاولة التوفيق بين أشراف الكوفة والموالي ، لأن مصالح الاثنين كانت متعارضة تماماً ، فقد لاحظ الموالي مجاملة المختار لأشراف أهل الكوفة فشكوا ذلك إلى كيسان زعيمهم وقائد حرس المختار غير أن المختار طمئنهم ، وفي الوقت نفسه لم يرض العرب أيضاً عن سياسة المختار في التقرب من الموالي لاسيما بعد أن قرب مجالسهم وسمح لهم بمشاركة العرب بالفيء وركوب الخيل[٢] .

ويبدو أن سياسة المختار الأخيرة في اعتماده على الموالي لم ترق لبعض قبائل الكوفة لاسيما قبائل كندة إذ خلعوا طاعته واجتمعوا على محاربته وثاروا ضده في جبانة السبيع (محلة بالكوفة) سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م)، فخرج إليهم إبراهيم بن مالك الاشتر فقاتلهم وتمكن من تحقيق الانتصار عليهم بعد أن قتل منهم نحو خمسمائة واسر نحو مائتين منهم ، أما البقية فقد هربوا الى البصرة والتحقوا بمصعب بن الزبير[٣] .

بعد هذه الموقعة كان على المختار أن يستعد لمواجهة خطر الجيش الأموي الزاحف نحو العراق بقيادة عبيد الله بن زياد ، فجهز المختار حملة عسكرية بقيادة إبراهيم بن مالك الاشتر، وعند نهر الخازر – بالقرب من الموصل – في العاشر من محرم سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م) التقى الجيشان ودارت معركة عنيفة قتل فيها عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير السكوني وشرحبيل بن

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٠٦-٣٠٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٤ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٤٩ .

(٣) ابن أعثم ، الفتوح ، ج٦ ، ص٢٦٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٢٢٠ .

ذي الكلاع مع عدد من جند الخلافة الأموية ، وكان النصر حليف جيش المختار وبذلك دانت له الموصل وأرمينية وأذربيجان[1] .

بعد هذه الانتصارات التي حققها المختار كان عليه أن يواجه خطر عبد الله بن الزبير الذي عين أخاه مصعباً والياً على البصرة وأمره بحرب المختار ، فاستعد مصعب لحرب المختار لاسيما وإن الكوفيين الذين التجأوا إلى البصرة كان عددهم أكثر من عشرة آلاف ، طلبوا من مصعب أن يخلص الكوفة من المختار ، وبذلك أخذ مصعب يجمع الجند واستدعى المهلب بن أبي صفرة عامله على فارس للانضمام إلى جيشه ، ثم سار مصعب بنفسه إلى قتال المختار في جيش كبير ، واشتبك مع جيش المختار في المذار (ميسان) سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م) وتمكن من الانتصار عليه بعد أن قتل احمر بن شميط قائد جيش المختار ، ولم ينجُ من هذه المعركة سوى الذين نقلوا خبر الهزيمة إلى المختار ، ثم واصل مصعب زحفه نحو الكوفة واضطر المختار إلى التراجع أمام ضربات جيش مصعب ، وتحصن داخل قصر الإمارة في الكوفة ، وتم محاصرته لأربعة أشهر ، وقيل : أربعين يوماً ، وأمام هذا الحصار اضطر المختار إلى الخروج فقاتل حتى قتل في الرابع عشر من رمضان سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م) ، وهكذا خضع العراق كله لعبد الله بن الزبير[2] .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٢٧ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٠٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٠٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٠-٣٤١ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٤ ، ص١٢٣ .

ج. حركة عمرو بن سعيد الاشدق :

هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية المسمى بالأشدق لفصاحته وبلاغته[١] ، كان يطمح إلى الخلافة وذلك بحسب مقررات مؤتمر الجابية التي نصت أن تكون الخلافة الى مروان بن الحكم ومن بعده لخالد بن يزيد ومن بعده لعمرو بن سعيد[٢] ، لكن مروان جعلها لولديه عبد الملك وعبد العزيز من بعده[٣] ، الأمر الذي أثار نقمة عمرو بن سعيد على العكس من خالد بن يزيد الذي انصرف إلى شؤونه واهتماماته العلمية لاسيما علم الكيمياء[٤]

ويبدو أن مروان بن الحكم قد وعد عمرو بن سعيد بالخلافة من بعده أو أنه جعل ولاية العهد له بعد ابنه عبد الملك[٥] ، لهذا كان عمرو بن سعيد أشد الناس في أمر مروان بن الحكم حتى ولي الخلافة[٦] ، فلما مات مروان وبويع عبد الملك بالخلافة رأى من الحكمة أن يداهن عمرو بن سعيد ، فيبدو أنه وعده بالخلافة من بعده وذكره أنه من العار أن يتخلف بنو أمية وهناك ابن الزبير على وشك أن ينتصر ، فبقي عمرو بين القناعة بهذا الوعد وبين الرغبة في

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص١٠٢ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٣ ، ص١٦١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٩ ، ص١٥٨ ؛ وقيل : سمي بذلك لأنه كان أفقم مائلاً إلى الذقن فمن أجل ذلك قيل له : لطيم الشيطان لميل كان في فمه ، ينظر : النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، (القاهرة – بلات) ، ج٢١ ، ص١٠٠ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٥٨ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٦ ، ص١٣٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦١٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٦١٠ .

(٥) الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٣ ، ص١٦١ .

(٦) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص١٤٣ .

اعلانه وتثبيته ، وظل الحال على ذلك حتى سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨م) أو (٧٠هـ/ ٦٨٩م)[١] .

بدأت شرارة الحركة حينما خرج عبد الملك بن مروان من دمشق نحو العراق لمحاربة مصعب بن الزبير ومعه عمرو بن سعيد ، فلما شارف على نهر الفرات قال عمرو : كان أبوك قد وعدني أن يوليني الأمر بعده وعلى ذلك قمت بشأنه وحاربت معه ، فاجعل لي الأمر بعدك ، لكن عبد الملك لم يكترث لذلك ولم يجبه بشيء يسره ، فانصرف عمرو مع أتباعه على حين غفلة من عبد الملك ليلاً عائداً إلى دمشق وتحصن بها[٢] ، وفي رواية أخرى إن ذلك تم حينما خرج عبد الملك إلى قرقيسياء لمحاربة زفر بن الحارث الكلابي واستخلف على دمشق عمرو بن سعيد ، فاستغل عمرو فرصة غياب عبد الملك فدعا الناس إلى البيعة وتحصن بدمشق[٣] ، وتذكر رواية أخرى أن عمرو بن سعيد كان مع عبد الملك حين خرج إلى قرقيسياء فرجع ليلاً إلى دمشق وتحصن بها[٤] .

وبكل الأحوال فإن عبد الملك حينما بلغه خبر رجوع عمرو بن سعيد عاد بقواته على الفور إلى دمشق وحاصرها ودارت بينهما بعض الاشتباكات استمرت ستة عشر يوماً ، ثم لعبت السياسة دوراً بين الاثنين حيث تدخل بنو أمية وأشراف أهل الشام بينهما حتى تصالحا على شروط أهمها أن تكون الخلافة باسم عبد الملك بن مروان فإن مات عبد الملك فالخليفة من بعده لعمرو بن سعيد ، وأن يستشيره في الأمور كلها وجميع قراراته ، وأن يوليه بيت المال

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٨٦ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص٥٩ .
(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٣٤٣ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٤٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص١٤٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١١٤ .

والديوان ، وأن يكون مع كل عامل لعبد الملك شريك لعمرو بن سعيد ، وكتب بينهما كتاباً واشهدوا عليه أشراف أهل الشام[١]

ويبدو إن عبد الملك لم يكن راغباً في تنفيذ هذا الاتفاق ، ويتضح ذلك حينما سأله روح بن زنباع الجذامي الصديق الوفي لعبد الملك ذات يوم هل من رأيك الوفاء لعمرو؟ ، فرد عليه عبد الملك ويحك يا ابن زنباع ، وهل اجتمع فحلان في هجمة قط إلا قتل أحدهما صاحبه[٢] .

وهكذا كان يرى عبد الملك إن ملكه مزعزع لاسيما وإن عمرو بن سعيد كان معجباً بنفسه مغتراً بأعدائه ولا يمكن أن يأمنه ، ولذلك أخذ يعمل على تصفيته والخلاص منه ، إذ أرسل إليه فأتاه عمرو بن سعيد في مائة رجل من مواليه ، فأمر عبد الملك بحبس من معه وأذن له بالدخول ، فاجتمع مع عبد الملك رجال الدولة ، ثم أمر عبد الملك غلامه بقتل عمرو بن سعيد فقتله ، وكان ذلك سنة (٧٠هـ/ ٦٨٩م)[٣] ، وحاول أصحاب عمرو بن سعيد اقتحام القصر ومقاتلة عبد الملك ، فلما أحس بهم يحيطون بالقصر ألقى إليهم رأسه وألقى معه الأموال ، فلما رأى الناس الرأس والأموال يئسوا من نصرته وانهالوا على الأموال يلتقطونها وتفرقوا ، وبذلك استتب أمر دمشق لعبد الملك بن مروان[٤] .

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٨٦ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٤٤٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٨٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٣٣٨ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٨٦ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٨٦ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٤٤٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٩١ .

(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص١٥٥-١٥٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٥٩ .

ح. حركة عبد الله بن الزبير :

تنسب هذه الحركة إلى عبد الله بن الزبير أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة إلى المدينة[١] ، من أسرة كريمة عريقة النسب ، فوالده الزبير بن العوام القرشي أحد السابقين بدعوة الرسول ﷺ ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ، وجدته لأبيه صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ ، وعمة أبيه خديجة بنت خويلد أم المؤمنين (رضي الله عنها) ، وخالته عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)[٢] ، ولأن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) لم يكن لها ولد فقد تبنت تربيته في بيت الرسول ﷺ وأصبح كأنه ابنها حتى كانت تكنى أم عبد الله[٣] .

نشأ عبد الله بن الزبير في المدينة وتلقى فيها علومه ومعارفه حتى أصبح فيما بعد من كبار الشخصيات في قريش التي لاقت شهرة في التاريخ الإسلامي ، واستمر مقيماً في المدينة حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م) ، فارتحل إلى مكة وظل فيها حتى خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق وما تبع ذلك من أحداث انتهت باستشهاده سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م)[٤] .

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة خطيباً وعظم مقتله وعاب على أهل الكوفة خاصة وأهل العراق عامة[٥] ، كما ندد بسياسة الدولة الأموية التي انتهت إلى تلك المأساة ، فسار إليه أصحابه من أهل

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٨ ، ص١٤٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٣٧.
(٢) النووي ، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ) ، تهذيب الأسماء واللغات ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – بلات) ، ج١ ، ص٢٦٦ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص٣٦٣ .
(٣) الذهبي ، سير اعلام البنلاء ، ج٣ ، ص٣٦٣-٣٦٥ ؛ شلبي ، الدولة الأموي ، ص٢١٦ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٥٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٣٧.
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٧٤ .

مكة وقالوا : اظهر بيعتك فإنه لم يبق أحد ينازعك في هذا الأمر[١] ، فخلع الطاعة ليزيد ودعاهم إلى بيعته فبايعوه جميعاً وامتنع عن بيعته عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية ، وبذلك علا أمر ابن الزبير بمكة[٢] .

أما أهل المدينة فقد كان رد فعلهم عنيفاً حينما سمعوا بخبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ، إذ خلعوا الطاعة عن يزيد وقاموا بإخراج بني أمية من المدينة ومن يرى رأيهم من قريش ، وطردوا واليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد بن معاوية منها[٣] ، ثم ولوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظله[٤] ، وأعلنوا تأييدهم لابن الزبير وكاتبوه يعلمونه أنه ليس هناك من ينازعك في هذا الأمر[٥] .

ولما بلغ يزيد بن معاوية أخبار أهل الحجاز قام بإرسال وفد لمقابلة عبد الله بن الزبير ودعوته إلى الصلح ، غير أن تلك المفاوضات لم تصل إلى نتيجة ، كما واتضح له أن الأمور في المدينة تسير من سيء إلى أسوأ بتحريض ابن الزبير[٦] ، وإزاء ذلك قام يزيد بإرسال جيش من اثني عشر ألف مقاتل ، وقيل : خمسة آلاف لإخضاع الحجاز تحت السيطرة بقيادة مسلم بن عقبة المري ، فوصل ذلك

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٧٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٠٠ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٦٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٨٢ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢١١ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٥ ، ص٢٤ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٣٠٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٧٥ .

(٦) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٤٧ ؛ الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية ، ص٦٨ .

الجيش شرق المدينة في ذي الحجة سنة (٦٣هـ/ ٦٨٢م) ، ونزل الحرة – على بعد ميلين من المسجد النبوي – فخرج أهل المدينة يحاربونه[١] ، فدعاهم مسلم إلى الطاعة وأمهلهم ثلاثة أيام ، غير أن أهل المدينة رفضوا ذلك ، فنشب القتال واستطاع مسلم من اقتحام المدينة وإخضاعها تحت السيطرة ، ثم أباح المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد بن معاوية ، فأسرف هو وجنده في قتل خلق كثير من أشرافها وقرائها[٢] .

ثم توجه ذلك الجيش إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير ، وفي الطريق مات مسلم بن عقبة فتولى قيادة الجيش الحصين بن نمير السكوني ، فوصل مكة سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) وتحصن منه ابن الزبير في المسجد الحرام في جميع من كان معه[٣] ، وحاصر أهل الشام مكة حصاراً شديداً وضيقوا عليهم طيلة الشهور الأربعة الأولى من سنة (٦٤هـ/ ٦٨٤م) ، وبينما كان القتال دائر بين الطرفين وصل خبر وفاة يزيد بن معاوية فتوقف القتال[٤] ، وأرسل الحصين إلى ابن الزبير يطلب مهادنته وقال له : " أن يكُ هذا الرجل قد هلك (يقصد به يزيد) فأنت أحق الناس بهذا الأمر ، هلم فلنبايعك ، ثم أخرج معي إلى الشام ، فإن هؤلاء الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم ، فو الله لا يختلف عليك اثنان ،

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٥٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٤٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣١٤ ؛ السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد ، (ت٩١١هـ) ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق : محمد محي الدين ، ط١ ، مطبعة الآداب ، (القاهرة – ١٩٥٠م) ، ج١ ، ص١٠٢ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٣٣٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٨٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣١٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٢٠ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٦٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٦٧ .

وتؤمن الناس وتهدر الدماء التي كانت بيننا وبينك ، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة "[١] ، غير أن ابن الزبير رفض ذلك بشدة بسبب ما أصاب أهل المدينة من القتل على يد مسلم بن عقبة ، ورد على ذلك قائلاً : " لا والله لا أفعل حتى أقتل بكل رجل منهم عشرة "[٢] ، فرد عليه الحصين قائلاً : " قبح الله من يعدك بعد هذا داهياً ، أكلمك سراً وتكلمني جهراً ، أدعوك إلى الخلافة وتعدني القتل والهلكة "[٣] ، وعلى أثر ذلك تركه الحصين وانصرف مع جيشه إلى الشام[٤] .

بعد وفاة يزيد بن معاوية اضطربت أحوال بني أمية على أثر تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة ، إذ أصبح منصب الخلافة شاغراً ، وعلى ذلك بايعت معظم أقاليم الدولة العربية الإسلامية عبد الله بن الزبير بالخلافة ما خلا الجابية والأردن ، وبذلك أصبح ابن الزبير الخليفة الشرعي وعين الولاة على الأقاليم[٥] ، غير أن تطورات الأحداث السياسية في بلاد الشام سارت في غير صالح عبد الله بن الزبير ، إذ اجتمع بنو أمية في الجابية سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) واختاروا مروان بن الحكم خليفة للمسلمين[٦] ، واستطاع مروان سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م) من إحكام سيطرته على بلاد الشام ، ثم سار إلى مصر واستعادها من عبد الرحمن بن جحدم الفهري عامل ابن الزبير واستعمل ابنه

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٠١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٥ ، ص٣٤.
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٠٢ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٠٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٥٠٢ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٣ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٤٥-١٤٨ .
(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٣٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣١.

عبد العزيز والياً عليها ثم عاد إلى دمشق[١] ، ومن هناك أرسل حملتين ضد ابن الزبير ، فكانت الحملة الأولى نحو العراق بقيادة عبيد الله بن زياد لكنها انشغلت بقتال زفر بن الحارث الكلابي أحد المعارضين للحكم الأموي[٢] ، أما الحملة الأخرى توجهت نحو الحجاز غير أنها منيت بهزيمة على يد ابن الزبير[٣] ، وهكذا فإن هاتين الحملتين لم تحققا أهدافها في عهد مروان بن الحكم الذي وافاه الأجل سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[٤] .

خلف عبد الملك بن مروان أباه في الحكم الذي ما أن استقامت له الأمور في بلاد الشام حتى سار بنفسه على رأس جيش كبير نحو العراق سنة (٧١هـ/ ٦٩٠م) لاستعادته من مصعب بن الزبير عامل أخيه عبد الله على العراق ، فنزل مسكن[٥] ، وسار مصعب بجيشه ونزل باجميرا[٦] ، فكان بين العساكر ثلاثة فراسخ[٧] ، وبادر عبد الملك بالاتصال ببعض القادة الذين كانوا

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٦١-١٦٢ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٣ ، ص١٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣٠-٥٣٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٥٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦١١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٧.

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢١٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦١١؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٧٣ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٦٧٢ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص١٠٥.

(٥) مسكن : موضع قريب من أوانا على نهر الدجيل ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٢٧ .

(٦) باجميرا : موضع دون تكريت الى الموصل ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج١ ، ص١٤٧ .

(٧) الفرسخ : ثلاثة أميال ، والميل ١٦٢٠م ، وبذلك تكون المسافة بين الجيشين تقريباً ١٤.٥٨٠كم ينظر : المهلبي ، الحسن بن احمد (ت٣٨٠هـ) ، المسالك والممالك ، تحقيق : تيسير خلف ، (بلام – بلات) ، ص١٩ .

مع مصعب لاستمالتهم للوقوف إلى جانبه ووعدهم بالولايات والأعطيات ، وكان إبراهيم بن مالك الاشتر ممن راسلهم ، فجاء بالكتاب إلى مصعب دون أن يفتحه فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق ، ثم أخبر مصعب أنه لم يبق أحد من أمرائك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا ، واقترح عليه قتل هؤلاء القادة الخونة جميعاً لكن مصعب رفض ذلك[١] ، وعندما تقابل الجيشان بدير الجاثليق[٢] سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م) ، بدأ القتال وانتهت المعركة بهزيمة مصعب بعد مقتله مع عدد كبير من أتباعه وعلى رأسهم إبراهيم بن الاشتر ، وبذلك دانت العراق لعبد الملك بن مروان وعين أخاه بشر بن مروان والياً عليه سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)[٣] .

لم يبق أمام عبد الملك سوى عبد الله بن الزبير في مكة ، فوجه إليه الحجاج بن يوسف الثقفي في ألفين ، ويقال : خمسة آلاف من أهل الشام[٤] ، وكان يحمل معه آماناً من عبد الملك بن مروان لعبد الله بن الزبير ومن معه إن دخلوا في طاعته ، فسار الحجاج بذلك الجيش سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م) حتى نزل الطائف ثم

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٥٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٧٨ .

(٢) دير الجاثليق : أول أرض تكريت غربي دجلة ، ينظر : البكري ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط٣ ، عالم الكتب ، (بيروت – ١٤٠٣هـ) ، ج٢ ، ص٥٧٢ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣١٣ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٩٠ ؛ الطبري تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٥٧-١٥٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٧٨-٣٧٩ .

(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٣٥٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٧٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٩٩ .

توجه نحو مكة ، ولم يخرج ابن الزبير لمواجهته بل تحصن بالحرم المكي[١] ، وبذلك حاصر الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير في مكة ونصب المجانيق على جبل أبي قبيس المطل على مكة وبدأ يضرب ابن الزبير في الحرم المكي ، واستمر ذلك الحصار نحو ستة أشهر ، وقيل : ثمانية أشهر ، عانى فيها ابن الزبير وأتباعه كثيراً بسبب نقص المواد الغذائية[٢] ، وقد ترتب على تردي الأحوال داخل مكة أن تفرق عن ابن الزبير أصحابه لاسيما بعد إعطاء الحجاج الأمان لكل من ترك القتال وانسحب من جيش ابن الزبير ، فتخلى عنه عدد كبير من أتباعه حتى بلغ عدد من التجأ إلى الحجاج نحو عشرة آلاف ، وكان ممن فارق ابن الزبير أبناءه حمزة وخبيب[٣] ، وهكذا بقى ابن الزبير في عدد قليل من أتباعه فخرج وقاتل حتى قتل مع عامة مؤيديه في سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م)[٤] ، وبذلك انتهت حركة عبد الله بن الزبير التي تعد آخر حركات المعارضة السياسية في إقليم الحجاز خلال العصر الأموي ، واستقر الأمر لعبد الملك بن مروان بعد أن أسندت ولاية الحجاز الى الحجاج بن يوسف الثقفي[٥] .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٥ ، ص٣١٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٥ ، ص٣١٤ . .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٩-١٩٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ص٣١٥-٣١٧ .

خ. ثورة زيد بن علي عليه السلام :

هو زيد بن علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، ولد في المدينة المنورة على أرجح الروايات سنة (٨٠هـ/ ٦٩٩م)[١] ، أمه جارية اشتراها المختار بن أبي عبيد الثقفي وأهداها للإمام علي بن الحسين عليه السلام فتزوجها وأنجبت له زيد وعمر[٢] ، كان زيد أحد سادات بني هاشم ومن كبار أهل البيت فضلاً وزهداً وشجاعة ، اشتهر بعلمه وفقهه وفصاحته نبيهاً فطناً عالماً بالقرآن علماً جما ، ولذا كان يلقب حليف القرآن[٣] .

أما عن الأسباب التي كانت وراء إعلان زيد بن علي ثورته ، فهناك أسباب غير مباشرة تتعلق بشخصية زيد بن علي فهو كان رافضاً للحكم الأموي معلناً أنهم قد اغتصبوا حقهم في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن جهة أخرى نتيجة لممارستهم التعسفية تجاه العلويين وما حدث لهم من قتل وتشريد ، وعلى ذلك كان زيد رافضاً لخلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م) ساعياً إلى إعلان الثورة[٤] .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٠٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٩ ، ص٤٥٠ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٥ ، ص٢٢ .

(٢) الاصبهاني ، مقاتل الطالبين ، ص٨٦ .

(٣) الجاحظ ، أبو عثمان بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين ، تحقيق : حسن السندوبي ، (قم – ١٤٠٩هـ) ، ج١ ، ص٣١١ ؛ الاصبهاني ، مقاتل الطالبين ، ص٨٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٣ ، ص٤١٥ ؛ البراقي ، السيد حسين بن السيد احمد (ت١٣٣٢هـ) ، تاريخ الكوفة ، المكتبة الحيدرية ، (النجف الاشرف – ١٤٢٤هـ) ، ص٣٧٩ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٢٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢١٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٤٤٥ .

أما عن الأسباب المباشرة فهناك أكثر من رواية في أسباب خروجه من المدينة إلى بلاد الشام ، ومن ثم إلى الكوفة وإعلان ثورته ، فهناك رواية تقول : إن الخليفة هشام بن عبد الملك كان يشك أن زيد بن علي ينوي إعلان الثورة ، فأرسل إليه يطلب شخوصه إلى بلاد الشام ، فلما التقى به الخليفة قال له : " لقد بلغني يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها وأنت ابن أمة "[1] ، فرد عليه زيد ولكني لا أعرف أحد أعظم منزلة ولا أرفع درجة عند الله من نبي بعثه الله تعالى وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وهو ابن أمة ، وأخوه إسحاق ابن حرة ، فلم يمنعه ذلك أن ابتعثه الله نبياً وجعله أباً للعرب وأخرج من صلبه خير البشر محمد ﷺ ، ثم خرج من عنده وسار إلى الكوفة[2] .

وترد رواية أخرى مفادها أن والي العراق يوسف بن عمر (١٢٠-١٢٦هـ/ ٧٣٧-٧٤٣م) كتب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك يعلمه أن الوالي الذي سبقه خالد بن عبد الله القسري (١٠٥-١٢٠هـ/ ٧٢٣-٧٣٧م) قد ادعى أنه أودع عند زيد بن علي مبلغاً من المال قدره ستمائة ألف درهم ، وعلى ذلك طلب هشام بن عبد الملك استدعاء زيد إلى بلاد الشام ، فخرج زيد من المدينة إلى بلاد الشام والتقى بالخليفة وجرى بينهما نقاش ، ثم طلب منه التوجه نحو الكوفة حتى يجمع بينه وبين خالد القسري ، فلما قدم الكوفة أنكر خالد مسألة الوديعة وقال : " إن زيد مالي عنده مال قليل ولا كثير "[3] ، وبناءً على أوامر

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٤١ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٨ ، ص٤٢٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٦٥ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٤١ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٨ ، ص٤٢٢ ؛ الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٧ ،ص١٦٥ ؛ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج٤ ، ص٢٥٨.

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٢٥ .

الخليفة أمر والي العراق زيد بمغادرة الكوفة من ساعته[١] ، فخرج زيد متوجهاً إلى المدينة ، فلما وصل القادسية لحق به أهل الكوفة وطلبوا منه الرجوع وقالوا له : "أين تخرج عنا رحمك الله ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة يضربون بني أمية بها دونك ، وليس عندنا من بني أمية إلا نفر قليل لو أن قبيلة واحدة منا صمدت لهم لكفتهم بإذن الله"[٢] ، فأبى عليهم طلبهم فما زالوا يناشدونه حتى رد عليهم : إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدي[٣] ، فحلفوا له أنهم لن يخذلوه وقالوا له : إنا لنرجو أن تكون أنت المنصور وإن هذا الزمان هو الذي يهلك فيه بنو أمية[٤] .

وهكذا رجع زيد بعد أن أعطوه العهود والمواثيق وأقبلت عليه الناس يبايعونه ، ثم خرج إلى البصرة ، وبعد شهرين رجع إلى الكوفة ومنها أرسل إلى أهل السواد والموصل رجالاً يدعون له[٥] ، وبلغ عدد من بايعه من أهل الكوفة خاصة أربعة عشر ألف[٦] ، وقيل : خمسة عشر ألف[٧] ، وكانت دعوته التي يبايع عليها الناس : "إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجهاد الظالمين

(١) ابن أعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص٨٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٣٠ .
(٢) الاصبهاني ، مقاتل الطالبين ، ص٩١ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب ، ص١٣١ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٦٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٢٦٠ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٦٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٢٠٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٢٦٠ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٤ ، ص٣٩٨ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٧١ .
(٦) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٦ ، ص٥٠ .
(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٧١ .

والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وتقسيم هذا الفيء بين أهله بالسواد ، ورد المظالم ، ونصر أهل البيت [١] .

ويبدو أن والي الكوفة لم يكن يعلم بأمر زيد وتحركاته ومبايعة الناس له حتى كتب إليه الخليفة هشام يخبره بذلك ويأمره بالبحث في طلبه ، وأن يعطه الأمان فإن لم يقبل فقاتله[٢] ، فأخذ يوسف بن عمر يتحرى عن مكان زيد ، فلما أصبح أمر زيد مكشوفاً قرر إعلان الخروج على بني أمية[٣] ، وقبل إعلان الثورة تسربت الأخبار إلى والي الكوفة فقام بحجز الناس في المسجد قبل يوم من خروج زيد ومنعهم من نصرته[٤] ، ولما أراد زيد من أصحابه الاستعداد للخروج تفرقوا عنه حتى لم يبق معه سوى مائتين وثمانية عشر ، وقيل : ثلاثمائة رجل[٥] ، ويبدو أن سبب تفرق أصحاب زيد أن أهل الكوفة معروف عنهم حينما تشتد الصعاب والمحن عليهم يتراجعون عن موقفهم خوفاً من بطش الدولة الأموية ، فضلاً عن ذلك فإنهم سألوا زيد لما أراد الخروج ماذا تقول في أبي بكر وعمر ﷺ ، فقال لا أقول فيهما إلا الخير ، وما سمعت من أهلي فيهما إلا الخير ، فقالوا : لست بصاحبنا ، وتفرقوا عنه ، فقال : رفضنا القوم فسموا بالرافضة[٦] .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٧٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٢٥٩ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٨٨ .
(٣) ابن أعثم ، الفتوح ، ج٦ ، ص٢٨٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٨٨.
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٨٢ .
(٥) ابن أعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص١١٧-١١٨ ؛ الاصبهاني ، مقاتل الطالبين ، ص١٣٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٤٥٣ .
(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٤٥٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٥ ، ص٢١؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٣ ، ص١٧٢ ؛ ابن عنبة الحلي ، جمال الدين احمد (ت٨٢٨هـ) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تحقيق : مهدي الرجائي ، (قم – ٢٠٠٤م) ، ص٣١٦ .

وفي صباح يوم الأربعاء الأول من صفر سنة (١٢٢هـ/ ٧٣٩م) أعلن زيد ثورته على الرغم من قلة أصحابه ، واشتبك مع الجيش الشامي في معارك متكررة في شوارع الكوفة حتى أصيب بسهم في جبهته مما أدى إلى استشهاده[١] فاحتز رأسه وحمل إلى دمشق[٢] ، ثم أرسل إلى المدينة وبقى يوم وليلة[٣] ، ثم حمل إلى مصر ودفن هناك[٤] ، أما الجسد فقد صلب في كناسة الكوفة فلم يزل مصلوباً مدة أربع سنين , أي إلى سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)[٥] .

بعد استشهاد زيد بن علي عليه السلام ظل فريق من أتباعه موالون له عرفوا بالزيدية ، وبايع قسم منهم ابنه يحيى[٦] ، فاتجه إلى خراسان فاجتمع عليه خلق كثير وبايعوه[٧] ، وأعلن ثورته في خلافة الوليد بن يزيد في الجوزجان – من بلاد خراسان – فسير إليه والي خراسان نصر بن سيار المازني سالم بن أحوز المازني

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٥١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٣ ، ص٧٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٨٦ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص٣٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٣٦٢ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٣ ، ص٥٩ .

(٢) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٧ ،ص١٨٩ ؛ابن الأثير ،الكامل في التاريخ، ج٤ ،ص٣٣١.

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٨٩ ؛ المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار صادر ، (بيروت – بلات) ، ج٢ ، ص٤٤ .

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٤٢-١٤٣ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج٢ ، ص٤٤ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٥١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢٤٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٤١٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٣٦٢ .

(٦) الكتبي ، فوات الوفيات ، ج١ ، ص٤٢٥ ؛ احمد وآخرون ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، ص٥٦.

(٧) ابن أعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص٢٩٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٤٧ ؛ الكتبي فوات الوفيات ، ج٢ ، ص٣٧-٣٨ .

التميمي صاحب شرطته ، وفي أرعونة – من قرى الجوزجان – حدثت معركة عنيفة سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م) انتهت بمقتل يحيى وجميع أصحابه ، واحتز رأسه وحمل إلى دمشق ، وصلب الجسد بالجوزجان فلم يزل مصلوباً حتى سنة (١٣١هـ/ ٧٤٨م)[١] .

د. حركة عبد الرحمن بن الأشعث :

كانت حركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي من أخطر حركات المعارضة التي واجهتها الدولة الأموية بعد ما تولى الفرع المرواني الحكم ولو قدر لها النجاح لخرجت بلاد المشرق الإسلامي من حكم الأمويين ، والحديث عن جذور هذه الحركة وأسبابها يعود إلى بعض الحوادث التاريخية في بلاد المشرق الإسلامي ، ففي سنة (٧٨هـ/ ٦٩٧م) عين الحجاج بن يوسف الثقفي عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي والياً على سجستان[٢] ، وأمره بقتال رتبيل ملك الترك في كابل – عاصمة أفغانستان الحالية – من أرض سجستان بعد أن نقض الصلح مع المسلمين وامتنع عن دفع أموال الخراج[٣] ، فمضى عبيد الله بن أبي بكرة وتوغل في البلاد وأصاب من الغنائم الكثير ولكن سرعان ما

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٣٠ ؛ ابن أعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص٣٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢١٢ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص٣٤ ؛ ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي الدمشقي (ت١٠٨٩م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – بلات) ، ص١٦٧ .

(٢) سجستان ، ولاية كبيرة فيها كور كثيرة مثل خراسان ، تقع شرق بلاد فارس متصلة ببلاد السند والهند ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٩٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٢٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٦ .

تعرض المسلمون بعد ذلك لهزيمة قاسية على يد رتبيل سنة (٧٩هـ/ ٦٩٨م)[١] فلما جاء الخبر إلى الحجاج بن يوسف كتب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يعلمه ما أصاب المسلمين بسجستان ويستأذنه في إرسال حملة عسكرية إلى بلاد رتبيل فأيده عبد الملك بالموافقة[٢] .

وهكذا جهز الحجاج جيشاً من أربعين ألف مقاتل عشرين ألف من أهل الكوفة ومثله من البصرة ، وزودهم بالخيول والسلاح ، وأخذ يستعرض الجيش بين الحين والآخر ، وأنفق عليه ألفي ألف درهم من غير عطاء الجند ، فكان يسمى جيش الطواويس لحسنه وتكامل أهبتهم وعدتهم وشجاعتهم[٣] ، وولى قيادته عبد الرحمن بن الأشعث ، فسار ابن الأشعث بجنوده حتى وصل سجستان سنة (٨٠هـ/ ٦٩٩م) فغزا بعض أطرافها وأخذ منها حصوناً وغنائماً وحاز على أرض كبيرة ، وكتب بذلك إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد رتبيل وإنه يرى أن يتوقف عن الحرب وعدم التوغل في بلاد رتبيل حتى العام القادم إلى أن يختبر مداخلها ومخارجها[٤] .

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٤٩٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٢٢-٣٢٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٢٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٩ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٧٧ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٣١٠ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٢٧-٣٢٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٤٠ .

(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٣١٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٣٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٨ .

غير أن كلام ابن الأشعث هذا لم يعجب الحجاج ورد عليه بكتاب يتهمه بالجبن والضعف ، وأمره بمواصلة القتال في أرض رتبيل أو التخلي عن إمارة الجيش لأخيه إسحاق[١] ، وقد أثار طلب الحجاج هذا غضب ابن الأشعث ، فجمع الجند وذكر لهم إن الحجاج يأمرني بتعجيل التوغل في أرض رتبيل ، وهي الأرض التي هلك بها أخوانكم بالأمس ، واستشارهم أيمضي أم يخالف ، فرد عليه الجند بل نخالف ولا نسمع ولا نطيع ، واستقر رأيهم على مبايعة ابن الأشعث أميراً عليهم وخلع الحجاج ونفيه من أرض العراق[٢] ، ويبدو أن رأي الجند هذا قد جاء معززاً لطموحات ابن الأشعث السياسية ، لاسيما وإن هناك عوامل أخرى عديدة كانت تزين له القيام بالتمرد والمطالبة بالسلطة ، ومنها أنه كان يفتخر بنسبه الذي يعود إلى ملوك كندة قبل الإسلام ، وهو حفيد الأشعث بن قيس القائد الكبير في حروب الردة وتحرير العراق ، ولذا كان يأنف طاعة أي عربي آخر لعلو نسبه ورفعة قدره ، فضلاً عن ذلك كان مغتراً بنفسه بالحرب ولا يحب أن يسمع نصيحة أحد[٣] ، وليس أدل على ذلك أنه كان يقول : " ما رأيت قط أميراً فوقي إلا ضننت أني أحق بإمرته منه "[٤] ، وقبل أن يغادر ابن الأشعث سجستان بعث إلى رتبيل وهادنه في حال انتصاره على الحجاج فلا خراج عليه أبداً ما بقى ، وإن هزم وأراده ألجأه عنده[٥] .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٣٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٨ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٣١٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٣٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٩ .

(٣) احمد وآخرون ، الدولة العربية الاسلامية ، ص٦٩ .

(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٣٠٩ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٣٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٢٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٩ .

وهكذا استدار ابن الأشعث بذلك الجيش سنة (٨١هـ/ ٧٠٠م) متوجهاً نحو العراق لخلع الحجاج ، فلما وصل بلاد فارس اجتمع أصحابه وقالوا : " إنا إذا خلعنا الحجاج فقد خلعنا عبد الملك فخلعوه وبايعوا عبد الرحمن "[١] .

وبذلك أخذت حركة ابن الأشعث بعداً جديداً إذ أصبح هدفها مواجهة الدولة الأموية والعمل على إسقاطها ، ويبدو أن والي خراسان المهلب بن أبي صفرة حينما وصلته أخبار ابن الأشعث أدرك خطورة تلك الحركة والنتائج التي سوف تترتب عليها ، فكتب إلى ابن الأشعث محذراً اياه من خطورة العمل الذي يقدم عليه قائلاً : " انظر لنفسك لا تهلكها ، وأتقِ الله عز وجل في دماء المسلمين أن تسفكها ، والجماعة لا تفرقها ، والبيعة لا تنكثها "[٢] ، ثم كتب المهلب إلى الحجاج يخبره بخروج ابن الأشعث عليه ، وأشار عليه أن لا يخرج لمواجهته بل عليه أن يتخذ موقف الدفاع موضحاً له أن لأهل العراق شره في أول مخرجهم فلا تستقبلهم وخلِ لهم الطريق حتى يأتوا البصرة فسوف يلجئون إلى نساءهم وأولادهم ، فترق قلوبهم ويخلدوا إلى المقام في منازلهم فيتفرقوا عن ابن الأشعث عند ذلك قاتل من حاربك منهم فإن الله عز وجل ناصرك عليهم إن شاء الله[٣].

غير أن الحجاج لم يأخذ بنصيحة المهلب وكتب إلى عبد الملك بالخبر ويسأله أن يعجل بعث الجنود إليه ، وقد اهتم عبد الملك بالأمر وأخذ بتجهيز الجنود من الشام إلى العراق ، فلما اجتمعت إليه الجند خرج من البصرة لمواجهة

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٣٣٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٣٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٩٠ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٢ ، ص٣١٩-٣٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٣٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٢٦ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٣٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٣٩ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص٣٣٩ .

ابن الأشعث الزاحف نحو العراق ، فلما وصل تستر – مدينة بخورستان – أرسل مقدمة جيشه فالتقى الطرفان على نهر الدجيل في الاحواز في معركة عنيفة حقق فيها ابن الأشعث انتصاراً ، وكان ذلك يوم الأضحى سنة (٨١هـ/ ٧٠٠م)[١] ، فلما جاء خبر الهزيمة للحجاج رجع إلى البصرة ثم غادرها وابن الأشعث يلاحقه ، وفي منطقة الزاوية – بالقرب من البصرة – دارت بين قوات الطرفين معركة كبيرة سنة (٨٢هـ/ ٧٠١م) انتهت بانتصار جيش الحجاج وانسحاب ابن الأشعث إلى الكوفة ، فاستولى على قصر الإمارة واجتمع إليه الناس على حرب الحجاج[٢] ، وفي هذه الأثناء وصلت الى الحجاج إمدادات من الشام فسار بقواته نحو الكوفة ، وحدثت بين الجانبين معارك عديدة استمرت فترة طويلة[٣] .

وأمام تأخر الحجاج في حسم الصراع والموقف فضلاً عن قوة الحركة واتساعها ، بدأ القلق يساور عبد الملك بن مروان ، ويبدو أنه خشى عاقبة الأمور ، لذلك استقر رأيه على إرسال ابنه عبد الله وأخيه محمد بن مروان لمفاوضة ابن الأشعث[٤] ، وفوضهما بعرض شروطه على ابن الأشعث وهي عزل الحجاج بن يوسف عن ولاية العراق ، وتولية ابن الأشعث أي ولاية يشاء في العراق طيلة حياته طالما بقي عبد الملك خليفة ، وتكون أعطيات (الرواتب) أهل العراق مساوية لأعطيات بلاد الشام[٥] .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٤٠-٣٤١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ص٤٩١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٤٥ .

(٢) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٥٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٩٤ .

(٣) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٩٥ ؛ ابن كثير ،البداية والنهاية ،ج٩ ، ص٥٠.

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٤٧ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٣٢.

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٤٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٩٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٥٠-٥١ .

ويبدو إن إجراءات الخليفة الأخيرة وما استقرت عليه سياسة الدولة قد أوجعت قلب الحجاج وكانت ذات وقع سيء في نفسه ، فما أن وصلته تلك الأخبار حتى استشاظ غضباً ، وكتب إلى عبد الملك محاولاً إقناعه بالعدول عن رأيه موضحاً له أن أهل العراق : " لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفونك ويسيروا إليك ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك "[١] ، إلا أن عبد الملك أصر على تنفيذ استقرت عليه سياسته[٢] .

ويبدو أن ابن الأشعث قد أبدى موافقته على تلك الشروط غير أن أصحابه رفضوا ذلك ، ومرة أخرى خلعوا الخليفة والحجاج في وقت واحد وأصروا على القتال[٣] ، وعلى ذلك دخلوا في حرب سجال مع الجيش الشامي في دير الجماجم – بالقرب من الكوفة – سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م) استمرت مائة يوم كان النصر في نهايتها للحجاج بن يوسف ، وهروب ابن الأشعث نحو الكوفة ، ثم سار إلى البصرة ومنها إلى سجستان وأصبح هناك في حماية رتبيل[٤] .

غير أن لجوءه إلى رتبيل لم ينقذه من الحجاج الذي أرسل إليه يطلب منه أن يسلمه ابن الأشعث وإلا سوف يرسل إليه جيشاً من ألف ألف

(١) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٦ ،ص٣٤٨ ؛ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج٣ ،ص٤٩٥.
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٤٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٣٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٥١ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٤٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٩٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٥١ .
(٤) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٦٩ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٤٧-٣٦٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٥٠ .

مقاتل[1] وأخبره أنه في حال تسليمه لابن الأشعث سوف يعفى من دفع الجزية سبع سنوات فوافق رتبيل على ذلك[2] .

ولكن الروايات التاريخية تباينت حول نهاية ابن الأشعث فقد ذكر بعضها أنه قتل على يد رتبيل ، بينما أشارت أخرى أنه مات على فراشه ، وفي رواية أن رتبيل قيده بالحديد وسيره إلى الحجاج فلما وصل الرفج – مدينة من نواحي كابل – انتحر بعد أن ألقى بنفسه من فوق القصر ، وبكل الأحوال فقد قطع رأسه سنة (٨٥هـ/ ٧٠٤م) وحمل إلى الحجاج فبعث به إلى الخليفة عبد الملك بن مروان[3] .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٨٩ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص٢٤٥.
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٦٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٥١٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٦ ، ص٢٢ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٩٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٦٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ٣٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٥٢٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٦ ، ص١٨ .

الفصل الثالث

النظام الإداري والمالي والاقتصادي في العصر الأموي

أولاً. النظام الإداري :

أ. إدارة الحكم في العصر الأموي :

الإدارة : هي سياسة الدولة من حيث ممارسة السلطات العامة التي تتولى حكم المجتمع وحمايته وتدبير مرافقه وتنظيم علاقاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، بحيث تستوعب الإدارة المركزية وما يدور في فلكها من إدارات تدين لها بالتبعية[1] .

كانت سلطة الإدارة في عصر الرسالة تتمثل في شخص الرسول ﷺ ، إذ كانت بيده الرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا ، وسلطاته الإدارية تشمل الدولة كلها[2] ، ولما امتدت دولة الإسلام بعد فتح مكة سنة (٨هـ/ ٦٢٩م) إلى المناطق المجاورة ، أخذ الرسول ﷺ يعين العمال على القبائل وبعض المدن لإدارة شؤونها[3] .

أما نظام الإدارة في العصر الراشدي فقد استمر نظام الحكم مركزياً ، إذ كان الخليفة قابض على جميع مفاصل الحكم ومسؤول عن تنفيذ القانون في جميع أنحاء الدولة ، إذ أقر الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ عمال الرسول ﷺ على

(١) الهراوي ، عبد السميع سالم ، لغة الإدارة العامة في صدر الإسلام ، الهيئة العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٩٨٦م) ، ص٢٦٢ .

(٢) العمري ، أكرم ضياء ، عصر الخلافة الراشدة ، مكتبة العبيكان ، (المدينة المنورة – ١٤١٤هـ) ، ص٩٤ ,

(٣) الكبيسي ، الإدارة العربية الإسلامية ، ص١٧٩ .

أعمالهم ، وقام بتعيين آخرين على بعض المدن ، أما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فقد اتسعت الدولة العربية الإسلامية ونظم إدارة الدولة ، فقسمها إلى أقسام كبيرة أطلق عليها الولايات وعين عليها العمال ، وكان هؤلاء العمال يستمدون سلطتهم في إدارة الولاية من الخليفة مباشرة[١] .

أما في العصر الأموي فقد اتسعت حدود الدولة كثيراً وبذلك تباعدت المسافات بين أقاليم الدولة وعاصمة الخلافة في دمشق ، وأصبح من الصعوبة على الخليفة من إدارة الدولة بصورة مباشرة ، مما أدى ذلك إلى تطبيق نظام اللامركزية في إدارة أقاليم الدولة[٢] ، إذ قسمت الدولة إلى أقاليم عديدة وتعيين الولاة عليها وإعطاء صلاحيات واسعة لهم ، بحيث يكون الوالي مسؤول عن تنفيذ القانون والإشراف على شؤون الإدارة في الإقليم ، أي أنه أصبح يتمتع خلال إشغال منصبه بشبه استقلال ذاتي ، إلا أنه مسؤول أمام الخليفة ويعمل باسمه[٣] .

أما التقسيمات الإدارية للدولة في العصر الأموي ، فقد شملت الولايات الآتية :

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٩٤-٩٥ ؛ مصطفى ، مسعود احمد ، أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية ، الهيئة المصرية العامة ، (القاهرة – ١٩٩٠م) ، ص١٦٢-١٦٣ .

(٢) مصطفى ، أقاليم الدولة الإسلامية ، ص١٦٢-١٦٣ .

(٣) العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، ص١٠٩-١١٠ .

١. ولاية بلاد الشام :

تتكون بلاد الشام من أقسام إدارية يطلق عليها الأجناد ، وهي خمسة أماكن كل واحد منها يسمى جنداً أي المقيمين بها من المسلمين المقاتلين[١] ، وهذه الأجناد هي : جند دمشق ، وجند حمص ، وجند قنسرين ، وجند فلسطين وجند الأردن ، وبما أن الخليفة كان يقيم في بلاد الشام في العاصمة دمشق فإنه كان يعين الولاة على هذه الأجناد[٢] .

٢. ولاية الحجاز :

تضم ولاية الحجاز مكة والمدينة والطائف وأواسط الجزيرة العربية وحاضرتها المدينة التي يقيم فيها الوالي[٣] .

٣. ولاية العراق :

تعد ولاية العراق من أهم ولايات الدولة وأهم مراكزه الكوفة والبصرة ، ثم أصبحت واسط المركز الإداري ، وكان والي العراق يشرف على إدارة خراسان وما وراء النهر وحاضرته الكوفة ، وكانت البحرين وعُمان تحت إشراف عامل البصرة من قبل والي العراق ، ويتولى السند والهند عامل آخر من قبل والي العراق[٤] .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص١٣٢ .

(٢) اليعقوبي ،البلدان ،دار صادر ، (بيروت–بلات) ، ص٣٢٧ ؛ كنعان ،الخلافة الأموية ،ص١٦١.

(٣) المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت٣٠٠هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣ ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٩١م) ، ص٩٦ ؛ كنعان ، الخلافة الأموية ، ص١٦٨ .

(٤) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٧١ ؛ الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ط٢ ، مكتبة الخانجي (القاهرة – ١٩٩٤م) ، ص٣٢ .

٤. ولاية الجزيرة الفراتية :

تشمل الجزيرة الفراتية الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات ممتدة من أعالي نهر الفرات شمالاً إلى الانبار جنوباً ، ومن تكريت جنوباً إلى أعالي نهر دجلة شمالاً ، وتتبعها إدارياً أرمينية وأذربيجان وبعض بلاد آسيا الوسطى ، وتعد الموصل حاضرة هذه الولاية[١] .

٥. ولاية اليمن :

كانت بلاد اليمن طوال الفرع السفياني ولاية مستقلة دون أن تكون تابعة لإقليم آخر[٢] ، ثم أصبحت تحت ظلال خلافة عبد الله بن الزبير ، وتأرجحت بعد ذلك ما بين التبعية لولاية الحجاز وما بين الاستقلالية ، وتعد صنعاء مركز الولاية إذ يقيم الوالي فيها[٣] .

٦. ولاية مصر :

تتكون من مصر العليا ومصر السفلى ، وكل قسم يقسم بدوره إلى أقسام صغيرة أخرى تدعى الكور ، وتعد الفسطاط حاضرة الولاية التي يقيم فيها الوالي[٤] .

---

(١) الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦هـ) ، المسالك والممالك ، دار صادر ، (بيروت - ٢٠٠٤م) ، ص٧١ ؛ ابن الفقيه ، أبو عبد الله احمد بن محمد (ت٣٦٥هـ) ، البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي , ط١ , عالم الكتب , (بيروت - ١٩٩٦م) ، ص١٧٦ ؛ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي (ت٣٦٧هـ) ، صورة الأرض ، ط٢ ، مطبعة بريل ، (ليدن - ١٩٣٨م) ، ج١ ، ص٢٠٨ .

(٢) كنعان ، الخلافة الأموية ، ص١٧٥ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٥٧ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص١٥٢-١٥٣ .

٧. ولاية المغرب :

وتشمل كل أفريقيا الشمالية حتى غربي مصر وحاضرتها القيروان التي يقيم فيها الوالي[١] .

٨. ولاية الأندلس :

كانت هذه الولاية تتبع في أول أمرها إلى والي المغرب حتى جعلها الخليفة عمر بن عبد العزيز ولاية مستقلة حاضرتها قرطبة التي يقيم فيها الوالي[٢] .

ب. الحجابة :

الحجابة في اللغة : تأتي بمعنى الحجب والستر ، ومفردها حاجب ، وهو من كبار موظفي الدولة[٣] ، أما في الاصطلاح : فهي وظيفة تحجب السلطان عن العامة ، أي سد الباب دون الناس أو فتحه لهم[٤] .

والحجابة : هي مهنة الحاجب يقوم الموظف فيها على باب الخليفة يعلمه بأسماء من يريدون مقابلته والغرض الذي جاءوا من أجله وتنظيم عملية

(١) ابن حوقل ،صورة الأرض ، ج١ ،ص١٦٠ ؛ ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج١ ، ص٢٢٨.
(٢) حسن ، تاريخ الإسلام ، ص٤٩٥ .
(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص٢٩٨ ؛ الكروي ،إبراهيم سلمان وعبد التواب شرف الدين ،المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ،منشورات ذات السلاسل ،(الكويت–١٩٨٧م)، ص٦٥.
(٤) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج١ ، ص٢٩٩ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ، ص٤٠٤ .

دخول الناس عليه بحسب مراتبهم وأهميتهم لتخفيف الازدحام على الأبواب[١].

وتشير المصادر التاريخية أن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين قد اتخذوا حجاباً لهم ، غير أنهم لم يمنعوا أحداً من الدخول عليهم[٢] ، ولما انتقلت الخلافة إلى بني أمية ظهرت هذه الوظيفة بشكلها المتكامل وتشددوا في شأن هذه الوظيفة لحماية أنفسهم من محاولات الاغتيال وتلافياً لازدحام الناس على أبوابهم ، فكانوا يختارون حجابهم من بين الأشخاص الذين يثقون بهم[٣] .

ونظراً لأهمية هذه الوظيفة فقد حرص الخلفاء والولاة في النظر عند اختيار الحاجب لكي لا يكون وجوده عائقاً أو بغيضاً لدى العامة ، ومنها الصدق والنزاهة والرأفة ، فضلاً عن معرفته بمنازل الناس وأنسابهم وطبقاتهم[٤] ، ومن ذلك أن الخليفة عبد الملك بن مروان حينما عين أخاه عبد العزيز والياً على مصر أوصاه قائلاً : " وانظر حاجبك فليكن من خيرة أهلك ، فإنه وجهك ولسانك ، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده[٥] .

فضلاً عن ذلك فإن الخلفاء والولاة كانوا حريصين على أن تبقى صلاحيات الحاجب محدودة وواضحة ، إذ كانوا يضعون للحاجب القواعد

(١) الأزهري ، أبو منصور محمد بن احمد الهروي (ت٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – ٢٠٠١م) ، ج٤ ، ص١٦١ ؛ الكروي ، المرجع في الحضارة ، ص٦٥ .

(٢) حسن ، التاريخ الإسلامي ، ص٣٦٠ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الاسلامية ، ص٧٩ .

(٣) الكبيسي ، الإدارة العربية الإسلامية ، ص١٨٩ .

(٤) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص٩٠ ؛ الكبيسي ، الإدارة العربية الإسلامية ، ص١٨٩.

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج٧ ، ص٢١٠ ؛ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج٤ ، ص٥١٥.

والتعليمات التي يسير بموجبها ، ومع ذلك كانوا يستثنون بعض الأشخاص من الدخول عليهم بدون إذن أو تصريح ، فمثلاً زياد بن أبي سفيان أوصى حاجبه قائلاً له : "وليتك حجابتي وعزلتك عن أربع : المنادي إلى الصلاة والفلاح فلا تعوجنه عني ، ولا سلطان لك عليه ، وطارق الليل لا تحجبه فشر ما جاء به ، ولو كان خيراً ما جاء به تلك الساعة ، ورسول الثغر فإنه إن أبطأ ساعة فسد عمل سنة فادخله عليَّ وإن كنت في لحافي ، وصاحب الطعام فإن الطعام إذا أعيد تسخينه فسد"[1] .

ت. الشرطة :

الشرطة : هم طائفة من الجند من أعوان الخليفة أو الوالي الذين يعتمد عليهم[2] ، والشرطة كلمة عربية صرفة استخدمها العرب بعد ظهور الإسلام نسبة إلى الشريط[3] ، لأن القائمين بها كانوا يضعون أشرطة على ملابسهم يعّرفون بها عن أنفسهم[4] ، وتعد الشرطة من الوظائف الإدارية المهمة في الدولة العربية الإسلامية ، فهي الهيئة النظامية المكلفة بحفظ الأمن والنظام

(١) النويري ، نهاية الأرب ، ج٦ ، ص٨٧ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٢٢ .

(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٠ ، ص٣٠٧ ؛ عبد السلام ، فاروق عبد ، الشرطة ومهامها في الدولة العربية الإسلامية ، دار الصحوة ، (القاهرة – ١٩٨٧م) ، ص١٢ .

(٣) الشريط : حبل بفتل من الخوص ، وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان كانوا يضعون شريطاً من القماش في اليد فوق ثوب رجل الأمن لتميزهم عن عامة الناس ، ينظر : الجوهري ، الصحاح تاج اللغة ، ج٣ ، ص١١٣٦ ؛ الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٥٤ .

(٤) الفرهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت١٧٠هـ) ، كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، (بلام – بلات) ، ج٦ ، ص٢٣٤ ؛ الزبيدي تاج العروس ، ج١٠ ، ص٣٠٧ ؛ عبد السلام ، الشرطة ومهامها ، ص١٢ .

وتنفيذ أوامر الدولة وأنظمتها[١] ، ويبدو أن هذه الوظيفة بهذا المسمى والمفهوم لم تعرف على عهد الرسول ﷺ[٢] .

أما في العهد الراشدي فبعد أن امتدت أطراف الدولة وازدهرت المدن بالأسواق دعت الحاجة إلى استحداث وظيفة إدارية تكون مهمتها حراسة المدينة في الليل ، فخصص الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لهذه المهمة بعض الرجال الذين يتناوبون الحراسة كان يطلق عليهم اسم العسس ، ولم يكن يطلق عليهم اسم الشرطة بعد[٣] ، وهناك رواية تقول : أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كان يتولى العسس بنفسه وهو أول من عس من الخلفاء[٤] .

وأول ما أطلق اسم الشرطة على هذه المهنة كان في خلافة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وسمي رئيسها صاحب الشرطة ، الذي كان يشرف على جهاز الشرطة والأفراد[٥] وكانت الشرطة في أول الأمر من توابع القضاء وكان الغرض منها تنفيذ أحكام القضاة[٦].

(١) الحميداني ، نمر بن محمد ، ولاية الشرطة في الإسلام ، ط٢ ، دار عالم الكتب ، (الرياض – ١٩٩٤م) ، ص١٩ .

(٢) روي أن الرسول ﷺ دعا بعض أصحابه لحراسة المدينة ، أما ما ورد من حديث أنس بن مالك أنه قال : " إن قيس بن سعد كان يكون بين يدي النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير " ، فقد قال العلماء في شرح هذا الحديث : أنه أراد تشبيه ما مضى بما حدث بعده ، لأن صاحب الشرطة لم يكن موجوداً في العهد النبوي ، وإنما وجد في دولة بني أمية ، فأراد تقريب حال قيس عند السامعين بما يعهدونه ، ينظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج١٣ ، ص١٣٥ ؛ الحميداني ، ولاية الشرطة ، ص٦٠ .

(٣) الفرهيدي ، العين ، ج١ ، ص٧٤ ؛ عبد السلام ، الشرطة ومهامها ، ص١٢ .

(٤) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج٢ ، ص٢٢٣ .

(٥) الكروي ، المرجع في الحضارة ، ص٩٥ ؛ عبد السلام ، الشرطة ومهامها ، ص١٢ .

(٦) الخربوطلي ، الحضارة العربية الاسلامية ، ص٥٦ .

أما في العصر الأموي فقد تطور جهاز الشرطة مع بقية أجهزة الدولة الإدارية نتيجة تطور الظروف السياسية والاجتماعية الجديدة ، وأن معاوية بن أبي سفيان كان أول من استخدم الحرس والشرطة لحراسته ، وبذلك انفصلت مهام الشرطة والحراسة عن القضاء ، لكنها ظلت في خدمته[١] .

وتتلخص مهمة الشرطة في العصر الأموي في تنفيذ أوامر الخليفة والولاة والقضاة وحمايتهم ، والمحافظة على الأمن والنظام داخل المدينة ، والقبض على الجناة المفسدين ومساعدة عمال الخراج في استيفاء الحقوق ، فضلاً عن حماية المساجد والمصلين[٢] .

ونظراً لأهمية منصب صاحب الشرطة فقد حرص الخلفاء والولاة على اختيار صاحب الشرطة ممن عرف بالكفاءة والمقدرة والحزم ، ويبدو هذا واضحاً من خلال ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية ، فقد حدد الحجاج بن يوسف الثقفي بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها صاحب الشرطة حينما أراد أن يختار صاحب الشرطة بقوله : " دلوني على رجل للشرطة ، فقيل له : أي الرجال تريد؟ ، فقال : أريده دائم العبوس ، طويل الجلوس ، سمين الأمانة ، أعجف الخيانة ، لا يحنق في الحق على جره[٣] ، يهون عليه سبال الأشراف في الشفاعة[٤] ، فقيل له : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي ، فأرسل إليه يستعمله ، فقال له : لست أقبلها ، إلا أن تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك ، فقال : يا غلام نادي في الناس من طلب إليه منهم حاجة فقد برئت منه

(١) الرفاعي ، أنور ، الإسلام في حضارته ونظمه ، دار الفكر ، (دمشق – ١٩٧٣م) ، ص١٤٩.
(٢) حسن ، تاريخ الإسلام ، ص٣٧٤ ؛ الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٤٧ .
(٣) أي لا ينطوي على حقد وغل .
(٤) أي رد الأشراف في الشفاعة .

الذمة "[١] ، ويبدو من خلال هذا النص أن طلب الشفاعة إلى صاحب الشرطة غير مسموح به لاسيما من أولاد الأمراء وأهله وحاشيته ومن يفعل ذلك فقد برئت منه الذمة .

وحينما أراد عمرو بن هبيرة والي العراق للخليفة يزيد بن عبد الملك تعيين مسلم بن سعيد عاملاً على خراسان قال له : "أوصيك بثلاثة : حاجبك فإنه وجهك الذي تلقى به الناس ، إن أحسن فأنت المحسن ، وإن أساء فأنت المسيء ، وصاحب شرطتك فإنه سوطك وسيفك حيث وضعتهما فأنت وضعتهما ... "[٢] .

ويبدو أن صاحب الشرطة في العصر الأموي أحياناً يتمتع بنفوذ واسع يعادل مرتبة الخليفة ، فقد أشارت المصادر أن الخليفة سليمان بن عبد الملك عندما ثقل عليه المرض كتب كتاباً وختمه ولم يعلم أحد ما كتب فيه ، ثم قال لصاحب الشرطة : "اجمع إليك أخوتي وعمومتي وجميع أهل بيتي وعظماء أجناد بلاد الشام ، واحملهم على البيعة لمن سميت في هذا الكتاب ، فمن أبى منهم أن يبايع فاضرب عنقه ، ففعل ذلك "[٣] .

وفي خلافة هشام بن عبد الملك استبدل لقب صاحب الشرطة إلى (صاحب الأحداث) ، وعدلت بعض اختصاصاته ، إذ كلف صاحب هذه الوظيفة إلى جانب عمله المدني باستعمال القوة العسكرية عند الضرورة لتثبيت

(١) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص٦٩ .
(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص١٩ .
(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٢٩ .

سلطة الدولة وإخماد الفتن وقمع الثروات ومطاردة الثائرين[١] ، وكان يطلق على صاحب الشرطة في المغرب (الحاكم) وفي الأندلس (صاحب المدينة)[٢] .

ويبدو من خلال ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية أن هناك دوائر عديدة كانت مرتبطة بجهاز الشرطة مكلفة بواجبات مختلفة تتعلق بالأمن والنظام فهناك دائرة الحرس الخاص ومهمتها حماية الخليفة والولاة والأمراء وتنفيذ أوامرهم[٣] ، ودائرة العسس وظيفتها التجوال في الليل لحراسة المدن والاطمئنان على سلامة الناس وأمنهم[٤] ، ودائرة صاحب العذاب ومهمتها التحقيق مع المتهمين لانتزاع اعترافاتهم قبل تقديمهم إلى القضاء[٥] ، ودائرة صاحب الاستخراج ومهمتها التحقيق مع كبار الموظفين ممن ثبت عليه باختلاس أموال الدولة في موضع خاص يسمى دار الاستخراج ، إذ كانوا يستخدمون كل ما لديهم من وسائل التعذيب لاستخراج هذا الأموال[٦] ، ومن الدوائر التي كانت مرتبطة بجهاز الشرطة في العصر الأموي دائرة صاحب السجن ومهمتها هو الإشراف على إدارة السجون ومتابعة أحوال المساجين[٧] .

(١) عبد السلام ، الشرطة ومهامها ، ص١٤ ؛ الأنصاري ، ناصر ، تاريخ أنظمة الشرطة في مصر ، دار الشروق ، (القاهرة – ١٩٩٠م) ، ص٤٢ .

(٢) الكبيسي ، الإدارة العربية الإسلامية ، ص٢١٠ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢١٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٣٠.

(٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٣٥٣ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٣٦ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٩٥-٩٦ .

(٦) الجاحظ البيان والتبيين ، ج٢ ، ص١٦٦ .

(٧) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٨ ، ص٣١١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٧١ .

ث. القضاء :

القضاء في اللغة : يعني الحكم والإلزام ، قضي يقضي أي حكم وفصل الخصومة[١] ، أما اصطلاحاً : فهو الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للخلاف وقطعاً للنزاع بمقتضى الأحكام التي شرعها الله تعالى[٢] .

ويبدو أن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم نظام قضائي محدد ، لأنه لم تكن لهم سلطة تشريعية تسن لهم القوانين ، وإنما كان لكل قبيلة عُرف وعادات وتقاليد يتحاكمون على أساسها[٣] ، فكان المتخاصمون يلجئون في عرض قضاياهم إلى شيخ القبيلة أو إلى الكاهن ، وأحياناً كان يلجئون إلى أشخاص معروفين بالحكم والتجربة كان يطلق عليهم الحكام ، ومن هؤلاء الحكام هاشم بن عبد مناف ، وقيس بن ساعدة الأيادي ، واكثم بن صيفي[٤] .

وعندما جاء الإسلام تولى الرسول ﷺ القضاء والفصل في الخصومات بين الناس ، وعد حكمه ملزماً بقوله تعالى : ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٥] ، وبذلك يكون الرسول ﷺ أول قاضي في الإسلام ، إذ كان يحكم

(١) الفراهيدي ، العين ، ج٥ ، ص١٨٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ ، ص١٨٦ .

(٢) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج١ ، ص٢٢٠ ؛ القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت – بلات) ، ج١ ، ص٧٧ .

(٣) الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٤٢ ؛ الكرمي ، حافظ احمد عجاج ، الإدارة في عصر الرسول ﷺ ، ط٢ ، (القاهرة – ٢٠٠٧م) ، ص٢٢٣ .

(٤) الزحيلي ، محمد ، تاريخ القضاء في الإسلام ، دار الفكر المعاصر ، (بيروت – ١٩٩٥م) ، ص٣١ ؛ الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٤٢ .

(٥) سورة النساء الآية : ٦٥ .

بين الناس بما ينزل عليه من الوحي أو بالاجتهاد ، وأحياناً كان يستشير الصحابة[1] ، أما طرق الإثبات عنده فهي البينة واليمين ، إذ كان يقول ﷺ : " البينة على من أدعى واليمين على من أنكر "[2] ، وشهادة الشهود[3] ، ولما انتشرت الدعوة الإسلامية عين الرسول ﷺ بعض الصحابة قضاة على بعض الأقاليم والمدن مثل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاذ بن جبل ﷺ على اليمن ، فكانوا يحكمون بالقرآن والسنة والاجتهاد[4] .

أما في العهد الراشدي فقد تولى الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ القضاء بنفسه ، ولكن بسبب انشغاله بحروب الردة أسند هذه المهمة إلى عمر بن الخطاب ﷺ دون أن يلقبه بالقاضي ، ولما تولى عمر بن الخطاب ﷺ الخلافة باشر القضاء بنفسه ، وكان أول من عين القضاة بعد توليه الخلافة ، وبسبب توسع حدود الدولة الإسلامية واحتكاك المسلمين بمجتمعات جديدة قام بفصل السلطة القضائية عن سلطة الوالي ، فعين القضاة في مدن الأمصار الكبيرة وجعلهم تابعين له مباشرة دون أن يتدخل الوالي في أعمالهم ، أما بقية المدن فكان الوالي يتولى القضاء والولاية معاً[5] ، أما في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ فقد استمر القضاء على ما كان عليه في خلافة عمر ﷺ ، فكان قضاء

(١) الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٤٦ .

(٢) الشافعي ، أبو عبد الله بن إدريس (ت٢٠٤هـ) ، الأم ، ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٨٠م) ، ج٧ ، ص٤٠ .

(٣) الزحيلي ، تاريخ القضاء ، ص٥٥ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٣٣٧ ؛ وكيع ، محمد بن خلف (ت٣٠٦هـ) ، أخبار القضاة ، عالم الكتب ، (بيروت – بلات) ، ص٩٨ .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٢٠ ؛ الزحيلي ، تاريخ القضاء ، ص٩٠-٩١ ؛ السعدي ، حصة بنت احمد بن عبد الرحمن ، القضاة في نجد وأثرهم في المجتمع ، (الرياض – ١٤٢٣هـ) ، ص٣٢ .

المدينة بيده ، وقام بتعيين الولاة والقضاة في المدن وحافظ على استقلالهم ، وفي نهاية خلافة عثمان ﷺ اتخذ دار خاصة للقضاء بعد أن كان القضاء في المسجد[١] أما عن القضاء في خلافة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ فقد مارس الإمام القضاء في أثناء خلافته ، إذ كان أقضى الصحابة ومرجع الناس في القضاء منذ العهد النبوي وطوال العهد الراشدي ، فقد كانت له قدرة فائقة على استخراج الحكم واستنباطه ، كما أهتم بمسألة اختيار القاضي والشروط الواجب توفرها فيمن يتولى القضاء[٢] .

أما بالنسبة للقضاء في العصر الأموي فإنه كان امتداداً لعصر الخلفاء الراشدين ، إذ استمر مستقلاً عن السلطة السياسية ولم يتدخل الخلفاء في أحكامهم ، وكان اختيار القضاة في الأمصار الإسلامية يتم عن طريق الولاة وأحياناً يتم اختيارهم عن طريق الخلفاء ، أما قضاة عاصمة الخلافة فكان يتم اختيارهم عن طريق الخليفة[٣] .

ويبدو أن الخلفاء والولاة في العصر الأموي كانوا يبذلون عناية خاصة ويحتاطون في اختيار القضاة وتعينهم ، فقد كانوا يشترطون من يتولى القضاء بعض الصفات منها أن يكون رجلاً حراً مسلماً عاقلاً ورعاً صحيح التمييز بعيد عن الهوى والغفلة عادلاً سليماً في السمع والبصر ، عالماً بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ ، قادراً على الاجتهاد برأيه في الاختلاف ، عالماً بالقياس ، كما كان

(١) الزحيلي ، تاريخ القضاء ، ص٨٦ ؛ السعدي ، القضاة في نجد ، ص٣٤-٣٥ .

(٢) واصل ، نصر فريد محمد ، السلطة القضائية ونظام القضاء في الإسلام ، ط٢ ، مطبعة الأمانة ، (القاهرة – ١٩٨٣م) ، ص٦٥ ؛ الزحيلي ، تاريخ القضاء ، ص٨٦ ؛ السعدي ، القضاة في نجد ، ص٣٥ .

(٣) الخضري ، الدولة الأموية ، ص٤٣٤-٤٣٥ ؛ السعدي ، القضاة في نجد ، ص٣٥ .

يتطلب من الشخص الذي يتولى هذا المنصب أن تكون له معرفة بالشؤون الاجتماعية والأحوال المالية والاقتصادية ومعرفة بالعادات والتقاليد السائدة بين الناس[1] .

وعلى ذلك كان معظم القضاة يتم اختيارهم من الفقهاء ورواة الحديث إلا أن كثير منهم كرهوا تولي هذا المنصب للشروط الثقيلة التي يجب أن تتوفر في القاضي ، ولما لهذا المنصب من الخطورة وخوف بعضهم من الوقوع في الخطأ ، فقد كانت لأحاديث الرسول ﷺ من التحذير من مهمة القضاء أثر كبير في ذلك[2] ، فقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال : " القضاة ثلاثة ، فقاضيان في النار وقاضي في الجنة ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، وأما اللذان في النار فرجل عرف الحق فجار في الحكم ، ورجل قضى على جهل فهما في النار "[3] ، وعن الرسول ﷺ أيضاً أنه قال : " من جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين "[4] ، ومع أن الرسول ﷺ في هذين الحديثين لم يمنع تولي القضاء ، لكنه حذر من يتولى هذا المنصب أن يكون عادلاً في أحكامه ، ومع ذلك فقد أشارت بعض المصادر التاريخية كثرة الامتناع عن تولي القضاء من العلماء والفقهاء بسبب ورعهم وخشيتهم منه ، فقد روي إن أبي الدرداء حينما تولى القضاء في عهد معاوية بن أبي سفيان أصبح الناس يهنئونه فقال لهم : " أتهنئونني

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٦٦ ؛ الزحيلي ، تاريخ القضاء ، ص١٦٧ .

(٢) احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٩٩ .

(٣) وكيع ، أخبار القضاة ، ج١ ، ص١٣ ؛ الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٠م) ، ج٤ ، ص٩٠ .

(٤) ابن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) ، مسند الإمام احمد بن حنبل ، دار صادر ، (بيروت – بلات) ، ج٢ ، ص٢٣٠ .

بالقضاء ... لو يعلم الناس ما في القضاء لآخذوا رغبة عنه وكراهة لـه"[١] ، أمـا القاضي نمير بن أوس ، فقد طلب من الخليفة هشام بن عبد الملك أن يعفيه عـن القضاء[٢] ، وروي أن القاضي عبد الرحمن بن عمر الاوزاعي فقيـه أهـل الشـام ولاه يزيد بن الوليد القضاء ، فجلس مجلساً واحداً ثم كتـب إلى الخليفـة يطلـب إعفاءه فأعفاه[٣] .

أما مجلس القضاء في العصر الأموي فكان يعقد في الغالب في المسـجد الجـامع[٤] ، وأحيانـاً يقضـي القاضـي بـين الخصـوم في السـوق أو البيـت أو ، وكان للقاضي كاتب يكتب بين يديه يدون أقوال الخصـوم والشـهود[٦] ، وفي العصر الأمـوي ظهـرت لأول مـرة سـجلات لحفـظ الأحكـام الـتي يصـدرها القضاة[٧] ، وكان القاضي في مجلسه محترماً لا تأخذه في الحق لومـة لائـم ، كمـا كانت له مكانة اجتماعية كبيرة بين الناس ، فقد روي عن الخليفة عمر بـن عبـد العزيز أن كتب إلى عقبة بن زرعة الطائي عامله على خراج خراسان يقول له : " إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها ، فالوالي ركن والقاضي ركن وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا "[٨] .

(١) وكيع ، أخبار القضاة ، ج٣ ، ص٢٠٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٠١ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٠٧ .
(٤) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص٦٠ .
(٥) وكيع ، أخبار القضاة ، ج١ ، ص٣٣٩ .
(٦) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، دار الحديث ، (القاهرة – ٢٠٠٠م) ، ج٣ ، ص٥ .
(٧) الكروي ، المرجع في الحضارة ، ص٧٤ .
(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٢١ .

ومن أشهر ما أمتاز به القضاء في العصر الأموي ظهور قضاء المظالم الذي تفوق سلطته القضائية سلطة القاضي ، بحيث تخوله النظر في القضايا التي نظر بها القضاة فعجزوا عن تنفيذ أحكامهم بسبب الجاه والحسب أو لعدم قناعة المتظلم بالحكم فيطلب استئناف الإحكام القضائية[١] .

ولعل من أسباب ظهور قضاء المظالم هو كثرة المظالم التي ظهرت عن الولاة والأمراء وأصحاب النفوذ سواءً كانوا من أقرباء الخليفة أو من عمال الدولة ، مما دفعهم إلى ظلم الرعية أحياناً وسلب حقوق الناس ، مما استدعى وضع الحد لهذه المخالفات والتجاوزات من قبل الخلفاء[٢] ، فكان عبد الملك بن مروان أول من أنشأ ديوان النظر في المظالم ، وأول من جلس من الخلفاء الأمويين للنظر في المظالم ، وكان يستعين بقاضيه ابن إدريس الازدي حين يشكل عليه أو احتاج إلى حكم منفذ ، فكان ابن إدريس هو المباشر وعبد الملك هو الآمر[٣] ، ويعد الخليفة عمر بن عبد العزيز أول من ندب نفسه للنظر في المظالم ، إذ بدأ بنفسه وأهل بيته ، ثم حاسب أقربائه ورد مظالم بني أمية على أهلها ، ثم التفت إلى الولاة والحكام والأمراء ، وراعى السنن العادلة حتى قيل له : "إنا نخاف عليك من ردها العواقب ، فقال : كل يوم أتقيه وأخافه دون يوم القيامة لا وقيته"[٤] ، ولم يقتصر قضاء المظالم على حاضرة الخلافة الأموية بدمشق ، بل حرص خلفاء بني أمية على تعميمها على البلدان وتأكيدها على الولاة وتذكير الناس بها[٥] .

(١) الكبيسي ، الإدارة العربية الإسلامية ، ص٢٠٣ .
(٢) الزحيلي ، تاريخ القضاء ، ص١٨٢ .
(٣) الماوردي ، الحكام السلطانية ، ص٧٤ .
(٤) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٧٤ .
(٥) الزحيلي ، تاريخ القضاء ، ص١٨٤ .

ج. الدواوين :

الديوان : هو سجل أو دفتر يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء[١] وكل ما يتعلق بحقوق السلطة من الأعمال والأموال[٢] ، وكذلك يطلق على المكان الذي يمارس فيه كتاب الدواوين أعمالهم وتحفظ فيه السجلات[٣] .

يعد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أول من وضع الديوان في الإسلام حينما كثرت أموال المسلمين ، فاستشار الصحابة واستقر الرأي على تدوين ديواناً يسجل فيه أسماء الجند ومن تُمنح لهم العطايا من المال ، وكان ذلك سنة (٢٠هـ/ ٦٤٠م)[٤] ، ومن أهم الدواوين في العصر الأموي :

١. ديوان الرسائل :

كان هذا الديوان تصدر منه الرسائل الموجهة إلى الأمراء والعمال وملوك الدول الأجنبية والإشراف على الرسائل الواردة إلى مركز الخلافة ، وهو أول ديوان أنشأ في الإسلام ويسمى ديون الإنشاء[٥] ، غير أن أسلوب المراسلات في عصر الرسالة والخلافة الراشدة كان بسيطاً ، حيث تغلب عليه سمة الاختصار وقوة العبارة ، فلما جاء العصر الأموي كان كل خليفة يفوض

(١) ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك (ت٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، المكتبة العلمية ، (بيروت – ١٩٧٩م) ، ج٢ ، ص١٥٠ .

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٧٥ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ج٢ ، ص٦١٣ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص٩٠ .

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٧٥ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص٩٠ .

(٤) ابن زنجويه ، أبو احمد حميد بن مخلد (ت٢٥١هـ) ، الأموال ، (الرياض – ١٩٨٦م) ، ج٢ ، ص٥٠٤ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٥٤ ؛ الخربوطلي ، الحضارة العربية الاسلامية ، ص٣٦ .

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٦ ، ص٣٧٨ ؛ الكروي ، المرجع في الحضارة ، ص٨٣ .

أمر ديوان الرسائل إلى كاتب يختاره ممن يتصف بالأمانة والإخلاص وكتمان السر والفصاحة والبلاغة وحسن المخاطبة ، وبذلك تميزت كتابة الرسائل في هذا العصر بالإطالة وتفصيل المعاني[١] ، فضلاً عن ذلك فقد أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك أن تعظم كتبه وأن تكون كتب الرسائل على خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض[٢] ، وبلغت ذروة هذا الديوان على يد عبد الحميد كاتب الخليفة مروان بن محمد ، إذ جعل للرسائل قواعد وأصول في بدئها وختامها[٣].

٢. ديوان الخاتم :

هذا الديوان مهمته هو الختم على الكتاب الذي يصدر عن الخليفة قبل أن يرسل إلى الجهة ذات العلاقة[٤] ، ويرجع إنشاء هذا الديوان إلى معاوية بن أبي سفيان على أثر تزوير حدث في إحدى رسائله ، إذ كتب كتاباً إلى زياد بن أبي سفيان عامله على العراق يأمره أن يعطي لعمرو بن الزبير معونة وقضاء دَين مائة ألف درهم ، ففتحه حامل الكتاب وجعلها مائتي ألف درهم ، فلما رفع زياد حسابه إلى معاوية أنكر معاوية هذا العدد ، وطلب صاحب الكتاب فحبسه ثم استعاد المائة ألف درهم ووضع ديوان الخاتم ، وأمر بختم الكتب[٥] .

ولم يكن القصد من الختم أن تختم الكتب في أدنى الرسائل ، وإنما كانت الرسائل تطوى وتحزم بخيط ويلصق طرفها بالشمع أو الطين الأحمر ويطبع

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٧ ، ص٣٧٩ ؛ سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص٣٨٩ .
(٢) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٤٧ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٤٨ .
(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٢٨ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٨٤ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٤ ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٢٥ .

عليه وهو طري بخاتم الخلافة ويترك حتى يجف ، فإذا فتحت الرسالة قبل أن تصل إلى مرجعها عرف ذلك[١] .

٣. ديوان البريد :

هذا الديوان مهمته نقل الرسائل بين الخليفة وعمال الأقاليم ، استحدثه معاوية بن أبي سفيان[٢] ، لتسهيل الاتصال السريع للأخبار بأسرع وقت[٣] .

أما عن كيفية نقل الرسائل والأخبار بين مركز الخلافة وأقاليم الدولة ، فقد كانت طرق البريد مقسمة إلى مسافات يطلق على نهاية كل مسافة اسم السكة ، وتقدر المسافة بين سكة وأخرى بحوالي أربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال ، وبذلك تكون المسافة حوالي اثني عشر ميلا[٤] ، وفي نهاية كل سكة عدد من الحيوانات المعدة لحمل الرسائل ، فإذا وصل موظف البريد إلى نهاية السكة ركب فرساً مستريحاً أو يسلم الرسالة إلى موظف آخر ، وكذلك يفعل ذلك في السكة الأخرى حتى يصل بسرعة[٥] .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٤٧١ ؛ الكروي ، المرجع في الحضارة ، ص٨٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٣٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٢٧ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٤ ، ص١٤٣ .

(٤) اليافعي ، أبو محمد عفيف الدين (ت٧٦٨هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تحقيق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٧م) ، ج٢ ، ص٢٤٣ ؛ الكبيسي ، الإدارة العربية الإسلامية ، ص٢٤٥ .

(٥) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب ، ص١٦ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٨٥-٨٦ .

٤. ديوان الجند :

ويسمى ديوان الجيش ، وهو استمرار للديوان الذي أنشأه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، وفيه تحفظ السجلات التي تدون فيها أسماء الجند ومقدار عطاء كل منهم وموعد استحقاقه[١] ، ثم تطور هذا الديوان في العصر الأموي بسبب ازدياد عدد الجند ونفقاتهم نتيجة حركات التحرير والفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة ، فكان الشخص الذي يستلم العطاء عليه أن يجهز نفسه بالسلاح ويذهب للقتال ، أما الأشخاص الذين يرفضون القتال فتسقط اسماؤهم من الديوان[٢] .

٥. ديوان الخراج :

وهو الديوان الذي يحوي سجلات تضم أسماء الأراضي الخراجية ومقدار محاصيلها ومقدار الخراج الموضوع عليها[٣] ، وكان في كل ولاية ديوان للخراج ، إذ يتولى صاحب الخراج جمع الخراج ثم يحتفظ بما تحتاج له الولاية من نفقات ويرسل ما تبقى من الموارد إلى عاصمة الخلافة[٤] .

٦. ديوان المستغلات :

وهو الديوان الذي ينظر في إدارة أموال الدولة غير المنقولة من أبنية وعمارات وحوانيت ، إذ كان هذا الديوان يشرف على واردات تلك

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦٣٧ ؛ الدوري ، النظم الإسلامية ، (بيروت – ٢٠٠٧م) ، ص١٩٥ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٧٩ .
(٣) العش ، الدولة الأموية ، ص٣١ .
(٤) الكروي ، المرجع في الحضارة ، ص٨٣ ؛ الكبيسي ، الإدارة العربية الإسلامية ، ص٢٤٢ .

الأموال[١] وقد ورد ذكر هذا الديوان لأول مرة في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وربما لكثرة ممتلكات الدولة غير المنقولة والحاجة إلى جردها واستيفاء الأموال من مستغليها قد أدى إلى استحداث هذا الديوان في هذا الوقت[٢] .

٧. ديوان الصدقات :

هذا الديوان مهمته النظر في موارد الزكاة والصدقات وتوزيعها على مستحقيها[٣] ، بحسب ما جاء في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[٤] .

٨. ديوان الطراز :

يقصد بهذا الديوان الإشراف على معامل نسيج الثياب المطرزة والفاخرة من الألبسة الرسمية للخلفاء والولاة وكبار موظفي الدولة والأعلام والرايات[٥] ، وتشير الروايات التاريخية أن الخليفة عبد الملك بن مروان قد أولى هذا الديوان عناية خاصة [٦] .

(١) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٤٧ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨١ ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٤٧.
(٣) الدوري ، النظم الإسلامية ، ص١٩٦ .
(٤) سورة التوبة الآية : ٦٠ .
(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٦٦ .
(٦) البيهقي ، إبراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ) ، المحاسن والمساوئ ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٦٠م) ، ج٢ ، ٢٩٨-٢٩٩ .

ح. تعريب الدواوين :

كانت الدواوين في العصر الأموي على نوعين الدواوين المركزية وهي التي أنشأها العرب ودونت باللغة العربية ، والدواوين المحلية (دواوين الخراج) وجدها المسلمون في الأمصار التي حررت أو فتحت[١] ، وهذا الدواوين كانت مكتوبة بلغات تلك البلاد ، فديوان الخراج في بلاد الشام كان باللغة الرومية ، وديوان الخراج في العراق والمشرق الإسلامي كان باللغة الفارسية ، وديوان الخراج في مصر كان باللغة القبطية[٢] ، واستمرت هذه الدواوين دون تغيير أو تعديل حتى خلافة عبد الملك بن مروان ، إذ أمر بتعريب الدواوين من اللغات المحلية إلى اللغة العربية ، ففي سنة (٨١هـ/ ٧٠٠م) تم تعريب ديوان الخراج في بلاد الشام ، وفي سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م) تم تعريب ديوان الخراج في العراق إلى اللغة العربية ، وفي سنة (٨٧هـ/ ٧٠٥م) تم تعريب ديوان الخراج في مصر إلى اللغة العربية ، أما دواوين الخراج في المشرق الإسلامي فقد تم تعريبها إلى اللغة العربية سنة (١٢٤هـ/ ٧٤١م)[٣] ، وأن أهم النتائج التي ترتبت على حركة التعريب التي قام بها الخليفة عبد الملك بن مروان فهي :

- تحرر الدولة العربية من أي نفوذ أجنبي .
- انتشار اللغة العربية والخط العربي في البلاد المحررة .
- ازدهار حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية .

---

(١) احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٩١ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٩٧-١٩٨ ؛ الجهشياري ، والوزراء والكتاب ، ص٣٨-٤٠.

(٣) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٣٨-٤٠ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٣٠١ .

- أصبحت اللغة العربية لساناً حضارياً في جميع أمصار الدولة الإسلامية[١] .

خ. سك العملة :

يقصد بالسكة القالب المعدني المنقوش الذي تصب فيه المعادن التي تصنع منها الدراهم والدنانير لتنطبع عليها نقوشه[٢] ، ويعد نقش السكة من شارات الدولة ومعالمها الرسمية التي تختص بها دون غيرها[٣] ، أما دار السكة فهو المكان الذي تضرب فيه النقود[٤] .

لم تكن للعرب في الجاهلية نقود مستقلة وإنما كانوا يتعاملون بالنقود البيزنطية من الدينار الذهبي والفلس النحاسي ، والنقود الساسانية من الدرهم الفضي ، وكانت هذه العملات تسك في بلادها باللغات الرسمية الخاصة بها[٥].

وقد أقر الرسول ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ التعامل بالنقود الجاهلية[٦] ، أما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فقد أمر بضرب دراهم جديدة نقش على بعضها عبارة (الحمد لله) ، وعلى بعضها (محمد رسول الله) ، وفي بعضها (لا إله إلا الله) ، وكذلك حدد قيمة الدرهم الشرعي ستة دوانق أي سبعة أعشار المثقال[٧] ، بهذا يكون الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قد وضع الخطوات الأولى نحو تعريب النقود ، فضلاً عن ذلك فإن وزن العملة الجديدة أصبح

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٩٣ .
(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٣ ، ص٥٨٢ .
(٣) الهراوي ، لغة الإدارة العامة ، ص١٦٤ .
(٤) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج٣ ، ص٣٠٦ .
(٥) الهراوي ، لغة الإدارة العامة ، ص١٦٥ .
(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٤٧ .
(٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٤٧ ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج٣ ، ص٣٢٠.

أساس تدفع بموجبه الزكاة والضرائب الأخرى[١] ، وفي خلافة عثمان بن عفان ﷺ ضربت دراهم نقش عليها عبارة (الله أكبر) ، ولما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة سك دراهم ودنانير جديدة[٢] .

وظل العرب يتعاملون بالنقود الأجنبية جنباً إلى جنب مع النقود العربية حتى أوائل العصر الأموي ، ولم تعرف عند المسلمين عملة إسلامية خالصة إلا في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أمر بضرب السكة الإسلامية الجديدة في جميع النواحي سنة (٧٦هـ/ ٦٩٥م) ، وبذلك أصبحت النقود عربية صرفة من الدراهم والدنانير[٣] ، ثم كتب إلى عماله في الأمصار الإسلامية يأمرهم على التعامل بالسكة الجديدة ، وأمر بسحب النقود القديمة التي كانوا يتعاملون بها ، ومنع الناس من التعامل بها[٤] .

كانت بلاد العراق هي التي تمد الدولة العربية الإسلامية بحاجتها من العملة الإسلامية طوال العصر الأموي ، إذ كان الحجاج بن يوسف الثقفي أول من أتخذ داراً للضرب وجمع فيها الطباعين لسك العملة الجديدة ، فكان يضرب ما يحتاجه عبد الملك بن مروان وسائر الأمصار الإسلامية من عملة[٥] ، وكان الدينار والدرهم مستديرين والكتابة عليهما في دوائر متوازية ، فيكتب على أحد الوجهين ذكر الله ورسوله ، وعلى الوجه الآخر اسم الخليفة وتاريخ الضرب[٦].

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٤٧ .
(٢) الخربوطلي ، الحضارة العربية الاسلامية ، ص٢٣٤ .
(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٤٤٧-٤٤٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٤٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٦١ .
(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٢٧٢ ؛ الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣١٦ .
(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٢٧٥ .
(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٨٣-١٨٤ ؛ الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٢٣٧.

ويبدو أن الأسباب التي دفعت الخليفة عبد الملك بن مروان إلى تعريب سك العملة هو حرصه على توحيد النظام النقدي العربي وتحررها من أي نفوذ أجنبي ، فضلاً عن ذلك لمنع الغش والتزييف والتلاعب بعد أن تعددت العملات ، ثم أن النقود العربية الجديدة بما تحمله من نقوش – كتابات إسلامية والتاريخ الهجري – تعبر عن سيادة الدولة العربية واستقلالها المالي من أي تبعية اقتصادية أجنبية .

ثانياً. النظام المالي :

يرتكز النظام المالي في الدولة العربية الإسلامية على الموارد المالية التي تحصل عليها الدولة من مصادر مختلفة وتدخل في بيت المال[١] ، وبيت المال هو المؤسسة المشرفة على موارد الدولة ونفقاتها[٢] ، ويمكن أن يعد في وقتنا هذا بمثابة وزارة المالية ، وكانت أهم موارد بيت المال في العصر الأموي :

أ. الخراج :

هو كراء الأرض – أجرة الأرض – وهو ما وضع من مقادير مالية أو عينية على مستثمري الأراضي الزراعية التي حررت أو فتحت عنوة أو صلحاً[٣] فالخراج ضريبة مفروضة على أراضي العنوة لا تسقط بدخول الذمي إلى الإسلام ، لأن الأرض موقوفة على المسلمين عامة ، كما فعل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بأرض السواد[٤] .

(١) كنعان ، الخلافة الأموية ، ص٢٢٣ .

(٢) حسن ، التاريخ الإسلامي ، ص٥٣٥ .

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٣١ .

(٤) أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ) ، الخراج ، ط٢ ، المطبعة السلفية ، (القاهرة – ١٣٨٢هـ) ، ص٦٦ ؛ ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ) ، الأموال ، تحقيق : خليل محمد هراس ، دار الفكر ، (بيروت – ١٤٠٨هـ) ، ص١٣٢ .

أما أراضي الصلح – أراضي أهل الذمة – فإنها تقسم على نوعين بحسب الخراج المفروض عليها ، ما صالح عليها أهلها فيؤدون عنها الخراج ، وتبقى رقبة ملكية الأرض لهم ، ويكون الخراج هنا بحكم الجزية متى أسلموا سقط عنهم[1] ، والنوع الثاني ما صالح عليه المسلمون أهلها على أن رقبة ملك الأرض للمسلمين فتصير بهذا الصلح وقفاً وتعد كأرض العنوة لا يسقط الخراج عنها حتى بعد إسلام مستثمريها كما لا يحق لهم بيع رقابها[2] .

ب. الجزية :

ضريبة مالية تؤخذ من أهل الذمة من غير المسلمين أي أهل الكتاب الذين ظلوا على دينهم من اليهود والنصارى وألحق بهم المجوس والصابئة في مقابل حماية الدولة لهم وضمان سلامتهم وأمانهم في مدنهم ومناطقهم[3] ، وقد وردت الجزية في القرآن الكريم بقوله تعالى : **﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**[4] .

فالجزية ضريبة تؤخذ من أهل الكتاب نهاية كل سنة من الرجال العقلاء ، ويعفى منها الأطفال والنساء والمجانين والمرضى والشيوخ والعميان

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٨٦ ؛ ابن رجب ، أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد (ت٧٩٥هـ) ، الاستخراج لأحكام الخراج ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٨٥م) ، ص٤٥ .

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١١٣-١١٤ .

(٤) سورة التوبة الآية : ٢٩ .

والرهبان إذ كانوا أغنياء ، ولا تؤخذ الجزية من مسكين يتصدق عليه ولا ممن لا قدرة له على العمل[١] .

أما مقدار المبلغ فقد اختلف من إقليم لآخر بحسب حالتهم المعاشية واجتهاد الإمام ، ويبدو أنها استقرت على ما كانت عليه في العهد الراشدي ، فقد كان مقدار الجزية في العصر الأموي (٤٨) درهم تفرض على الأغنياء ، و(٢٤) درهم تفرض على متوسطي الحال ، و(١٢) درهم على الفقراء الذين يستطيعون الكسب ، وتسقط بدخول الذمي في الإسلام[٢] ، أما وجه الفرق بين الجزية والخراج ، إن الجزية تسقط متى أسلم الذمي ، أما الخراج فلا يسقط ما دام غير مالك للأرض الخراجية .

ت. الفيء :

هو كل مال حصل عليه المسلمون من الكفار بغير قتال ولا ايجاف خيل أو ركاب (يعني الإبل)[٣] ، وقد ورد الفيء في القرآن الكريم بقوله تعالى : **﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾**[٤] .

فالفيء : هو المال الذي جلا عنه العدو خوفاً وفزعاً بدون قتال ، وله مصارفه الخاصة بقوله تعالى : **﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ**

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٢٢ ؛ ابن سلام ، الأموال ، ص٣٧ .
(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص٤٩-٥٠ ؛ ابن آدم ، الخراج ، ص٩ .
(٣) ابن عبد البر ، الكافي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – بلات) ، ص٢١٦ ؛ ابن كثير ، مختصر تفسير ابن كثير ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، دار الصابوني ، (القاهرة – بلات) ، ج٣ ، ص٤٧٢ .
(٤) سورة الحشر الآية : ٦ .

﴿ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[1] ، إذ يقسم الفيء خمسة أسهم ، سهم للرسول ﷺ ينفق منه على نفسه وأزواجه ومصالح المسلمين ، أما أربعة أخماس الخمس فيصرف في مصالح المسلمين عموماً ، أما الأصناف الذين سماهم الله تعالى فهو للاعتناء بهم لا لاختصاصهم بالمال ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾[2] ، وكانت أربعة أخماس الفيء الباقية في صدر الإسلام تقسم بين الجند في الأعمال الحربية لشراء الأسلحة وغيرها من معدات الحرب[3] .

ث. الغنائم :

هو المال الذي حصل عليه المسلمون عنوة وقهراً بايجاف الخيل والركاب عن طريق القتال على وجه الغلبة[4] ، فهو ما يصيبه المسلمون من عساكر أهل الشرك وجلبوه من متاع وسلاح وكراع (دواب)[5] ، وكانت هذه الأموال تقسم إلى خمسة أقسام متساوية ، خمس يكون وارد لخزينة الدولة ، أما الأربعة أخماس الباقية فيقوم قادة الجيش بتوزيعها على المقاتلة بالتساوي بعد

(١) سورة الحشر الآية : ٧ .

(٢) سورة الحشر الآية : ٧ .

(٣) القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت٥٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، تحقيق : احمد عبد العليم البردوني ، ط٢ ، دار الكتب ، (بيروت – ١٩٦٤م) ، ج٨ ، ص١١ ؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ص٥٤٢ .

(٤) ابن سلام ، الأموال ، ص٣٢٣ ؛ ابن قدامة المقدسي ، عبد الله بن احمد بن محمد (ت٦٣٠هـ) ، المغني ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – بلات) ، ج٦ ، ص٤٥٤ .

(٥) أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٨ .

انتهاء المعارك[١] ، وذلك عملاً بقوله الله تعالى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾[٢] ، وبذلك فإن خمس الغنائم كان مورداً من موارد الدولة في العصر الأموي ، إذ كان سهم الرسول ﷺ غالباً ما يودع في بيت المال موكول إلى نظر الإمام واجتهاده فيأخذ منه ويعطي القرابة منه ، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين[٣] .

ج. الزكاة :

الزكاة والصدقة شيء واحد وإن اختلفت التسمية فهما يحملان المعنى والقصد والمدلول نفسه[٤] ، قال تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [٥] ، وهي نسبة من المال تؤخذ من أغنياء المسلمين إذا بلغت النصاب ومضى عليها عام ، وتجبى من المسلمين في كل سنة على الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والحبوب وبضائع التجارة[٦] ، وكان لها ديوان خاص في مركز الخلافة ، وله فروع في أقاليم الدولة[٧] ، وقد حددت الزكاة وأوجه صرفها بنص من القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج٨ ، ص٩-١٣ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ص١٩٧ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٤١ .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج٨ ، ص٩ ؛ المورتناني ، محمد الأمين بن الشيخ بن مزيد ، الرقابة في العهد الراشدي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٧١م) ، ص٦٤ .

(٤) الشافعي ، الأم ، ج٢ ، ص٩٠ .

(٥) سورة التوبة الآية : ١٠٣ .

(٦) ابن قدامة المقدسي ، المغني ، ج٢ ، ص٤٦٧ ؛ كنعان ، الخلافة الأموية ، ص٢٣٢ .

(٧) حسن ، تاريخ الإسلام ، ص٥٤٠ .

وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1][2] .

ح. عشور التجارة :

هي الأموال التي يتم تحصيلها من التجار المسلمين وغير المسلمين ، فهي ضريبة تفرض على السفن ، وكذلك على سلع التجار عند مرورها من إقليم إلى آخر سواء كانت داخلة أو خارجة[3] ، وقيمتها عشر حمولة السفن وثمن المتاجر[4] ، وهي أشبه ما تكون بالرسوم الكمركية في الوقت الحاضر ، حيث عُمل على إقامة دور خاصة لجباية هذه الضرائب على جوانب الطرقات التجارية وعلى ضفاف الأنهار والبحار ، وكان الموظف المسؤول عن جباية هذه الضريبة يطلق عليه اسم العاشر ، ولا تؤخذ هذه الضريبة إلا مرة واحدة في السنة من التاجر مهما تكرر مرورها وانتقل من بلد إلى آخر[5] .

---

(١) سورة التوبة الآية : ٦٠ .

(٢) ميز الفقهاء بين مصارف الزكاة ومستحقيها على النحو التالي : الفقير : من لا يملك شيئاً ، المسكين : له بعض الشيء ولكن لا يسد حاجته ، العاملين عليها : هم الجباة المشتغلون بجمعها فأجرهم يدفع من الزكاة ، المؤلفة قلوبهم : هم قوم في صدر الإسلام ممن يظهرون الإسلام يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم وانقطع هذا الصنف بعد توطيد دعائم الإسلام ، الرقاب : الرقبة تعتق وولائها للمسلمين ، الغارمون : هم الذين ركبهم الدَين وتعسر عليهم الدفع ، في سبيل الله : هم الغزاة والمجاهدين ، ابن السبيل : هم المسافرون الذين لا يجدون نفقة لمواصلة سفرهم ، ينظر : الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٥م) ، ج١٠ ، ص٢٠٢-٢٠٣ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٢٥٩ .

(٤) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٤٦ ؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ص٥٤٠ .

(٥) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٤٦ ؛ ابن آدم ، الخراج ، ص١٧٢-١٧٣ .

ثالثاً. النظام الاقتصادي :

أ. الزراعة :

تعد الزراعة أحد الجوانب الحيوية في الحياة الاقتصادية ، فهي أحد الروافد الإسلامية التي تزود بيت المال بموارد مالية كبيرة ، فضلاً عن اعتماد أعداد كبيرة من الناس في حياتهم المعاشية على الزراعة والإنتاج الزراعي .

شهد العصر الأموي اهتماماً واضحاً بالأرض ونشاطاً زراعياً واسعاً من خلال منح القطائع ، وهو أن يقطع الإمام لرجل أرضاً فتصير له رقبتها وتسمى تلك الأرضون قطائع واحدتها قطيعة[١] ، كانت هذه الأراضي تقطع عادة من أراضي الموات ، وهي كل أرض ليست فيها اثر بناء ولا زرع ، ولم تكن فيئاً لأهل قرية ولا موضع مقبرة ولا موضع محتطب لهم ، ولا مرعى موضع دوابهم وأغنامهم ، وليست ملك لأحد ، ولا في يد أحد ، أو أنها الأراضي التي لا ينتفع بها لعطلها ، أما لانقطاع الماء عنها أو لاستيلاء الماء عليها ونحو ذلك من موانع الانتفاع[٢] ، وأحياناً تقطع من أراضي الصوافي ، وهي نوع من أراضي العنوة حُررت أو فتحت حرباً وقهراً ، إلا أن ملاكها السابقين فارقوها أو ماتوا ولا وارث لها[٣] ، ويلزم الشخص المقطع له على استصلاح الأرض واستثمارها[٤].

(١) الخوارزمي ، محمد بن احمد بن يوسف (ت٣٨٧هـ) ، مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق ، (القاهرة – ١٣٤٢هـ) ، ص٤٠ .

(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص٦٣ .

(٣) ابن رجب ، الاستخراج ، ص١٣٢ .

(٤) البلاذري ،فتوح البلدان ،ج١ ، ص١٧١-١٧٣ ؛اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،ج٢ ، ص٢٣٣.

ويبدو أن الخلفاء الأمويين قد استفادوا من الأسس والقواعد التي وضعت على عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين مثل شق الأنهار والقنوات وحفر الآبار ، فضلاً عما وجدوه من نظم محلية تعود إلى الدولتين الساسانية والبيزنطية لاسيما في مجال المسح والري[١] .

وبذلك شهدت الخلافة الأموية نشاطاً زراعياً واسعاً لاسيما بعد أن أنجزت مشاريع أروائية في سواد العراق وبلاد الشام ومصر[٢] ، ومما عزز هذا التوجه وجود رغبة قوية من سادة العرب وسكان أقاليم الدولة في منحهم الأراضي نظير زراعتها ، فاقطع الخلفاء والولاة الأراضي دون تمييز بين شخص وآخر ، فاقطعوا الخاصة والعامة من الناس ممن وجدوا لديه القدرة على استصلاح الأرض وزراعتها[٣] .

إلى جانب ذلك فقد عمد الأمويون الى استصلاح أراضي الموات وتجفيف المستنقعات ، فقد انتبهوا إلى البطائح[٤] (بين واسط والبصرة)[٥] ، منذ مطلع العصر الأموي لتحقيق هدفهم لأنها تشكل مساحات واسعة من أرض السواد ، وفيها مجال ومتسع كبير لمن يريد استصلاح المزيد من الأراضي[٦] ، وكانت الأراضي المستصلحة من البطائح والصالحة للزراعة تسمى الجوامد

(١) ابن آدم ، الخراج ، ص١١٢ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٤٤١ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٤٤٢ .
(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢ ، ص٢٠٦ .
(٤) البطائح : أرض واسعة بين واسط والبصرة ، وكانت قديماً قرى متصلة وأرض عامرة ، فلما زادت دجلة والفرات زيادة مفرطة وعجز عن سدها تبطح الماء في تلك الديار وطرد أهلها عنها ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٥٠ .
(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٥٨-٤٤٤ .
(٦) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٥٨-٤٤٤ .

(الحدود بين الاراضين)[١] ، ويبدو أن عبد الله بن دارج عامل معاوية بن أبي سفيان على خراج العراق قد نجح في استصلاح أراضي واسعة من البطائح ، وذلك بتجفيف مياهها وقطع ما فيها من أدغال وقصب ، وأقام عليها المسنيات (السدود) للسيطرة على المياه[٢] ، واقطعت تلك الأراضي لمن يقوم باستثمارها وعمارتها من الأيادي المعطلة ، فدرت على المجتمع بمحاصيل زراعية متنوعة[٣]هذا وقد تابع الخلفاء والولاة عنايتهم بأمور الزراعة وبشكل خاص بالأرض والفلاح باعتبارهما عنصرين أساسيين في النشاط الزراعي وتطوره[٤] ، فضلاً عن ذلك فقد بذلوا جهوداً كبيرة في استصلاح الأراضي واستثمارها في الزراعة ، فقد عمل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق على استصلاح الكثير من أراضي البطائح وشق الأنهار والقنوات[٥] ، وقام بعدد من الإجراءات التي من شأنها تنشيط الزراعة في البلاد ، فقد منع هجرة الفلاحين من قراهم إلى المدن[٦] ، وعمل على توفير الأيدي العاملة في الزراعة[٧] ، ومنع ذبح البقر لما له من أهمية في حراثة الأرض وعمارة الزراعة[٨] ، واهتم بشؤون

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٧٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص١٣١ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٢٥٨ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٧٩ .
(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٥٨-٤٤٤ .
(٤) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٥٨ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٢٦٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٠٦ .
(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٥٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٧٤.
(٦) ابن خرداذبة ، عبد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ) ، المسالك والممالك ، تحقيق : دي تحويه ، مطبعة بريل ، (ليدن – ١٩٨٩م) ، ج٢ ، ص١٥ .
(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٤٦٢ .
(٨) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج١٣ ، ص٣٦٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٧٤ .

الفلاحين ومساعدتهم على القيام بأمور الزراعة حيث قدم لهم القروض المالية من أجل أن يستعين بها المزارعون في الأمور الزراعية[١] .

وشهد العصر الأموي على يد مسلمة بن عبد الملك اهتماماً كبيراً بشؤون الزراعة ومشاريع الري التي شملت العديد من القرى ومدن الجزيرة الفراتية والعراق[٢] ، ولعل أعظم انجاز قام به مسلمة بن عبد الملك في مجال الري تمثل ببنائه الخزان المائي الكبير الذي يعد أضخم مشروع أروائي في الجزيرة الفراتية عرفه التاريخ الأموي[٣] .

ومن البديهي إن هذا المشروع الاروائي كان داعماً للنشاط الزراعي وإحياء الأراضي الواسعة واستصلاحها ، كذلك فإن مسلمة بن عبد الملك قام بإنفاق مبالغ عالية لاستصلاح سدود الخزانات في مناطق البطائح ، وبذلك يكون مسلمة قد أنقذ القرى والمزارع من خطر الفيضانات وجعلها صالحة للزراعة[٤] .

وشهدت مصر خلال العصر الأموي نشاطاً كبيراً في استصلاح الأراضي وعمارتها لاسيما على يد عبيد الله بن الحبحاب (١٠٩-١٢٢هـ/ ٧٢٧-٧٣٩م) والي الخليفة هشام بن عبد الملك ، فقد عمل هذا الوالي على استصلاح الأراضي وعمارتها ، فمسح الأراضي كي يتبين له الأرض العامرة والصالحة للزراعة من الأرض الغامرة بالماء ومدى إمكانية

(١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ج٢ ، ص١٤ .
(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٢٨ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١٧٦ .
(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٦٥ .
(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٦٠ .

استصلاحها وجعلها صالحة للزراعة[١] ، كذلك كان عبيد الله بن الحبحاب يقدم المساعدات المالية للمزارعين لغرض توفير المستلزمات الزراعية التي كانوا يحتاجونها في مجال الزراعة ، فوسعوا بذلك من رقعة الأراضي المزروعة[٢] ، مما أدى إلى زيادة في الإنتاجية الزراعية[٣] .

وفي ضوء هذه السياسة التي اتبعها الخلفاء والولاة في العصر الأموي ، فقد ازدهرت الزراعة مما أدى إلى زيادة الإنتاج الزراعي بمحاصيل زراعية متعددة الأنواع كالزيتون والعنب والرمان والتفاح والتين وحبوب الحنطة والشعير ، وبذلك رخصت الأسعار ورفد بيت المال بموارد مالية جديدة[٤] .

ب. التجارة :

مارس العرب قبل الإسلام التجارة وكانت لهم بها خبرة ومعرفة في البيع والشراء لاستثمار رؤوس الاموال وتنميتها ، كما أنهم أتقنوا الطرق التجارية ، فكان هاشم بن عبد مناف من أوائل من خرج إلى الشام ووفد إلى الملوك وأبعد في السفر ومر بالأعداء وأخذ منهم الإيلاف[٥] ، الذي ذكره الله تعالى بقوله : ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ** ﴾[٦] ، وكانت لقريش رحلتان ، رحلة في الشتاء نحو بلاد اليمن ، ورحلة في الصيف نحو بلاد

(١) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج١ ، ص١٨٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٥١-١٥٢ .
(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٣ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج١ ، ص١٥٨.
(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٢٢ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٥٧-١٧٩ .
(٥) الإيلاف : العهود التي كانوا يأخذونها إذا خرجوا إلى التجارات فيأمنون بها ، ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٢ ، ص٨٢٩ .
(٦) سورة قريش الآيات : ١-٢ .

الشام ، ولم تقتصر رحلات قريش التجارية على الشمال والجنوب ، وإنما قصدوا بلاد الرافدين أيضاً[1] .

وكان للعرب قبل الإسلام أسواق تجارية يتم فيها النشاط التجاري ، وكانت هذه الأسواق أما أن تكون مستقرة في محلات معينة على طول أيام السنة يرتادها من يريد أن يتزود بالسلع والمواد التجارية ، وأما أن تكون في مناطق معينة ومواسم خاصة تدعى بالأسواق الموسمية[2] ، ولم تقتصر هذه الأسواق على الأمور التجارية فقط بل كان يؤمها المتخاصمون لغرض عقد الصلح ، فضلاً عن أن بعضها كانت أسواقاً أدبية ينشد فيها الشعراء قصائدهم ، فكان من مظاهر تحضر العرب قيام أسواقهم قبل الإسلام ، ومن تلك الأسواق سوق دومة الجندل بين الشام والمدينة ، وكان يقدم إلى هذا السوق تجار من العراق والشام ومكة[3] ، وفي هجر قاعدة البحرين كان هناك سوق يسمى المشقر ، وسوق صحار (أقدم مدن عُمان) ، وسوق صنعاء ، وما بين سوق عكاظ وسوق مكة يقع سوق ذو المجاز ، وسوق مجنة قرب مكة ، وسوق بصرى في بلاد الشام وسوق الحيرة غربي الفرات ، وغيرها من الأسواق الأخرى[4] .

ولما جاء الإسلام استمر النشاط التجاري إذ نظمت الشريعة الإسلامية المعاملات المالية والتجارية ، فقد شجع النهج الاقتصادي الإسلامي العمل

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٤٤ ؛ علي ، المفصل ، ج٨ ، ص١٤٦ .

(٢) ابن الحائك ، أبو محمد الحسن بن احمد الهمداني (ت٣٤٤هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٣م) ، ج١ ، ص٨٣ .

(٣) أبو حيان التوحيدي ، علي بن محمد (ت٤٠٠هـ) ، الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق : محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٣م) ، ج١ ، ص٨٣-٨٥ .

(٤) الأفغاني ، سعيد ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط٢ ، (دمشق – ١٩٦٠م) ، ص١٠٣-١٣٠ .

بالتجارة وحرم جميع أنواع الغش والخداع وترويج السلع باليمين الكاذب ، إذ روي عن الرسول ﷺ أنه قال : "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء"[١] ، ولما تحررت جميع الأراضي العربية وتوطدت أركان الدولة العربية الإسلامية وسع الصحابة نشاطاتهم في التجارة وأعمالها لاسيما وأن الدولة أتاحت لهم فرصاً واسعة في التجارة والربح الحلال[٢] .

وفي العصر الأموي نشطت التجارة إذ اهتم المسؤولون بإنشاء العديد من الأسواق التجارية في مختلف مدن الدولة ، ففي البصرة كان هناك سوق للإبل ، كما كان فيها ثلاثة أسواق كبيرة هي سوق الكلا والسوق الكبير وسوق باب الجامع ، أما سوق المربد عند باب البصرة فكان من أهم أسواقها[٣] ، وفي واسط شيد الحجاج بن يوسف الثقفي أسواقاً عديدة منها سوق القصابين وسوق النحاسين والحدادين ، وفي الكوفة شيد خالد بن عبد الله القسري والي العراق للخليفة هشام بن عبد الملك أسواق عديدة مثل سوق النجارين وسوق الصيارفة ، وفي مدينة الحيرة شيد يوسف بن عمر في خلافة هشام بن عبد الملك سوقاً يعرف بسوق عمر ، واشتهرت مدينة الموصل بأسواقها ومنها سوق القصابين وسوق الصفارين وسوق الأربعاء ، كذلك شيدت الأسواق في دمشق والفسطاط والقيروان ومدن الجزيرة العربية[٤] .

(١) الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن (ت٢٥٥هـ) ، سنن الدارمي ، المطبعة الحديثة ، (دمشق – ١٣٤٩هـ) ، ج٢ ، ص٢٤٧ .

(٢) بطانية ، محمد ضيف الله ، الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى ، دار الكندي ، (الأردن – بلات) ، ص١١٢ .

(٣) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص١٧٤-١٨٠ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص١٣٤-١٦٠ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٢٧٥-٢٨٥ .

وعملت الدولة الأموية على تشديد رقابتها الإدارية على الأسواق ، فبعد أن اتسعت الدولة ونشطت أسواقها كان لزاماً أن تخضع سير المعاملات التجارية بأنظمة وقوانين لكي تمنع حصول الغش والتزييف والاحتكار من قبل بعض الباعة ، فكانت وظيفة الحسبة التي وجدت في صدر الإسلام واستمر العمل بها طوال العصر الأموي ، هي من تعالج هذه الظواهر وتتابع سير التعامل التجاري والمالي[1] ، أما اختيار موظف الحسبة أو ما يسمى بالمحتسب فكان يتم بشروط منها أن يكون مسلماً حراً بالغاً عادلاً فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة الإسلامية ، وله معرفة بوحدات الوزن والكيل والأذرع المستعملة في الأسواق[2] ، فالحسبة كوظيفة استحدثت لتطبيق أسس العدالة في المجتمع وتنفيذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واختصت بشكل أساسي في تنظيم أموال السوق ومعاملاته التجارية[3] .

ومن الإجراءات التي ساعدت على النشاط التجاري في العصر الأموي هو اهتمام الدولة في طرق المواصلات البرية والبحرية ، إذ أنشأت الموانئ وأقامت الآبار والمحطات في طرق القوافل التجارية ، فضلاً عن ذلك ملاحقة قطاع الطرق واللصوص وقراصنة البحر[4] .

أما عروض التجارة التي كانت تحمل إلى الأسواق التجارية سواء كانت تأتي من داخل أقاليم الدولة أو من دول أخرى فهي الحبوب من الحنطة

(١) شلبي ، أبو زيد ، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، ط٣ ، (القاهرة – ١٩٦٤م) ، ص١٣٠ .

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٥٤ .

(٣) الكروي ، المرجع في الحضارة ، ص٩٢ .

(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص٥١ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٢٥٢ .

والشعير والذرة والرز والسمسم والتمور ، وأنواع الأقمشة والخيول والأغنام والجلود والعطور والبخور ، والدروع والسيوف والرماح والحلي والتوابل إلى غير ذلك من عروض التجارة[١] .

ت. الصناعة :

شكلت الصناعة جانباً حيوياً من جوانب الحياة الاقتصادية ، فهي تمثل نمطاً فعالاً للنمو الاقتصادي الإنتاجي في توفير الحاجات الضرورية في حياة الإنسان لأي مجتمع ، فقد كان للعرب قبل الإسلام علم بصناعة الزيوت والدهون والصمغ (العلك) ، وعرفوا دباغة الجلود والصناعات الخشبية كصنع أواني الطعام والأبواب والصناديق ، وعرفوا صناعة المعادن المختلفة مثل العقيق والنحاس والرصاص ، وبرعوا في صناعة الأحذية المختلفة كالخف والنعال ، فضلاً عن ذلك فقد اشتهروا بصناعة النسيج والحياكة ، إذ كانوا ينسجون البسط والسجاجيد من الصوف وغزل القطن ، كما استخدموا شعر الماعز لصنع الخيام[٢] .

واستمر العمل في الصناعة خلال العصر الأموي على نحو ما كانت عليه في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ، ففي اليمن استمرت صناعة الأسلحة من السيوف والدروع والخناجر والسكاكين والنصال المعدنية ، وكانت هناك الرماح الخطية نسبة إلى مدينة الخط بين عمان والبحرين ، والرماح الردينية والسمهرية نسبة إلى صانعيها والنبال اليثريبية[٣] ، وهناك صناعة المنسوجات من

(١) الكروي ، المرجع في الحضارة ، ص١٩٣-١٩٤ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٢٥٨-٢٦٠ .

(٢) علي ، المفصل ، ج١٤ ، ص٢٩٠-٣٠٥ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٠٥ ، بطانية ، الحياة الاقتصادية ، ص١١١ .

الثياب النجرانية والبرود اليمانية[١] ، وصناعة الأبر والحبال ، وصناعة الأصبغة وصناعة السفن لاسيما في مصر[٢] .

ويبدو أن هناك عوامل كثيرة شجعت الناس على امتهان الحرف الصناعية في العصر الأموي ومنها :

١. التحول الحضري السريع الذي طرأ على المراكز التي أسسها العرب خلال مرحلة الفتوحات الإسلامية لأغراض عسكرية وتوافد الكثير من الأقوام غير العربية للاستقرار في هذه المراكز والامتهان بشتى المهن والحرف لاسيما حرفة النسيج والحياكة والصباغة ، وصناعة الدباغة والنجارة ، وصناعة الأسلحة ، وصناعة الأواني ، وصناعة الزجاج والزينة ، وصناعة العطور[٣] .

٢. التطور العلمي الذي حصل نتيجة لاستقرار العرب وانصرافهم للتعلم ، فكان خالد بن يزيد بن معاوية قد اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم فأتقنها ، وهو أول من ترجم كتب الطب والنجوم والكيمياء ، وذكر أنه ألف كتب عدة في ذلك منها كتاب في الصنعة (الكيمياء)[٤] .

٣. زيادة الطلب على المنتجات الصناعية المختلفة نتيجة تطور المجتمع العربي وحاجة الناس لها[٥] .

---

(١) بطانية ، الحياة الاقتصادية ، ص١١١ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١٤٠ .

(٣) احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٢٤٢ .

(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٢ ، ص٣١١ .

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص١٦٢ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٢٤٢ .

الفصل الرابع

اتساع الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي

أولاً. الجيش وتنظيماته :

لم يكن للعرب قبل الإسلام نظام خاص بالجيش إنما كان رجال القبيلة مدعوون للقتال مشاة أو فرساناً عند الحاجة في سبيل مصالح قبيلتهم ، وبعد انتهاء القتال يعودون إلى ممارسة أعمالهم اليومية[1] .

أما في عصر الرسالة الإسلامية فقد اعتمدت الدولة منذ بدء نشأتها على قوة عسكرية للدفاع عن نفسها ضد الأعداء ونشر الإسلام ، فكان ذلك نواة تكوين الجيش ، إذ كان لزاماً على كل مسلم قادر على حمل السلاح أن يخرج للقتال والجهاد في سبيل الله ، وكان الرسول ﷺ هو القائد الأعلى لهذا الجيش[2] ، ويبدو أنه لم تكن للدولة ميزانية خاصة للإنفاق على الجند لأنهم يتطوعون للقتال وينالون أربعة أخماس الغنائم ، وكل مقاتل يجهز نفسه بأسلحته ودابته[3] .

وفي عهد الخلفاء الراشدين احتاجت الدولة العربية بعد حركات التحرير والفتوحات الإسلامية إلى جيش نظامي دائمي يكون على استعداد في أيام الحرب والسلم معاً ، مما دفع ذلك الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى إنشاء

(١) أبو خليل ، شوقي ، الحضارة العربية الإسلامية ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٤م) ، ص٣٥٥.
(٢) الهاشمي ، رحيم كاظم محمد ، عواطف محمد شنقاور ، الحضارة العربية الإسلامية ، الدار المصرية ، (القاهرة – ٢٠٠٢م) ، ص٨٠ .
(٣) الكروي ، المرجع في الحضارة ، ص١٠٢ .

ديوان الجند سنة (٢٠هـ/ ٦٤٠م) لتسجيل أسماء المقاتلين ومقدار عطائهم (مرتباتهم) ، فكان عطاء الجندي يتراوح سنوياً ما بين (٥٠٠-١٠٠٠) درهم[١].

وفي بداية العصر الأموي شهد الجيش تطوراً كبيراً ، إذ أصبحت عملية إعداد الجند وتهيئة المقاتلين تأخذ الحيز الأكبر من سياسة الدولة ، فقد أولت الدولة هذه المؤسسة العسكرية اهتماماً خاصاً[٢] ، لاسيما وإن عملية تجنيد المقاتلين وإعدادهم كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالولاة ومدى كفاءتهم وتدابيرهم الإدارية والعسكرية[٣] ، وعلى ذلك يمكن اعتبار ولاية زياد بن أبي سفيان على البصرة سنة (٤٥هـ/ ٦٦٥م) البدايات الأولى للتشديد في عملية التجنيد واستنفار المقاتلين ومعاقبة المتخلفين ، فقد شعر زياد أنه لا يمكن السيطرة على الجند وليس باستطاعته تهيئة قوات كبيرة قادرة على انجاز مهام القتال إلا من خلال إعادة تنظيم القبائل في البصرة والكوفة ليضمن السيطرة عليها من الناحية العسكرية[٤] ، وبفعل تلك السياسة التي اتبعها زياد ازداد عدد المقاتلين في البصرة من أربعين ألف إلى ثمانين ألف ، وأصبح عدد مقاتلي الكوفة ستين ألف[٥] .

(١) الهاشمي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٨٢ .

(٢) فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة : محمد عبد الهادي وحسين مؤنس ، (القاهرة – ١٩٦٨م) ، ص١٢٧ ؛ دكسن ، عبد الأمير ، الخلافة الأموية ٦٥-٨٦هـ ، دار النهضة العربية (بيروت – ١٩٧٣م) ، ص١٤٣ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٦ ، ص٧٨٩ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٦٦ .

(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٦ ، ص٧٨٩ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٤٤-٣٤٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٣٨ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص١١٥ .

أما التجنيد الإلزامي الإجباري في العصر الأموي ، فقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي أول من طبقه في خلافة عبد الملك بن مروان وذلك سنة (٧٥هـ/ ٦٩٤م) حينما خطب بأهل الكوفة وأكد على تجنيد الناس وفرار الجند وهدد بالقتل كل من وجد متخلفاً عن جيش المهلب بن أبي صفرة في قتال الخوارج بعد ثلاثة أيام وذلك بقوله : " وقد بلغني رفضكم المهلب وإقبالكم إلى مصركم عصاة مخالفين ، وأقسم بالله لا أجد أحد بعد ثالثة ممن أخل بمركزه إلا ضربت عنقه "[١] ، وبعد اليوم الثالث نفذ الحجاج تهديده إذ قتل أحد المتخلفين عمير بن ضابىء البرجمي فخاف الناس والتحقوا بجيش المهلب ، وبلغ من شدة الحجاج على المتخلفين أنهم تسارعوا إلى اللحاق بجيش المهلب وتزاحموا على عبور نهر الفرات حتى غرق بعضهم ، فأمر الحجاج بإقامة جسر آخر لتسهيل عبور الناس[٢] .

ويرى أحد الباحثين أن الحجاج كان محقاً في معاملته للجنود الفارين ، لأن الدولة كانت تمنح العطاء للمقاتلة مما يخولها قانوناً حق فرض البعث عليهم أي تجنيدهم للمشاركة في الحملات أو البعوث العسكرية وإلزامهم الاشتراك في القتال[٣] ، ومع ذلك فإن الحجاج وعلى الرغم من استعمال العقوبات القاسية وتهديده بالقتل وقتله شخصاً آخر كان متخلفاً في البصرة يدعى شريك بن عمرو اليشكري فإنه كان يحبس الفارين نهاراً ويفتح أبواب السجن ليلاً ليتيح

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٢٧٦ .
(٢) البلاذري ،أنساب الأشراف ،ج٧ ، ص٢٧٦ ؛ الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٥ ، ص٤٣.
(٣) العلي ، صالح احمد ، العطاء في الحجاز تطور تنظيمه في العهود الإسلامية الأولى ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثاني ، بغداد ، ١٩٧٠م ، ص٧٥-٧٦ .

لهم مجال الخروج والتوجه نحو جيش المهلب وكأنه لا يعلم ، مما يدل أن هدفه لم يكن القتل إنما دعم جيش المهلب وتجنيد المقاتلة لرد الخطر المحدق بالدولة[١] .

وقد غدا التجنيد الإلزامي في العصر الأموي من أبرز التنظيمات العسكرية ، ففي خلافة هشام بن عبد الملك لم يكن يسمح لأحد بالتخلف عن الجهاد ، حتى أنه اشترط على كل من يأخذ العطاء من أصحاب الديوان أن يخرج للجهاد أو يخرج بدلاً عنه[٢] ، ويبدو أن رواتب الجند في العصر الأموي لم تكن ثابتة بل تزيد وتنقص تبعاً للأحداث الداخلية والظروف السياسية ، فقد بلغ عطاء الجندي في عهد معاوية بن أبي سفيان سنوياً ألف درهم ، وزاد في عهد عبد الملك بن مروان ، وكذلك زاد في عهد الوليد بن يزيد[٣] .

أما عناصر الجيش فهو كان يتألف بالدرجة الأساس من العرب الذين يرجعون في أنسابهم إلى قحطان وهم اليمنية أو عدنان وهم المضرية[٤] ، فضلاً عن ذلك فقد ضم الجيش في العصر الأموي جماعة مقاتلة إلى جانب العرب يطلق عليهم الموالي ، وهم عناصر غير عربية تنتمي إلى أجناس مختلفة مثل الترك والفرس وغيرهما من القوميات الأخرى ، وهم أما أسرى الحروب وأما هم من غير العرب دخلوا الإسلام واعتقوا من قبل الدولة أو من قبل أسيادهم بسبب ولائهم وإسلامهم وحماسهم في قتال خصوم الدولة ، فعدوا أحراراً وارتبطوا بساداتهم برابطة الولاء ، فكانوا يقاتلون إلى جانب أسيادهم في المعارك أو

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٢٧٩ ؛ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج٤ ، ص٣٨٠.
(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج١ ، ص٣٨٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥١٥.
(٣) الهاشمي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٨٣ .
(٤) الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٦٥ .

يذهبون للجهاد بدلاً عنهم[١] ، ويبدو أن أعداد الموالي في العصر الأموي كان يزداد باستمرار كلما اتسعت الفتوحات الإسلامية حتى بلغت أعدادهم الآلاف في أرجاء الدولة العربية شرقاً وغرباً[٢] ، أما عن صنوف الجيش في العصر الأموي ، فقد كان يتألف من وحدات عديدة منها :

١. وحدة الخيالة : وهم الفرسان ومهمتهم الهجوم والمناورة والالتفاف على العدو من الخلف وإرباك صفوفه وشل حركته وتوجيه الضربات له[٣] .

٢. وحدة الرجالة : وهم المشاة وكانوا يؤلفون القسم الأكبر من قوات الجيش ، كانت مهمتهم الاصطدام المباشر مع العدو وتحطيم قوته الرئيسية[٤] .

٣. وحدة الرماة : وهم النشابة الذين يحملون الأقواس التي يرمون بها السهام ، وقد شكلت هذه الوحدة قسم كبير من الجيش الأموي[٥] ، وقد اشتهرت في البصرة فرقة من الرماة يدعون بالبخارية عرفوا بإجادة الرمي بالنشاب ، عددهم ألفان ، جاء بهم عبيد الله بن زياد من سبي

(١) الصدر ، السيد محمد (ت١٤٢١هـ) ، ما وراء الفقه ، ط٣ ، (قم – ٢٠٠٧م) ، ج٩ ، ص٣١٣ الحسين ، قصي ، موسوعة الحضارة العربية في العصر الأموي ، دار البحار ، (بيروت – ٢٠٠٤م) ، ص٨١ .

(٢) الهرثمي ، أبو سعيد الشعراني (ت ق ٣هـ) ، مختصر سياسة الحروب ، تحقيق : عبد الرؤوف هون ، المؤسسة المصرية ، (القاهرة – بلات) ، ص٣٩-٤٠ .

(٣) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ص١٨٠ ؛ الحسين ، موسوعة الحضارة العربية ، ص٩٠ .

(٤) الحسين ، موسوعة الحضارة العربية ، ص٩٠ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص٣٧٤ ؛ الحسين ، موسوعة الحضارة العربية ، ص٩١ .

بخارى وأسكنهم البصرة ، وأصبحت تلك المنطقة تعرف بالبخارية أو بخارية عبيد الله بن زياد[١] .

٤. وحدة المنجنيق : كانت مهمة هذه الوحدة هو رمي حصون الأعداء وقلاعهم بالمنجنيق ، وقد استخدم المنجنيق في حملات المسلمين في العصر الأموي[٢] .

٥. وحدة الفعلة : وهم فئات متعددة من الرجال الذين لا يدخلون ضمن صفوف المقاتلة ، لأن مهامهم كانت تتركز على شق الطرق وحفر الخنادق وإقامة الجسور والقناطر وحفر الآبار وغيرها من العمليات التي تتطلبها طبيعة المعركة من أجل تسهيل الأمور أمام الجيش[٣] ، ومن الأمثلة على استخدام الفعلة في الجيش خلال العصر الأموي قيام قتيبة بن مسلم الباهلي باستخدام الفعلة في تهديم سور مدينة بيكند فيما وراء النهر فسقط الحائط وقتل أربعين من الفعلة[٤] ، كذلك استخدمهم الحجاج بن يوسف الثقفي في تخريب القناطر والجسور في الطريق المؤدي إلى البصرة ليعيق تقدم قوات عبد الرحمن بن محمد الأشعث[٥] .

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٤ ، ص٥٠٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٢٢٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٥٤-٣٥٥ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٤ ، ص٢٢٤ .

(٣) الحسين ، موسوعة الحضارة العربية ، ص٩٢ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص١٢٢ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٣١ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج١١ ، ص٢٤ .

ثانياً. الأسطول الإسلامي في العصر الأموي :

كانت العرب على اتصال بالأمم المجاورة منذ العصور القديمة ، فقد كان اليمنيون أهل تجارة في البر والبحر ووصلت سفنهم إلى بلدان جنوب شرق آسيا والى الشواطئ الشرقية للقارة الأفريقية[١] ، واشتهر أهل عُمان والبحرين بالملاحة البحرية ، كما تعامل العرب تجارياً مع الأحباش عن طريق البحر[٢] .

ولما ظهر الإسلام وبلغت حركات التحرير العربية سواحل بلاد الشام ومصر وأصبحت لديهم سواحل متصلة تطل على البحر الأبيض المتوسط شعروا بأهمية الأسطول لحماية شواطئهم من غارات الأسطول البيزنطي الذين كانوا يشنون غارات على المسلمين بين الحين والآخر[٣] ، فكانت العناية في أنشاء الأسطول الإسلامي ضرورة أملتها الصراعات المتواصلة مع الروم ونشر الإسلام والدفاع عن كيان الأمة[٤] .

وتعد ولاية معاوية بن أبي سفيان على بلاد الشام نقطة البداية في إنشاء الأسطول الإسلامي ، فقد أحس بحاجة العرب إلى قوة بحرية لمواجهة الروم البيزنطي الذين كانوا يهددون السواحل الشامية ، وعلى ذلك أسس قواعد لصناعة السفن الحربية في الشواطئ الفلسطينية لاسيما في عكا ، إذ استقدم إليها صناعاً من مصر ليبنوا السفن الحربية فيها[٥] ، وبعد أن انتهى من

(١) أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٣٦٨ .
(٢) الهاشمي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٩١ .
(٣) الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٦٩ ؛ الهاشمي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٩١ .
(٤) الهاشمي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٩١ .
(٥) طهبوب ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص١٨٧ .

بناء الأسطول طلب من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أن يأذن له في غزو جزيرة قبرص الواقعة في البحر الأبيض المتوسط الخاضعة للروم ، مؤكداً له أن عملية التحرير ممكنة لقربها من سواحل الشام ، غير أن الخليفة عمر ﷺ لم يأذن له بركوب البحر حرصاً على سلامة الجند من الهلاك معبراً عن ذلك بقوله : "تالله لمسلم أحب إليَّ مما حوت الروم"[١] .

ولما آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان ﷺ استأذنه معاوية بركوب البحر فلم يوافقه في أول الأمر لكنه بعد ذلك سمح له شريطة أن تكون الحملة عن طريق التطوع والاختيار ولا يحمل أحد ضد رغبته وأن يصطحب زوجته معه وأن يترك جيشاً يحرس السواحل[٢] ، وبذلك غزا معاوية جزيرة قبرص سنة (٢٨هـ/ ٦٤٨م) ، فكانت هذه الحملة أول غزوة للعرب في البحر الأبيض المتوسط وتمت بنجاح[٣] ، ثم حقق الأسطول الشامي بالتعاون مع الأسطول المصري نصراً حاسماً سنة (٣٤هـ/ ٦٥٤م) في معركة ذات الصواري التي تحطم فيها الأسطول البيزنطي وغدت سيطرة العرب واضحة في البحر الأبيض المتوسط[٤] .

والواقع إن الدولة الأموية قد أبدت اهتماماً كبيراً بالأسطول الإسلامي ، فقد اهتم معاوية بن أبي سفيان بإنشاء السفن الحربية لصد غارات الدولة البيزنطية على البلاد الإسلامية ، وبلغ أسطول الشام في عهده (١٧٠٠)

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٢٥٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٨ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٥٧-١٥٨ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٦٦ ؛ الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص١٣٩ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص١٩٠ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٥٠-٥١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٥٨ .

سفينة[١] ، كذلك ساهم ولاة معاوية في إنشاء قواعد بحرية لصنع السفن الحربية ففي مصر قام مسلمة بن مخلد الأنصاري في بناء دوراً لصناعة السفن في جزيرة الروضة سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م)[٢] ، وسار عبد الملك بن مروان على نهج معاوية من حيث الاهتمام بالقوة البحرية ، حيث أرسل إلى حسان بن النعمان الغساني والي أفريقيا ألف تقني من أقباط مصر مع أسرهم للعمل في بناء السفن ، وبذلك أنشأ حسان داراً لصناعة السفن في مكان يسمى ترشيش – تونس حالياً – سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م) ، فكانت أول دار متخصصة لصناعة السفن في الإسلام وقاعدة لمواجهة الروم في البحر الأبيض المتوسط[٣] ، وفي خلافة هشام بن عبد الملك تم إنشاء دار لصناعة السفن في صور[٤] .

وبذلك كانت البحرية الإسلامية في العصر الأموي منقسمة إلى ثلاثة أساطيل مستقلة عن بعضها ، ويعمل كل منها في منطقة معينة ، وهي أسطول مصر ، وأسطول سوريا ، وأسطول شمال أفريقية ، وكان يطلق على قائد الأسطول لقب أمير البحر[٥] ، وأحرزت هذه الأساطيل البحرية سلسلة من الانتصارات في جزر البحر الأبيض المتوسط ، وكان لها دور في فتح بلاد الأندلس[٦] .

(١) الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٧١ .
(٢) الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف المصري (ت٣٥٠هـ) ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تهذيب : رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (بيروت – ١٩٠٨م) ، ص٣٨ ؛ طهبوب ، العصر الأموي ، ص١٨٧ .
(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٦٠ ؛ الهاشمي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٩٣ ؛ طهبوب ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص١٨٨ .
(٤) طهبوب ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص١٨٨ .
(٥) الهاشمي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٩٣ ؛ الكروي ، المرجع في الحضارة ، ص١١٦.
(٦) الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص٧٢ .

ثالثاً. الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي :

أ. الجبهة الشمالية :

كانت الجبهة الشمالية المتمثلة بالروم البيزنطين من أخطر الميادين العسكرية للدولة الإسلامية ، فبعد أن اتخذت الدولة الأموية دمشق عاصمة لها أصبحت بذلك قريبة من حدود الدولة البيزنطية التي فقدت معظم أقاليمها في الشام ومصر ولا تزال عاصمتها القسطنطينية باقية وإمكانياتها كبيرة ، وكان الحكام الروم جادين في محاربة المسلمين ، فكان ذلك لزاماً على الدولة الأموية أن توجه كل طاقاتها لمواجهة الخطر البيزنطي[١] .

والواقع أن معاوية بن أبي سفيان قد أولى هذه الجبهة أهمية الدفاع عنها منذ أن كان والياً على بلاد الشام[٢] ، وعندما انتقلت السلطة إليه استأنف العمليات العسكرية من جديد ضد الروم البيزنطين في مناطق الثغور[٣] ، أي مناطق الحدود التي تتكون من سلاسل جبلية عالية تتخللها وديان أو ممرات ، فكان لابد من السيطرة على هذه الممرات التي يتسرب منها الخطر البيزنطي ، وكانت هذه الثغور تقسم إلى قسمين احدهما من ناحية بلاد الشام تسمى بالثغور الشامية ، والأخرى من ناحية الجزيرة الفراتية تسمى بالثغور الجزرية[٤] .

وقد عرفت الغزوات التي كانت تخرج من منطقة الثغور لمهاجمة أراضي البيزنطيين باسم الصوافي والشواتي ، وهي حملات عسكرية كانت الدولة تقوم

(١) شلبي ، الدولة الأموية ، ص١١٣ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٤٦-١٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٩٤ ؛ قدامة بن جعفر ، أبو الفرج الكاتب البغدادي (ت٣٢٨هـ) ، الخراج وصناعة الكتابة ، مطبعة بريل ، (ليدن – ١٨٨٣م) ، ص٢٩١ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٨٧ .

على تنظيمها في كل عام غزوتين أحدهما في فصل الصيف وتسمى الصائفة ، والثانية في الشتاء وتسمى الشاتية[١] ، وكانت هذه الغزوات التي يتألف عدد أفرادها ما بين خمسمائة أو ألف مقاتل تتوغل في بلاد الروم وتوجه ضربات خاطفة وسريعة ثم تعود إلى قواعدها بعد الانتهاء من مهمتها ، وكان الهدف منها هو أنهاك قوم الروم أو لزحزحته إلى الوراء والاستيلاء على حصونه[٢] ، وبذلك فقد أصبحت الثغور الإسلامية مكان تنطلق منه الحملات العسكرية على الروم وأماكن مرابطة لمجاهدة العدة حتى أصبح سكان هذه الثغور يسمون بالمرابطة أو الربط[٣] .

وبعد تمهيد طويل بواسطة حملات برية وصل بعضها إلى القسطنطينية ومحاولات أخرى بحرية للوقوف على تحركات الروم وجلب المعلومات الدقيقة عنهم ، أحس المسلمون أنهم وصلوا إلى درجة عالية من الثقة والخبرة بالطريق إلى القسطنطينية براً وبحراً ، وإنهم يستطيعون غزوها والاستيلاء عليها والقضاء على دولة الروم[٤] ، كل ذلك كان باعثاً لمعاوية بن أبي سفيان أن يرسل قواته في البر والبحر ، فأعد لذلك مئات من المراكب الثقيلة عليها الأسلحة اللازمة لحصار مدينة القسطنطينية القوية الأسوار محكمة الحصون ، فكانت الحملة الأولى للتوجه إلى القسطنطينية سنة (٤٩هـ/ ٦٦٩م) بقيادة سفيان بن عوف ، ثم

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٩٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٦٧-١٨٩ ؛ قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص١٩٣ .

(٣) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٨١م) ، ص٢٢٩ ؛ كنعان ، الخلافة الأموية ، ص٨٤ .

(٤) أبو زيد ، علا عبد العزيز ، الدولة الأموية دولة الفتوحات ٤١-١٣٢هـ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، (القاهرة – ١٩٩٦م) ، ص٣٢ ؛ أبو عبية ، طه عبد المقصود عبد الحميد ، موجز عن الفتوحات الاسلامية ، دار النشر للجامعات ، (القاهرة – بلات) ، ص٣٢ .

بعث حملة أخرى مدداً للحملة الأولى تولى قيادتها يزيد بن معاوية ومعه نفر من أبناء الصحابة مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري وعبد العزيز بن زرارة الكلابي[١] .

وقد سارت مراكب المسلمين إلى بحر مرمرة وحققت انتصارات في طريقها وعبر الجميع مضيق البسفور حتى وصلوا إلى القسطنطينية ، وتم محاصرتها من قبل جيوش المسلمين ، وحول أسوار القسطنطينية دارت معارك عنيفة بين المسلمين والروم ، وقد توفى أبو أيوب الأنصاري آنذاك ودفن عند أسوار القسطنطينية[٢] ، والواقع فإن هذه الحملة لم تستطع أن تقتحم المدينة والاستيلاء عليها ، ويرجع ذلك لأسباب عديدة منها الشتاء القارس وصعوبة الإمدادات البشرية والتموينية لبعد المسافة وضعف وسائل النقل في ذلك الوقت مما أدى إلى نقص الطعام والأغذية وتفشي الأمراض بين الجند ، كما أن أسوار المدينة وحصونها كانت أقوى من عدة المهاجمين ، وكل ذلك حال دون اختراق أسوار القسطنطينية بعد حصار دام حوالي ستة أشهر فعاد الجيش الإسلامي إلى الشام سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م)[٣] .

كان الدرس الذي فهمه المسلمون من الحملة الأولى (الحصار الأول) هو ضرورة تدعيم القوات البرية التي تغزو المدينة بقوات بحرية ضخمة تستطيع

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٧٤ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٢٩ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج١٩ ، ص٦٨ ؛ الشمري ، العلاقات العربية البيزنطية ، ص٤٧-٤٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٣٠ ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، تحقيق : علي البجاوي ، (القاهرة – ١٩٧٠م) ، ج١٧ ، ص٢١٠ ؛ زعرور ، تاريخ العصر الأموي ، ص٢٦.

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٣٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٥٨ ؛ أبو عبية ، موجز عن الفتوحات الإسلامية ، ص٣٣ .

محاصرة القسطنطينية التي تحيط بها المياه من ثلاث جهات[١] ، وعلى ذلك عكف معاوية على تجهيز الأسطول الإسلامي مدة أربع سنوات استطاع خلالها تدريبه عملياً باسترداد جزيرة رودس سنة (٥٣هـ/ ٦٧٣م) ، وجزيرة كريت ، وجزيرة أرواد سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م) ، وكان جنادة بن أمية الازدي قائد الأسطول في فتح هذه الجزر[٢] ، وكان لجزيرة أرواد والتي تسميها المصادر الأوروبية كزيكوس أهمية خاصة لقربها من القسطنطينية ، إذ اتخذها الأسطول الإسلامي قاعدة لعملياته العسكرية في الحصار الثاني الذي امتد من سنة (٥٤-٦٠هـ/ ٦٧٣-٦٧٩م)[٣] .

وهكذا بدأت الحملة الثانية لغزو واقتحام القسطنطينية في صيف سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م) ، وقد أحكم المسلمون حصار القسطنطينية براً وبحراً بقيادة جنادة بن أمية ، واشتبكوا مع الروم البيزنطيين في معارك ضارية ، ثم رجعوا عنها مع قدوم الشتاء إلى جزيرة أرواد ، ثم عادوا إلى حصار المدينة في الصيف التالي واستمر الأمر على هذا الحال يحاصرون صيفاً ويرجعون في الشتاء مدة سبع سنوات من دون أن تتمكن أساطيلهم وجيوشهم من الاستيلاء على القسطنطينية[٤] ، وعلى ذلك اضطر الجيش الإسلامي إلى رفع الحصار والعودة إلى بلاد الشام لاسيما وإن الدولة البيزنطية كانت تطمح إلى إنهاء حالة الحرب مع الدولة العربية الإسلامية ، إذ أرسلت رجلاً إلى دمشق يدعى يوحنا من

(١) أبو زيد ، الدولة الأموية ، ص٢٤ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملك ، ج٥ ، ص٢٩٣ ؛ كنعان ، الخلافة الأموية ، ص٨٧ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٩٣ .

(٤) العدوي ، إبراهيم احمد ، الأمويون والبيزنطيون ، (القاهرة – ١٩٦٣م) ، ص١٥٧ ؛ أبو زيد ، الدولة الأموية ، ص٢٤ .

أشهر رجال سياستها ، ونجح في عقد صلح بين الطرفين أمده ثلاثين سنة[١] ، ويبدو أن الجيوش في هذا الحصار قد فقدت العديد من القادة والمقاتلين فضلاً عن الإنهاك الذي تعرض له الجيش طوال سنوات الحصار[٢] ، وترى الروايات الأجنبية أن سبب انسحاب الأسطول الإسلامي إن الروم لجأوا إلى اختراع جديد أطلق عليه العرب النار الإغريقية فتكت بسفن المسلمين واضطروا إلى الانسحاب ، غير أن المؤرخين العرب لم يذكروا شيئاً عن احتراق سوى بعض قطع الأسطول الإسلامي[٣] .

وتبعاً لذلك توقفت الحملات العسكرية ضد الروم البيزنطيين بسبب الأوضاع الداخلية التي كانت تمر بها الدولة في أعقاب وفاة معاوية بن أبي سفيان حتى عهد عبد الملك بن مروان الذي استغل الروم انشغاله بالمشاكل الداخلية فنقضوا صلحهم مع المسلمين وهاجموا ثغور المسلمين واستولوا على بعضها ، فضلاً عن ذلك فإنهم حرضوا الجراجمة وهم أقوام جبلية يسكنون مدينة الجرجومة على حدود بلاد الشام في جبل اللكام بالقرب من أنطاكيا كان ولائهم يختلف بين الحين والآخر ، فكانوا يوالون العرب في بعض الأوقات ، ويوالون الروم في أوقات أخرى ، وذلك بحسب ما تقتضيه مصالحهم العامة[٤]واستغل هؤلاء الجراجمة انشغال عبد الملك بن مروان في مواجهة حركات المعارضة فخرجوا في أثني عشر ألفاً واجتاحوا جبل لبنان الشرقي وقطعوا الطرق ، فاضطر عبد الملك إلى مصالحتهم على ألف دينار في كل جمعة ،

(١) كنعان ، الخلافة الأموية ، ص١٢٨ .

(٢) أبو عبية ، موجز عن الفتوحات الاسلامية ، ص٣٤ .

(٣) شلبي ، الدولة الأموية ، ص١١٥ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٢٦-١٢٧ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٢٣ .

كما صالح إمبراطور الروم على مال يؤديه ريثما يتم له القضاء على منافسيه في الداخل[١] ، فلما قضى عبد الملك على الفتن الداخلية عاد إلى الميدان الخارجي واسترد ما استولى عليه الروم من ثغور المسلمين[٢] .

ثم جاء عهد الوليد بن عبد الملك فأرسل الحملات العسكرية لتأمين الطريق المؤدي إلى القسطنطينية ، كذلك اتخذ من الثغور ميداناً لتدريب قواته واختبارها في مواجهة الروم ، فضلاً عن الحملات الاستطلاعية التي كان يرسلها لرصد تحركات الروم وجمع المعلومات عنهم[٣] ، وهكذا تجدد الأمل مرة أخرى في فتح القسطنطينية وبدأ الوليد يفكر جاداً بإعداد حملة برية وبحرية لفتح القسطنطينية بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك ، إلا أن وفاته حالت دون تنفيذ هذه الحملة[٤] .

لقد كانت آخر محاولات المسلمين في الاستيلاء على القسطنطينية في خلافة سليمان بن عبد الملك ، إذ تعاونت معه أقاليم الدولة مثل مصر والشام وأفريقية في مد الأسطول العربي بما يحتاجه من مراكب حربية ، واتخذ سليمان بن عبد الملك من مرج دابق بالقرب من حلب قاعدة عسكرية ومركز لإدارة العمليات الخاصة بالحملة معاهداً الله تعالى إلا ينصرف حتى يدخل الجيش الإسلامي القسطنطينية[٥] .

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٦٣-١٦٥ ؛ الجميلي ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٩٥ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٦٤ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٢٤٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٢٤٢ .
(٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٦ ، ص٢٦٩ ؛ الشمري ، العلاقات العربية البيزنطية ، ص٥٢-٥٣ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص١٥٩ .

وهكذا خرجت الحملة العسكرية بقيادة مسلمة بن عبد الملك في أسطول كبير بلغ تعداده ثمانية عشر ألف سفينة ، وقيل : ألف وثمانمائة سفينة ، ومعه مائة وعشرون ألف مقاتل نحو القسطنطينية في أوائل سنة (٩٨هـ/ ٧١٦م) سالكاً طريق مرعش[١] من ناحية الشام ، وقد حققت الحملة في طريقها كثيراً من الانتصارات حتى وصلت عمورية[٢] وتمت محاصرتها ، وكان حاكمها آنذاك ليون المرعشي الذي كان طامعاً في عرش بيزنطة ، ففاوض المسلمين أن يرفعوا الحصار عن المدينة وطلب منهم مساعدته في دخول القسطنطينية ، فإذا نجح في عزل الإمبراطور ونصب نفسه إمبراطوراً مهد للمسلمين دخول المدينة ووعدهم أنه سوف يحكم باسم الخليفة إذا وصل العرش[٣] .

ثم واصلت الحملة تقدمها وسمحوا لليون المرعشي أن يسبقهم إلى القسطنطينية ليمهد سبل الاستيلاء عليها[٤] ، وتابع الجيش الإسلامي الذي يقوده مسلمة بن عبد الملك زحفه حتى عسكر أمام أسوار القسطنطينية ، وتمكن الأسطول من احتلال مدخل البسفور الجنوبي والشمالي وقطع الإمدادات عن المدينة ، ثم حاصر المسلمون المدينة سنة كاملة[٥] ، من غير أن تحقق القوات الإسلامية هدفها من اقتحام المدينة والسيطرة عليها ، ويرجع ذلك إلى العديد من الأسباب منها أن ليون المرعشي الذي وصل بمساعدة المسلمين إلى العرش باسم ليون الثالث نقض عهده وانقلب على المسلمين يحاربهم ، كما أن النار

(١) مرعش : من ثغور أرمينيا ، بينها وبين أنطاكيا ثمان وسبعون ميلاً ، فهي مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٠٧ .

(٢) عمورية : مدينة كبيرة في بلاد الروم ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٨.

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٣٠-٥٣١ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١١٨ .

(٤) علي ، إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام ، ط٣ ، (دمشق – ١٩٩٤م) ، ص٤٠١ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٩١ .

الإغريقية وعدم استطاعة القوات الإسلامية من مواجهتها قد أثرت على قوة المهاجمين إذ أحرقت الكثير من سفن المسلمين[١] ، كذلك مناعة أسوار المدينة وتحصيناتها الدفاعية وعزم أهل المدينة في الدفاع عنها[٢] ، فضلاً عن قسوة الظروف الطبيعية المتمثلة بالمناخ القارس في ذلك العام[٣] ، ثم أن الروم البيزنطيين استطاعوا أن يقطعوا الطريق بين البلاد الإسلامية وبين الحملة الموغلة في بلاد الروم ، فانقطع المدد عن هذه الحملة وبدأ موقفها ضعيفاً ، وكان ذلك في مطلع خلافة عمر بن عبد العزيز الذي أصدر أمره بفك الحصار وعودة الجيوش الإسلامية[٤] .

وهكذا نجت القسطنطينية من الحصار الثالث وظلت عاصمة البيزنطيين ، ولاشك أن الحملات العسكرية الإسلامية على القسطنطينية وإن لم تنجح في فتحها فقد نجحت في إثبات قوة المسلمين أيام الأمويين وقدرتهم على الوصول إلى عاصمة الروم نفسها ، مما جعل الروم البيزنطيين يدركون مدى قوة المسلمين من اختراق دفاعاتهم وإن عاصمتهم معرضة للخطر والحصار إذا لم يكفوا عن اعتداءاتهم[٥] ، وعلى ذلك استمرت القسطنطينية عاصمة للروم البيزنطيين حتى فتحت في عهد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)[٦].

(١) زعرور ، تاريخ العصر الأموي ، ص٢٦ .

(٢) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، (باريس – ١٨٤٠م) ، ص٢١٣ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣١٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٧ ؛ العمري ، عبد العزيز بن إبراهيم ، الفتوح الإسلامية عبر العصور ،ط٣ ، دار اشبيليا ، (الرياض – ١٤٢١هـ) ، ص١٦٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٠٩ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١١٩ .

(٥) الشمري ، العلاقات العربية البيزنطية ، ص٦٠ ؛ العمري ، الفتوح الإسلامية ، ص١٦٦ .

(٦) ابن العماد الحنبلي ،شذرات الذهب ، ج٧ ، ص٣٤٤ ؛ الهاشمي ،الخلافة الأموية ، ص٢٦٧.

ب. الجبهة الشرقية :

يقصد بالجبهة الشرقية كل الأماكن الواقعة شرق الدولة العربية الإسلامية[١] ، وهي على أقاليم عدة ذات جانبين يفصل بينهما نهر جيحون وسيجون[٢] ، وكافة بلاد المشرق الإسلامي خلال العصر الأموي كانت تتبع لولايتي الكوفة والبصرة وهما بدورهما يتبعان إلى مركز الخلافة التي مقرها دمشق مع بقية الأمصار الإسلامية[٣] .

١. فتوح خراسان وبلاد ما وراء النهر :

بدأت فتوحات المسلمين في خراسان وبلاد ما وراء النهر منذ عهد الخلفاء الراشدين ، إذ كانت معارك القادسية وجلولاء ونهاوند قد حددت مصير الإمبراطورية الفارسية ، مما سهل للجيوش الإسلامية التوغل نحو مدن المشرق الإسلامي ، إذ توجه القائد الأحنف بن قيس التميمي بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى خراسان سنة (٢٢هـ/ ٦٤٢م) فدخلها وعقد مع أهلها الصلح[٤] .

ويبدو أن مراحل الفتوح الإسلامية لخراسان وبلاد ما وراء النهر قد مرت بمراحل ، إذ أن أغلب مدنها فتحت لأكثر من مرة وذلك بسبب عصيان وتمرد بعض المدن ونقضها العهود مع المسلمين[٥] ، لذلك نجد أن المصادر التاريخية

(١) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص٩٥ .
(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ج١ ، ص٢٦٠-٢٦١ .
(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٠٩ .
(٤) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج١ ، ص١٨١-١٨٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٧ ، ص٣٦٣ .
(٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٢٣ .

تتحدث عن فتح بعض المدن لأكثر من مرة ، ففي سنة (٣١هـ/ ٦٥١م) أرسل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ عبد الله بن عامر والي البصرة ، وفي الوقت نفسه كتب إلى سعيد بن العاص عامله على الكوفة يأمرهما بالتوجه نحو المشرق ، فسارت الحملتان في اتجاهين أولهما إلى شمال فارس وإقليم خراسان ، والثاني إلى قزوين وجرجان وأذربيجان[١] .

وخلال العصر الأموي واصل العرب فتوحاتهم في تلك البلاد ، وكان ذلك من خلال تولي حكم خراسان لعدد من الولاة الذين كان لهم دور بارز في عمليات الفتح ، فعندما أسند معاوية بن أبي سفيان لعبد الله بن عامر ولاية البصرة سنة (٤١هـ/ ٦٦١م) ، اسند إليه خراسان فقام ابن عامر بإرسال حملات عسكرية تمكنت من فتح العديد من المناطق في خراسان وسجستان[٢] ، وفي سنة (٤٥هـ/ ٦٦٥م) تم تعيين زياد بن أبي سفيان والياً على البصرة وضم إليه خراسان وسجستان فأرسل زياد الحكم بن عمر الغفاري أميراً على خراسان ، واستطاع هذا القائد من فتح طخارستان ، وأعاد سيادة الدولة على الجوزجان ثم عاد إلى مرو[٣] ، ويبدو أن زياد قد أدرك أن الحملات المتفرقة لا يمكن أن تحقق طموحات الدولة لفتح كامل للمدن ، لذلك قام بتعيين الربيع بن زياد أميراً على خراسان سنة (٥١هـ/ ٦٧١م) وأرسل معه خمسين ألف مقاتل مع أسرهم من الكوفة والبصرة من أجل استقرار العرب في البلاد المفتوحة ، وقد

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص٩٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٧ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٨٨-٣٩٨ .
(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٦٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٦٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٩ .

اتخذ الربيع من مرو قاعدة عسكرية للعرب في خراسان ليكونوا مادة الفتح[١] ، واستطاع الربيع بن زياد من فتح بلخ صلحاً ودخل قوهستان عنوة[٢] .

وفي سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م) تم تعيين عبيد الله بن زياد أميراً على خراسان ، فعبر إلى ما وراء النهر وتمكن من فتح مدينة بيكند سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م) ، ثم تقدم نحو بخارى وقاتل أهلها فطلبت ملكتهم خاتون عقد صلح مقابل دفع مبلغ كبير من المال تؤديه للمسلمين[٣] ، ثم تولى خراسان سعيد بن عثمان بن عفان سنة (٥٦هـ/ ٦٧٥م) ففتح سمرقند وأعاد فتح ترمذ وبخارى بعد نقضهما الصلح وفرض الجزية على أهلها[٤] ، وفي سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م) عين يزيد بن معاوية على خراسان سلم بن زياد ، وما أن وصل سلم حتى غزا خوارزم فصالحه أهلها ، ثم عبر إلى بلاد ما وراء النهر وأتى سمرقند فصالحه أهالها[٥] ، وبعد أن نقضت خاتون ملكة بخارى الهدنة مع المسلمين توجه سلم بن زياد إليها فحاصر بخارى فطلبت خاتون إعادة الصلح من جديد وبذلك استعاد فتح بخارى[٦] .

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٠٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٣٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٤٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٩ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٠١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٦٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٩٩ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٩٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٩٨ .

(٥) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٦ ، ص١٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٧٤.

(٦) النرشخي ، أبو بكر محمد بن جعفر (ت٢٨٦هـ) ، تاريخ بخارى ، عربه عن الفارسية وقدمه وحققه وعلق عليه : أمين عبد المجيد بدري ونصر الله مبشر الطرازي ، ط٣ ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٦٥م) ، ص٦٥-٦٦ .

وبعد وفاة يزيد بن معاوية سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) عمت الدولة الاضطرابات والحروب الداخلية بين مؤيدي عبد الله بن الزبير وأنصار بني أمية فاغتنم أمراء ما وراء النهر هذه الفرصة بالإغارة على المناطق التي تتواجد فيها القوات العربية حتى بلغوا نيسابور[١] ، وامتنع آخرون عن دفع المبالغ المالية التي اصطلحوا عليها للعرب ، فضلاً عن ذلك فقد تمكن عبد الله بن خازم من السيطرة على خراسان وأصبح واليها من قبل عبد الله بن الزبير[٢] ، وهكذا فإن التفرقة والخلاف بين العرب أنفسهم في خراسان وفي بقية أنحاء الدولة أدت إلى ضياع الجهود التي بذلت من قبل الولاة في استكمال حركات التحرير والفتوح[٣] ، وكان آخر من ولي خراسان في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي هو المهلب بن أبي صفرة ، وعلى سجستان عبيد الله بن أبي بكرة ، فورد المهلب خراسان والياً عليها سنة (٧٩هـ/ ٦٩٨م) ففتح مدينة كش وخجندة واستعاد منطقة الختل[٤] .

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك قام الحجاج بن يوسف الثقفي بتعيين قتيبة بن مسلم الباهلي والياً على خراسان سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م)[٥] ، فكان عهد قتيبة في خراسان بداية للفتوحات المنظمة والجدية في بلاد ما وراء النهر ، فقد

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٠٣-٤٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ٤٠٤-٤٠٥ .

(٣) احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص١٦٥ .

(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٦٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٩؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ،ص١٧٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص٣٥٠.

(٥) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٠٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٦١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٢٧ .

اتخذ قتيبة من مدينة مرو في خراسان قاعدة له ومنها انطلق في حملاته العسكرية ، وبدأ بفتح بلخ ومنها تقدم حتى عبر نهر جيحون وتمكن من الاستيلاء على بيكند سنة (٨٧هـ/ ٧٠٦م)[١] ، ثم فتح مدينة بخارى سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨م) بعد أن فر ملكها[٢] ، ورأى قتيبة أن أهل بخارى يسلمون ظاهراً ثم يعودون إلى الكفر بعد عودة العرب إلى خراسان في فصل الشتاء ، وكان قتيبة قد حملهم على الإسلام ثلاث مرات ووجد سلوكهم واحد لا يتغير[٣] ، وفي المرة الرابعة أتبع معهم سياسة تنطوي على إسكان القبائل العربية واستقرارها استقراراً حقيقياً في مراكز ثابتة ، وذلك عن طريق تقسيم مدينة بخارى بين العرب الوافدين وأهلها ، فأمر أهلها أن يعطوا نصف بيوتهم وأراضيهم للعرب ليختلطوا بهم ويراقبونهم في سلوكهم وعبادتهم[٤] ، وجنى قتيبة ثمار سياسته هذه فقد قال فيه ابن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) : " وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله ، فاسلموا وأدانوا لله عز وجل "[٥] ، فضلاً عن ذلك فإن طغشاده ابن خاتون الذي أجلسه قتيبة لحكم بخارى فقد أسلم على يده فملك بخارى اثنين وثلاثين عاماً ، وأنجب طغشاده وهو في الإسلام ولداً أسماه قتيبة محبة في قتيبة بن مسلم[٦] .

(١) ابن خياط ،تاريخ خليفة بن خياط ،ص٣٠٠ ؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج٤ ، ص٥٢٧.

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٠٢-٣٠٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٦٨ .

(٣) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص٧٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٢٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٣٥ .

(٤) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص٨٤ .

(٥) البداية والنهاية ، ج٩ ، ص١٩٠ .

(٦) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص٢٤ .

وفي إجراء مماثل أتبع قتيبة سياسة توطينيه تتعلق بها اعتبارات دينية ، فبعد أن أكمل فتح سمرقند سنة (٩٣هـ/ ٧١١م) وكانت قد خلعت الطاعة صالح أهلها على دفع مبلغ كبير من المال وأن يُبنى فيها مسجد تقام فيه الصلاة ثم نقل إليها أربعة آلاف من الأسر المسلمة وأسكنهم فيها ، مما أسهم ذلك في نشر الإسلام واعتناق جماعة كبيرة من أهلها الإسلام[١] .

وقد امتدت فتوحات قتيبة إلى كل البلاد التي تقع على النهرين وما بينهما ولم يكتف بالفتح بل دعا السكان إلى دخول الإسلام وترك عبادة الأصنام ، ففي سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م) غزا قتيبة فرغانة والشاش وفتحهما[٢] ، وفي سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م) غزا كاشغر أدنى مدائن الصين ففتحها[٣] ، وبذلك طرقت جيوش قتيبة حدود الصين ، فلما صار على مقربة من الصين أرسل وفداً برئاسة هبيرة بن المشمرج الكلابي إلى ملك الصين يوانغ جونغ يدعوه إلى الإسلام أو الجزية أو السيف ، فقال ملك الصين لوفد قتيبة : انصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له : ينصرف فإني عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه ، فأجابه هبيرة : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ، وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ، وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا أجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نكرهها ولا نخافها ، وهنا أدرك ملك الصين القوة الكبيرة التي تقف وراء هؤلاء المسلمين ، فعاد يسأل : وما الذي يرضي صاحبكم. ،

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٠٢-٣٠٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٥١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٧٣ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٠٦ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٤٠٧.

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٦٨ .

فأجابه هبيرة : إنه حلف إلا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويعطى الجزية ، فقال ملك الصين : فأنا نخرجه من يمينه؟ ، نبعث إليه من تراب أرضنا فيطأه ، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بجزية يرضاها ، فبعث ملك الصين إلى قتيبة الجزية ، وبعث بأواني من ذهب فيها من تراب الصين وأربعة غلمان من أبناء الملوك ، فقبل قتيبة الجزية ووطئ التراب وختم الغلمان ثم عاد إلى خراسان[١] .

وفي سنة (٩٧هـ/ ٧١٥م) تولى خراسان يزيد بن المهلب بعهد من سليمان بن عبد الملك ففتح جرجان سنة (٩٨هـ/ ٧١٦م) ، ثم توجه إلى طبرستان وكانت تعرف باسم مازندران وتقع إلى الجنوب من بحر قزوين ففتحها سنة (٩٨هـ/ ٧١٦م)[٢] .

وفي خلافة هشام بن عبد الملك أسندت ولاية خراسان إلى أسد بن عبد الله القسري سنة (١٠٨هـ/ ٧٢٦م) ، فقام بتدعيم الإدارة العسكرية واتخذ من بلخ عاصمة لخراسان ، وتقدم نحو الختل وتمكن من فتحها سنة (١١٩هـ/ ٧٣٧م)[٣] ، وفي سنة (١٢٠هـ/ ٧٣٨م) توفي أسد بن عبد الله القسري فقام هشام بن عبد الملك بتعيين نصر بن سيار على خراسان ، فبدأ بنقل مقر

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٣٩١-٣٩٢ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص٤٢٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٦-٧ .

(٢) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٣ ، ص١٣٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٢٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٤٢٤ .

الحكم والدواوين إلى مدينة مرو ، واستمر في حكم خراسان إلى سنة (١٣١هـ/ ٧٤٨م) ، وقد غزا ما وراء النهر وغنم مغانم كثيرة[١] .

٢. فتوح السند :

بلاد السند : هي البلاد الواقعة غرب نهر السند الذي كان يسمى بنهر مهران وينبع من أعالي السند وجبالها من أرض كشمير (مدينة متوسطة لبلاد الهند) ، ويصب في بحر السند (المحيط الهندي) ، ويطلقون على البلاد الواقعة شرق النهر اسم الهند ، ولما كان نهر السند هو مصدر الخصوبة والنماء لهذا البلاد أطلق عليه مواطنو هذه البلاد اسم النهر على بلادهم[٢] ، وبلاد السند تكون الآن جزءاً كبيراً من دولة باكستان الحالية ، وكانت بلاد السند جزءاً من بلاد الهند قبل الفتح الإسلامي[٣] ، وكان العرب يطلقون على السند ثغر الهند لأنه كان في ذلك الوقت المعبر إلى بلاد الهند[٤] .

بدأت حملات المسلمين على بلاد السند مبكرة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على يد عامله عثمان بن أبي العاص الثقفي على البحرين ، إذ أبحر سنة (١٥هـ/ ٦٣٦م) إلى تانه[٥] وعاد الجيش منتصراً ، ثم بعث أخاه المغيرة الثقفي إلى خور الديبل الواقعة على مصب نهر السند فلقي المغيرة العدو وهزمه

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٥٩ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص١٨٩ ؛ ابن الجوزي ،المنتظم ، ج٤ ، ص٢١٩ ؛ الذهبي ،تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٧٤٥.

(٢) ندوي ، سيد أبو ظفر صاحب ، تاريخ سند ، ط٢ ، (الهند – ١٩٧٠م) ، ص١-٢ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١٣٧ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٦٦ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١٣٨ .

(٤) أبو عبية ، موجز عن الفتوحات الإسلامية ، ص١٧ .

(٥) تانه : بلدة من أعمال الهند على ساحل البحر الهندي ، وهي اليوم بومباي ، ينظر : أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٣٥٨-٣٥٩ .

وغنم[١] ، كما وجه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الحارث بن مرة العبدي سنة (٣٩هـ/ ٦٥٩م) إلى بلاد السند ومعه جيش من المتطوعين فوصل إلى القيقان[٢] من بلاد السند مما يلي خراسان ، وانتصرت الحملة وأصاب المسلمون غنائم كثيرة[٣] .

أما في العصر الأموي فقد أرسل معاوية بن أبي سفيان حملة إلى بلاد السند قادها المهلب بن أبي صفرة سنة (٤٤هـ/ ٦٦٤م) فتمكن من فتح مكران ، ثم واصل الولاة حملاتهم تجاه بلاد السند من جهة سجستان وغنموا مغانم كثيرة[٤] ، وفي سنة (٧٨هـ/ ٦٩٧م) أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي حملة إلى مكران تولى قيادتها سعيد بن اسلم الكلابي ، فخرج عليه معاوية ومحمد أبناء الحارث العلافي فقتلاه إذ كانا من الخارجين على سلطان الأمويين في هذه الجهات وهربا مع خمسمائة من أنصارهما إلى بلاد داهر ملك السند ولقيا عنده كل ترحيب[٥] ، وحدث بعد ذلك أن تعرض القراصنة لسفينة تجارية كانت قادمة من جزيرة الياقوت (سيلان) متجهة إلى البصرة وعليها بنات لتجار مسلمين مات أبائهن هناك فاستولى القراصنة على السفينة وأسروا النساء ، فلما بلغ الحجاج الخبر أرسل إلى داهر ملك السند يطلب منه تخليص النساء

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٥٣٠ .

(٢) القيقان : أرض بالسند مما يلي خراسان ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ح٤ ، ص٤٢٣ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٤٢١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٨١ .

(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢١٢ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٥٣٣ ؛ سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص٣٤٢ .

(٥) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢١٢ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٥٣٣ .

المسلمات من الأسر ، فرفض ذلك داهر بحجة أن لا سلطان له على هؤلاء القراصنة[١] .

فكان هذا وسواه باعثاً للحجاج أن يستأذن الخليفة الوليد بن عبد الملك أن يأذن له بمهاجمة السند ملجأ الخارجين على الدولة وليؤمن طرق التجارة وحدود الدولة من غارات المعتدين ، فلما استجاب الخليفة لطلب الحجاج جهز جيشاً قوامه ستة آلاف مقاتل من جند أهل الشام فضلاً عن الأعداد الكبيرة من المتطوعين من القبائل العربية الذين انظموا إلى هذا الجيش ، وبعد أن انتهى الحجاج من إعداد هذا الجيش اختار محمد بن القاسم الثقفي (صهر الحجاج وابن أخيه) لقيادة هذه الحملة[٢] ، زحف محمد بن القاسم نحو مكران سنة (٨٩هـ/ ٧٠٧م) ومنها انطلق إلى الديبل[٣] (أهم مرافئ السند) ، ففتحتها عنوة بعد قتال عنيف وهدم كل تماثيل أو معبد لبوذا كان فيها ، ثم حولها الى مدينة اسلامية وبنى بها المساجد وأسكنها أربعة آلاف مسلم[٤] ، ثم سار إلى مدينة البيرون[٥] (حيدر آباد السند حالياً) فصالحه أهلها ووفوا بالصلح معه ، وأصبح محمد بن القاسم لا يمر بمدينة إلا فتحها صلحاً أو عنوة[٦] ، فلما

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٥٣٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٣٤ ؛ سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص٣٤٢ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٥٣٤ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٨٩ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١٣٩ .

(٣) الديبل : مدينة على ساحل البحر الهندي من أهم مرافئ السند ، وهي اليوم كراتشي في باكستان ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٩٥ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٥٣٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٨٩ .

(٥) البيرون : مدينة من أعمال الديبل موقعها حالياً حيدر آباد السند ، ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٦١ .

(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٥٣٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٣٧ .

عبر نهر مهران بلغ ذلك داهر ملك السند فأخذ يستعد إذ جمع جيشاً قوياً مزوداً بالفيلة ، وزحف محمد بن القاسم نحوه فتقابل الطرفان فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين وقتل داهر ملك السند سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨م)[١] وبالقضاء على داهر تغلب محمد بن القاسم على بلاد السند وفتح مدينة راور عاصمة السند عنوة سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨م) ، وبذلك أصبح الطريق ممهداً له حتى وصل مدينة الملتان آخر بلاد السند وهي مجاورة لبلاد الهند ففتحها محمد بن القاسم عنوة[٢] .

أما عن علاقة المسلمين وصلتهم بأهل السند بعد فتحها فقد أكرم القائد محمد بن القاسم رؤوساء الهنادكة من رجال الدين وعاملهم معاملة حسنة وأطلق للناس حرية العبادة على أن يوالوا المسلمين ويدفعوا ما فرض عليهم الجزية عن طيب نفس[٣] .

ت. الجبهة الغربية :

المراد بالجبهة الغربية كل البلاد التي تقابل بلاد المشرق ، وبهذا المفهوم فهي تشمل كل الأراضي الواقعة والممتدة من غربي مصر ابتداءً من الإسكندرية

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ،ج٣ ، ص٥٣٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٦٦ ؛ ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٩ ؛ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج٤ ، ص٥٣٧.

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٨٩ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٦٦؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٣٧ .

(٣) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص٣٤٤-٣٤٥ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١٤٠ .

- باب المغرب – حتى طنجة على المحيط الأطلسي[١] ، وهذا المعنى هو مرادف لمصطلح شمال أفريقيا الذي يشمل كل المناطق التي تشمل أفريقيا الشمالية حتى غربي مصر ويتبعها في ذلك الأندلس[٢] .

وقد اصطلح على تقسيم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام كبيرة ، وهي المغرب الأدنى ويسمى أيضاً أفريقية ويشمل تونس الحالية ، والمغرب الأوسط ويشمل بلاد الجزائر ، والمغرب الأقصى الذي يعرف اليوم باسم المملكة المغربية أو المغرب[٣] ، وقبل الفتح الإسلامي لهذه البلاد كانت منطقة ساحل أفريقية الشمالي خاضعة لنفوذ الروم ، وكانت تحكمها حاميات رومانية ، وما عدا الساحل من صحاري ومزارع تمتد إلى المحيط غرباً وجنوباً إلى بلاد السودان كان البربر يقطنها ، وكان – أي البربر – لا تجمعهم أمة يعيشون في حياة قبلية ، وكانت الوثنية ديانتهم ، كما كانوا يؤمنون بالسحر والكهانة ، وقد دخلت إليهم اليهودية والمسيحية مع الغزاة أو عن طريق مصر ، ولكن هاتين الديانتين كانتا قليلتي الانتشار[٤] .

(١) العتبي ، محمد سعيد ، محمد بشير حسن العامري ، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، (بغداد – ٢٠٠٢م) ، ص٣٥ .

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٢١٦ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ج١ ، ص٦٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٢٨ .

(٣) العبادي ، احمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، (القاهرة – بلات) ، ص١٢-١٣ .

(٤) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٦ ، ص١٠٦ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١١٩.

١. تحرير المغرب العربي :

ابتدأت المحاولات الأولى لتحرير بلاد المغرب العربي في عهد الخلفاء الراشدين ، فبعد تحرير مصر[١] ، على يد عمرو بن العاص السهمي ، قام هذا القائد بغزو برقة وطرابلس سنة (٢٣هـ/ ٦٤٣م) لتأمين مصر الغربية من خطر الروم البيزنطيين الذين كانوا يحكمون المغرب الأدنى ، واستطاع أن يعقد الصلح مع السكان الأصليين ويضطرهم لدفع الجزية[٢] ، وفي سنة (٢٧هـ/ ٦٤٧م) أرسل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ حملة إلى بلاد المغرب بقيادة عبد الله بن أبي

(١) اختلف المؤرخون بطبيعة الفتح العربي لمصر على ثلاثة أقوال : القسم الأول من المؤرخين اتفقوا على أن مصر فتحت صلحاً ، وقسم ثان يرى أن مصر قد فتحت صلحاً ما عدا الإسكندرية وثلاث قرى ، والقسم الأخير يرى أن مصر فتحت عنوة ، وبقدر تعلق الأمر بطبيعة الفتح العربي لمصر واختلاف وجهات النظر حول ذلك ، فالواقع أن مصر لم تكن دولة ذات سيادة عند فتح العرب لها ، إنما كانت تحت سيطرة البيزنطيين ، وكانت مصر مقسمة إلى طائفتين الأقباط والأسباط ، فالأقباط أهل مصر الأصليون – أي الفراعنة ، والأسباط هو المهاجرون إلى مصر من بني إسرائيل ، والأقباط يمثلون أغلبية النصارى في مصر على مذهب اليعاقبة ، فالذين اعتبروا أن الفتح كان صلحاً كانوا يقصدون الصلح مع أهل مصر ، والذين اعتبروا أن مصر فتحت صلحاً ما عدا الإسكندرية وثلاث قرى فتجد من الطبيعي أن تكون الإسكندرية قد فتحت عنوة لأنها كانت مقر الحاكم البيزنطي ، وهذا الكلام ينطبق أيضاً على وضع القرى الثلاث لأنها كانت تضم أعداد كبيرة من الروم ، والذين اعتبروا أن مصر فتحت عنوة كانوا يقصدون استيلاء المسلمين على مصر عنوة من يد البيزنطيين ، وقد عوملت مصر معاملة البلاد المفتوحة صلحاً على شروط فلم تقسم أراضيها بين الفاتحين إنما تركت بيد أهلها يعملون بها بعد أن فرض عليهم الخراج ، ينظر : ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص١٤٧ ؛ ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٠٠-١٠١ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٢٥٣-٢٥٨ ؛ أبو البقاء ، صالح بن الحسين الهاشمي (ت٦٦٨هـ) ، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل تحقيق : محمود عبد الرحمن قدح ، مكتبة العبيكان ، (الرياض – ١٩٩٨م) ، ج١ ، ص٢٤ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص٧٧ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٢٢٥-٢٢٧.

سرح كان هدفها القضاء على قوة البيزنطيين في منطقة أفريقية – تونس الحالية – والتقى بجيوش البيزنطيين في مكان يسمى سبيطلة جنوب غرب القيروان ، وقد انتصر المسلمون في هذه الوقعة وقتل القائد البيزنطي جرجير على يد عبد الله بن الزبير ، وقد فاوض البيزنطيين عبد الله بن أبي سرح ودفعوا له مبلغ كبير من المال في مقابل مغادرة بلاد المغرب ، فوافق على ذلك ورجع الى مصر سنة (٢٨هـ/ ٦٤٨م)[١] .

أما في العصر الأموي فقد أرسل معاوية بن أبي سفيان حملة بقيادة معاوية بن حديج الكندي سنة (٤٥هـ/ ٦٦٥م) حيث اتخذ من برقة قاعدة لانطلاق الجيوش ، وتمكن من تحقيق انتصارات في مواقع عديدة على البيزنطيين واشترك في تلك الحملات عبد الله بن الزبير والأمير الأموي عبد الملك بن مروان ، غير أن القائد معاوية بن حديج لم يستمر في فتوحاته ، إذ عزله معاوية بن أبي سفيان وولى مكانه القائد عقبة بن نافع الفهري سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م)[٢] وبولاية عقبة تبدأ مرحلة جديدة من مراحل تحرير المغرب ، فقد تولى قيادة جيش المسلمين بمهارة فائقة فأنزل بأعدائه خسائر فادحة وانتصر على الروم في الساحل وعلى البربر في الداخل ، فخضعت لسلطانه طرابلس وفزان ، وسار جنوباً حتى وصل بلاد السودان ، ولم يكن المسلمون في هذه المرة يريدون تأمين حدود مصر ،

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص١٨٣ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٢٢٨-٢٢٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٦٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٩٠-٩١ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص١٩٣ ؛ البكري ، المغرب في ذكر أفريقية والمغرب ، (الجزائر – ١٨٥٧م) ، ص٣٢-٥٨ .

ولكنهم كانوا يعتزمون على التخلص من جيوش الروم وإدخال البلاد نهائياً في الدولة الإسلامية[١] .

ويبدو أن عقبة كان يدرك نتيجة لخبرته الطويلة في المنطقة ضرورة اتخاذ قاعدة حربية تكون معسكر ثابت لقواته ، فاختط القيروان سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م) واستغرقت عملية بناء المدينة خمس سنوات وانجزت سنة (٥٥هـ/ ٦٧٤م) ، وكان تأسيس مدينة القيروان وبنائها حدثاً مهماً في تاريخ شمال أفريقيا ، وذلك من الدور الذي اضطلعت به كنواة لولاية مستقلة لفك الارتباط بين ولاية مصر وهذا الإقليم الواسع ، وكقاعدة عسكرية للفتوحات الإسلامية لنشر الدين الإسلامي في ربوع تلك الولاية[٢] .

وبعد أن أتم عقبة بناء مدينة القيروان عزله معاوية بن أبي سفيان سنة (٥٥هـ/ ٦٧٤م) ، وعين بدلاً عنه أبو المهاجر دينار[٣] الذي امتدت ولايته على أفريقية سبع سنوات (٥٥-٦٢هـ/ ٦٧٤-٦٨١م) ، كان سياسياً بارعاً[٤] ، فقد نجح في كسب ثقة البربر وتأييدهم بسبب سياسة اللين التي اتبعها نحوهم ، فضمن بذلك قطع صلاتهم بالبيزنطيين ، ثم قاد حملة باتجاه المغرب الأوسط ، إذ هاجم البربر فهزمهم ثم نجح في كسب زعيم البربر كسيلة بن لمزم ، وكان نصرانياً فاعتنق الإسلام ، وترتب على إسلام كسيلة في إسلام قومه بفضل مكانته الكبيرة بينهم ، وبذلك انحازت قبائل البربر إلى جيش المسلمين وتحالفت

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص١٦٤ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١٠٢ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٢٦٩ .
(٣) أبو المهاجر دينار : هو أبو المهاجر دينار بن عبد الله النهوذي مولى الأنصار ، كان مجاب الدعوة ينظر : السمعاني ، الأنساب ، ج٥ ، ص٥٤٧ ؛ ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج٣ ، ص٣٣٩ .
(٤) العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٤٢ .

معهم[١] ، وبفضل هذا التحالف تمكن أبو المهاجر من تحرير تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ، ثم هاجم قرطاجة[٢] سنة (٥٩هـ/ ٦٧٨م) وأرغم البيزنطيين على إخلاء المنطقة الواقعة جنوب إقليم قرطاجة[٣] .

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م) خلفه ابنه يزيد فبادر بعزل أبي المهاجر دينار ، ورد عقبة إلى ولاية أفريقيا في سنة (٦٢هـ/ ٦٨١م)[٤] ، وقد تميزت هذه المرحلة بالتعاون بين عقبة والبربر ، إذ خرج في جيش واستطاع من تحرير عدد من المدن من البيزنطيين مثل بجاية وتلمسان وقرطاجة ، ثم توجه إلى المغرب الأقصى وتمكن من فتح مدنه الواحدة تلو الأخرى على الرغم من المقاومة الشديدة التي جوبه بها من قبل البربر والروم حتى بلغ بحر الظلمات – المحيط الأطلسي فقال : " يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك "[٥] ، ثم مضى بعد ذلك موغلاً في المغرب الأقصى ، وفي هذه الآونة انفصل كسيلة وأصحابه عن عقبة وخرجوا عن طاعته ، ويبدو أن البربر كرهوا عودة عقبة للقيادة ، فكان كسيلة يضغن على عقبة ، وقيل : إن عقبة كان يستصغر شأن كسيلة وأساء معاملته معه فانفصل عنه مغاضياً وهو يضمر له الشر ، وبعد أن بلغت جيوش المسلمين طنجة قرر

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٢٣٠ .

(٢) قرطاجة : مدينة على ساحل البحر الأبيض ، وهي بلدة تجاور اليوم تونس من الشمال ، وقيل: إن اسمها كلن قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها وحسنها ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٢٣ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٢٣٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٠٧ ؛ سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص٢٥١-٢٥٢ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٠٥ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٠٦ .

عقبة العودة إلى القيروان ، وقبل أن يصل المدينة سمح لمعظم قواته في التفرق ولم يبق معه سوى ثلاثمائة ، وقيل : خمسة آلاف من أصحابه ، وتوجه إلى مدينة تهودة[١] ، ويبدو أن عقبة قد سمح لأصحابه في التفرق والعودة إلى منازلهم بسبب حملته التي استغرقت أكثر من سنة ، فكان لابد أن يسمح لجنده في العودة[٢] ، وبعد أن علم البيزنطيين بوجود عقبة في المنطقة سارعوا بإخبار كسيلة وحرضوه على مهاجمته ، ولم يتردد كسيلة باغتنام هذه الفرصة وانضم إليه عدد كبير من البيزنطيين ودارت معركة غير متكافئة من ناحية العدد والعدة والاستعداد عند مدينة تهودة سنة (٦٣هـ/ ٦٨٢م) انتهت بمقتل قتيبة وأبو المهاجر دينار وأكثر أصحابهما وأسر من تبقى[٣] ، وارتد كسيلة عن الإسلام وتبعه أغلب البربر ، وباستشهاد عقبة عاد السلطان مرة أخرى للروم في الساحل وواصل كسيلة زحفه نحو القيروان وتمكن من الاستيلاء عليها[٤] .

غير أن أمر كسيلة لم يستمر طويلاً حتى عاد المسلمون إلى أفريقية حينما آلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان ، إذ خرج زهير بن قيس البلوي على رأس حملة كبيرة سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨م) قاصداً القيروان ، فدارت معركة كبيرة انتهت بمقتل كسيلة والقضاء على قواته ، وبذلك دخل زهير القيروان ، ثم تركها بعد أن نظم إدارتها وشرع بالرجوع إلى مصر ، وفي أثناء عودته قطع عليه البيزنطيون

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص٣٣٥ ؛ سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص٣٥٢ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١٢١ .

(٢) الجميلي ، الدولة العربية الإسلامية ، ص١٤٥ .

(٣) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٦ ، ص١٤٦-١٤٧ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١٢١ ؛ الجميلي ، الدولة العربية الإسلامية ، ص١٤٦ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص٣٣٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٠٧ .

خط الرجعة وأحاطت بقواته ودارت بينه وبينهم معركة تمكن الروم من قتله مع معظم أصحابه سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨م)[١] .

بعد استشهاد زهير اضطربت بلاد المغرب وافترق أمر البربر وتعدد سلطانهم في رؤسائهم وظهرت من بينهم امرأة بربرية تزعمتهم يقال لها : الكاهنة الزناتية[٢] ، تمكنت من الاستيلاء على معظم شمال أفريقية ، لكن بعد أن هدأت الأوضاع الداخلية في المشرق أرسل عبد الملك بن مروان حملة عسكرية كبيرة تجاوزت الأربعين ألف مقاتل جعل على قيادتها حسان بن النعمان الغساني[٣] ، فتوجه حسان نحو المغرب وتمكن من فتح قرطاجة قاعدة البيزنطين سنة (٧٤هـ/ ٦٩٣م)[٤] ، ثم بعد ذلك توجه نحو البربر لمواجهة الكاهنة الزناتية واشتبك الطرفان في معركة كبيرة على أحد الأنهار بالقرب من جبال أوراس واقتتلوا قتالاً شديداً ، وبعد بلاء عظيم خسر المسلمون المعركة فسميت تلك المعركة بنهر البلاء ، وأنسحب على أثرها جيش حسان إلى برقة[٥]، وعلى هذا الأساس استطاعت الكاهنة من الاستيلاء على البلاد إذ حكمت شمال أفريقيا أربع سنوات ، وفي هذه الأثناء كان حسان بن النعمان

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١١٠ .

(٢) الكاهنة : اسمها دهيا بانة ثابت بن تيفان ملكة البربر ، كان لها ثلاثة أولاد ، ومكثت في حكم قومها خمس وثلاثون سنة ، وعاشت مائة وسبع وعشرين سنة ، ماتت على يد حسان بن النعمان سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م) ، ينظر : ابن عذاري ، أبو عبد الله بن محمد المراكشي (ت٦٩٥هـ) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج . س . كولان وليفي بروفنسال ، ط٣ ، دار الثقافة ، (بيروت – ١٩٨٣م) ، ج١ ، ص٢٨ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٦٩ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج١ ، ص٣٤.

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٦٩ .

(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص٣٣٨ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج١ ، ص٣٣-٣٤ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٦٥ .

ينتظر وصول الإمدادات العسكرية من المشرق فوصلت إليه أعداد كبيرة من أهل الشام ، وبعد أن علمت الكاهنة بوصول هذه القوات أدركت عجزها عن مواجهة المسلمين فأخذت تتراجع موغلة في جبال أوراس وحسان يطاردها إلى أن قضى على جيشها وقتلها سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م) عند موضع يعرف ببئر الكاهنة في جبال أوراس[١] .

ثم واصل حسان تقدمة واستطاع أن يقضي على الروم ويطردهم نهائياً من شمال أفريقيا ، وهكذا أصبحت هذه البلاد حتى المحيط جزءاً من العالم الإسلامي ، ولم يعد شمال أفريقيا تابعاً لمصر بل أصبح ولاية مستقلة خاصة يعين عليها والٍ من قبل الخليفة[٢] ، وبعد أن استقرت الأمور في شمال أفريقيا عزل حسان بن النعمان عنها سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م) وعين بدلاً عنه موسى بن نصير بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك[٣] ، واستطاع موسى بن نصير من إخضاع القبائل التي كانت لا تزال خارجة عن طاعة الدولة أو التي ارتدت عن الطاعة[٤] ، كذلك استطاع من فتح مدينة طنجة سنة (٨٩هـ/ ٧٠٧م) ولم تكن قد فتحت من قبل ، كان يتولى حكمها حاكم رومي يدعى جوليان ، وخضعت له صلحاً مدينة سبته الواقعة على الساحل الأفريقي ، وبذلك استقر المسلمون في هذه البلاد وبدأوا يتطلعون إلى ما وراء المضيق[٥] .

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص٣٣٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٧١.
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣١ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١٢٢ .
(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٠٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٣٩.
(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج٢ ، ص٦٢ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣٢ ؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٤٠ .
(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص٣٤٥ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣٢ .

٢. فتح الأندلس :

يطلق اصطلاح الأندلس على اسبانيا واسمها في الأصل اندلوسيا نسبة الى الوندال الجرمانية[١] الذين استوطنوها بعد الرومان ، فلما فتحها العرب عربوا هذا الاسم وسموها الأندلس ثم أطلقوا الاسم على اسبانيا كلها[٢] .

كان فتح الأندلس استمراراً للفتوحات الإسلامية ونتيجة طبيعية من نتائج استكمال تحرير المغرب العربي ، وقد كان الباعث الأول لفتح الأندلس روحياً غايته نشر الإسلام ، فضلاً عن خوف العرب من أن يعيد القوط والفرنجة والروم عليهم الكرة من الأندلس أقرب البلاد إلى المغرب[٣] ، لاسيما وإن سكان اسبانيا كانوا يحكمون مناطق من المغرب استولى عليها المسلمون وكانوا لذلك في صراع مع المسلمين[٤] ، ومن جهة أخرى فإن الأوضاع السياسية في بلاد الأندلس كانت متدهورة إذ كان هناك صراع على العرش بعد وفاة ملكهم غيطشة بين آبنه أخيلا وقائد جيشه لذريق الذي تمكن – أي لذريق – من اعتلاء العرش ، الأمر الذي أدى إلى انقسام حاد في هذه البلاد بين مؤيد

(١) الجرمان : قبائل رحلوا من أعالي الهند الى أوروبا طلباً للمراعي والمعاش ، وأقاموا في بوادي أوروبا ثم سطوا على مملكة الرومان الغربية قبل سطوا العرب على المملكة الشرقية ببضعة قرون ، وأنشأوا المماليك في فرنسا وألمانيا ، وكانت في جملة تلك القبائل قبيلة القوط الغربيين سطوا على اسبانيا في القرن الخامس وفصلوها عن الرومان وانشأوا فيها دولة قوطية انتهت بالفتح الإسلامي سنة (٩٢هـ/ ٧١٠م) على يد طارق بن زياد ، ينظر : طرخان ، إبراهيم علي ، دولة القوط الغربيين ، (القاهرة–١٩٥٨م) ، ص٨٦ .

(٢) الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٢ .

(٣) فروخ ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٩٧٠م) ، ص١٥٣ .

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج٢ ، ص٦٨ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص١٢٤ .

للملك ومعارضين له[١] ، وقد عانى أهل الأندلس ظلماً شديداً من استبداد الأشراف ورجال الدين واستغلال الشعب اقتصادياً ودينياً ، فضلاً عن انتشار الرق في أسوأ أحواله وأبشع صوره ، من أجل ذلك كله كان أهل الأندلس يرغبون في التخلص من حكم القوط ، لاسيما وأنهم سمعوا بما قام به المسلمون من تنظيم في شمال أفريقية وحسن معاملة وعدل بين الناس ، ولذلك تطلعوا إلى الدخول تحت حكم الاسلام[٢] .

أما القصة المروية بين جوليان حاكم سبته ومحاولته الانتقام من الملك لذريق الذي فضحه في شرف ابنته فلورندا فهي خرافة ولا صحة لها ، لأن هذه الرواية لا نجدها في المصادر الاسبانية المعاصرة لها ، ولكن بمرور الزمن دخلت هذه القصة العربية في القصص الاسبانية والأغاني الشعبية الاسبانية ، ولذلك فإن هذه الرواية العربية الأصل يبدو فيها الخيال بشكل واضح ولعلها تكون من اختراع القصاص العرب شأنها في ذلك شأن القصص العربية الأخرى[٣] .

يمكن القول أن فكرة فتح الأندلس هي فكرة إسلامية ، فقد استشار موسى بن نصير الخليفة الوليد بن عبد الملك قبل اتصاله بحاكم سبته جوليان أو اتصال الأخير ، وقد ترددت الخلافة بادئ الأمر خوفاً على المسلمين ، ولكن موسى أقنع الخليفة بالأمر فوافق على عملية الفتح ، وهكذا فإن خطة فتح

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج٢ ، ص٦٣ .
(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٣ ؛ العمري ، الفتوح الإسلامية ، ص١٧٩ .
(٣) العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٥٤-٥٥ ؛ فروخ ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص١٥٤ .

الأندلس كانت نتيجة لخطة موضوعة أقرها الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي أشار على موسى بن نصير بأن يختبر البلاد بالسرايا ولا يغزو بالمسلمين[١] .

وتنفيذاً لأمر الخليفة أرسل موسى حملة استطلاعية صغيرة قوامها خمسمائة رجل بقيادة طريف بن مالك سنة (٩١هـ/ ٧٠٩م) ، وكان ذلك بمساعدة جوليان حاكم سبته ، وقد عبرت الحملة إلى الأندلس ثم عادت بغنائم كثيرة وبمعلومات مشجعة على الاستمرار في عملية الفتح[٢] ، وحين رأى موسى بن نصير ما حققته حملة طريف بن مالك كان ذلك حافزاً له لإعداد حملة كبرى لفتح الأندلس ، إذ أعد حملة عسكرية في سبعة آلاف مقاتل وأسند قيادتها إلى طارق بن زياد ، وبذلك انتقل المسلمون سنة (٩٢هـ/ ٧١٠م) ونزلوا بأرض الأندلس عند جبل كالي الذي يعرف إلى الآن بجبل طارق ، وكان في ذلك الوقت لذريق آخر ملوك القوط مشغولاً في شمال الأندلس بقتال الافرنجة ، فلما سمع بعبور المسلمين عاد مسرعاً إلى الجنوب في حشود كبيرة ، فكتب طارق إلى موسى يستمده فأمده بخمسة آلاف مقاتل فأصبح جيش طارق يضم أثنى عشر ألف مقاتل ، وعند وادي لكه سنة (٩٣هـ/ ٧١١م) التقى الطرفان في معركة كبيرة انتصر فيها المسلمون انتصاراً كبيراً[٣] .

وبعد معركة وادي لكه تجمعت فلول القوط عند استجة وبعد قتال عنيف انتصر المسلمون وانهزم القوط مرة أخرى ، وهكذا زحف طارق نحو العاصمة

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٦ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٦١ ؛ المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، (بيروت – ١٩٦٨م) ، ج١ ، ص٢٢٩-٢٣٠ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٧ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٢٣ .

طليطلة ونجح من دخول المدينة سنة (٩٣هـ/ ٧١١م) دون مقاومة تذكر[١] ، وفي هذه الأثناء كتب طارق إلى موسى بأخبار النصر ، فرأى موسى أن يشارك في ذلك الفتح بنفسه ويساعد طارق في حملته لاسيما وان بلاد الأندلس كانت واسعة ، وهكذا عبر موسى بن نصير إلى بلاد الأندلس سنة (٩٣هـ/ ٧١١م) سالكاً طريقاً غير الذي سلكه طارق غايته توسيع رقعة الفتوحات ، فاستولى على عدد من المدن ، وفي هذه الأثناء وصلت أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك التي تقضي بعودة موسى وطارق إلى دمشق ، فتولى شؤون الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي نزل في قرطبة واتخذها داراً للإمارة له في أواخر سنة (٩٥هـ/ ٧١٣م)[٢] ، ثم قام باستكمال الفتح في بعض المواقع شرق الأندلس[٣].

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٦٣-٥٦٤ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٧ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة من فتح الأندلس ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط٢ ، دار الكتاب ، (بيروت – ١٩٨٩م) ، ص٨ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٣٠ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٦٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٣٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٨١ .

الفصل الخامس

عوامل انهيار الدولة الأموية

إن عوامل انهيار الدولة الأموية وسقوطها كثيرة ومتعددة ، ربما بعضها يعود إلى بداية قيام الدولة ، والبعض الآخر كان حصيلة السنوات التي رافقت قيام الدولة ، وعلى ذلك ليس هناك مدة تاريخية محددة يمكن من خلالها تحديد الأسباب التي أدت إلى سقوط هذه الدولة ، ولعل من أهم العوامل الرئيسية لسقوط وانهيار الدولة الأموية الآتي :

أولاً. ولاية العهد :

كان نظام ولاية العهد الذي ظهر في خلافة الأمويين قد لعب دوراً في إشعال الصراع بين أفراد البيت الأموي على السلطة ، وبدلاً من أن يضمن هذا النظام الاستقرار داخل الأسرة الأموية كان سبباً في انشقاق البيت الأموي[1] .

وكما هو معروف فإن الخلافة مع مجيء بني أمية صارت ملكاً يرثه الابن من أبيه والأخ من أخيه ، فقد بايع معاوية بن أبي سفيان لابنه بالخلافة ، ودفع هذا الإجراء بالفقهاء والصحابة وأبناء الصحابة أن يتخذوا مواقفاً من معاوية ، لأن الخلافة خرجت عن المألوف في سياسة الخلفاء الراشدين[2] .

فلما انتقلت الخلافة إلى مروان بن الحكم أزاح خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد الاشدق ، ثم جاء بنظام جديد حيث عهد إلى اثنين من أولاده من

(١) الخضري ، الدولة الأموية ، ص٤٤٠ .

(٢) احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٣٦٠ .

بعده يلي أحدهما الآخر ، إذ جعل ولي عهده عبد الملك ومن بعده عبد العزيز[١] .

فلما صارت الخلافة إلى عبد الملك كاد أن يشق البيت الأموي ، إذ أراد تحويل ولاية العهد إلى ابنه الوليد وعزل أخيه ، وطلب من أخيه أن يتنازل فرفض ، غير أن هذا الأمر قد تم بعد وفاة شقيقه الأكبر عبد العزيز ، وبذلك عهد إلى ابنه الوليد من بعده ، ثم من بعده إلى سليمان ، فبعث ببيعته لهما إلى البلدان فبايع الناس[٢] .

فلما آلت الخلافة إلى الوليد عمل على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد ، وأراد جعلها لابنه عبد العزيز ، ولكن المنية حالت دون ذلك ، فقد مات الوليد قبل أن ينفذ أمره ، وبذلك ترك الوليد عماله تحت رحمة الخليفة سليمان الذي بدأ عهده بالانتقام من العمال والقادة الذين أيدوا شقيقه الخليفة السابق عليه[٣] ، وعهد سليمان لابنه أيوب بالخلافة من بعده ، ولكن ولده مات في حياة والده ، فعهد بالخلافة إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز ومن بعده لشقيقه يزيد بن عبد الملك[٤] .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص١٧٢ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص١٠٥.
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٥٠ .
(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٢٠٢ ؛ أبو النصر ، عمر ، الأيام الأخيرة للدولة الأموية منشورات المكتبة الأهلية ، (بيروت – ١٩٦٢م) ، ص٢٣٢ .
(٤) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص٢٨-٢٩ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٨٠ .

ويبدو أن عمر بن عبد العزيز لم يكن يميل إلى يزيد بن عبد الملك ، وكان في قرارة نفسه يفضل الخلافة من خارج البيت الأموي فخيف منه حتى قيل : أنه دس إليه السم عن طريق خادمه[١] .

فلما تولى يزيد الخلافة أراد تولية عهده لابنه من بعده ، فلما قيل له : إنه صغير ولى أخاه هشام ، ومن بعده ابنه الوليد بن يزيد[٢] ، فلما تولى هشام الخلافة أراد أن يخلع الوليد فكان الخلاف على أشده بين هشام وولي عهده ابن شقيقه ، ولكن هشام مات قبل أن ينفذ أمره[٣] .

فلما آلت الخلافة إلى الوليد استفتح شؤون حكمه بالانتقام والتنكيل بمن أعان هشام عليه ، فكان ذلك نذير الخراب والانشقاق في البيت الأموي ، ولم يطل الأمر للوليد بن يزيد حتى خرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد وتولى الأمر ، ولكنه لم يبق بالخلافة إلا حوالي خمسة أشهر ثم توفى دون أن يعهد لأحد بالخلافة من بعده[٤] ، فقام بالأمر من بعده شقيقه إبراهيم بن الوليد فلم يتم الأمر له حتى خرج عليه مروان بن محمد وتقلد الخلافة[٥].

ثانياً. المعارضة للسلطة السياسية :

كانت ثورة الإمام الحسين بن علي عليه السلام من أخطر الثورات ضد الحكم الأموي ، فقد استطاع الإمام الحسين عليه السلام بخروجه وإعلان مناوئته للخليفة

(١) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص١١٦ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٥٢ .
(٢) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٥٤٤ .
(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٢٥٦ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٦٧ ؛ أبو نصر ، الأيام الأخيرة ، ص٢٣٣ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣٠١ .

الأموي يزيد بن معاوية أن يسجل رفضاً قاطعاً لإقرار الأمر الواقع بشرعية الحكم الجائر ، وبذلك ظلت ثورته نبراساً يهتدي بها المصلحون الباحثون عن الحرية والخلاص من الظلم والاستبداد[١] ، ثم أن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام قد أثار الكثير من حركات المعارضة ضد الدولة الأموية ، مثل حركة التوابين وحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وثورة الإمام زيد بن علي عليه السلام[٢] ، فضلاً عن حركات المعارضة الأخرى التي واجهتها الدولة الأموية مثل حركة عبد الله بن الزبير وحركة ابن الأشعث وغيرها من حركات المعارضة التي أسهمت طول الزمن في القضاء على الأمويين ودولتهم[٣] .

ثالثاً. العصبيات القبلية :

يقصد بالعصبيات القبلية النزاع الذي كان يقع بين عرب الشمال القيسية وعرب الجنوب اليمانية ، ويبدو أن أصل النزاع والخلاف بين الطرفين هو في أصل موطنهما ، فاليمانية مثلاً يعدون أنفسهم من أصحاب البلاد الأصليين ، لأنهم هاجروا إلى بلاد الشام قبل الإسلام واستقروا فيها وصاروا من أهلها ، أما القيسيون فقد وردوا الشام مع الفتوحات الإسلامية ، فهم إذا ليسوا من سكان البلاد الأصليين ، بل من الحجاز[٤] ، ومما زاد في هذا النزاع إن

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٣٩-٣٤٠ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٣ ، ص٣٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٠٩.

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٥٢-٥٨٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ص٤٩١ .

(٤) مهران ، محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ط٢ ، دار المعرفة الجامعية ، (بلام – بلات) ، ص٥٠٣ ؛ العش ، الدولة الأموية ، ص١٨٥ .

الخلفاء الأمويين كانوا يقدمون اليمنية مرة والقيسية مرة أخرى ، فإذا جاء اليمنيون شغلوا مراتب ونكلوا بالقيسية ، وإذا قدم أحد الخلفاء القيسية عادوا إلى الحكم وانتقموا من اليمنية ، الأمر الذي فتت قاعدتهم في بلاد الشام وشطرها إلى شطرين أحدهما قيسي ينتمي إلى عرب الشمال ، وآخر ينتمي إلى عرب الجنوب[1] .

وتجسدت هذه العصبية بشكل واضح بعد انتقال الخلافة إلى الفرع المرواني وتحديداً في وقعة مرج راهط سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) بين قبائل قيس يقودها الضحاك بن قيس الفهري والقبائل اليمانية يتقدمها حسان بن بحدل إلى جانب مروان بن الحكم ، وكان من نتيجة ذلك أن الجند الذين أرسلوا بقيادة عبيد الله بن زياد لحرب المختار بن أبي عبيد الثقفي كان على ميسرة ذلك الجيش عمير بن الحباب السلمي – من قيس عيلان – فلما دارت رحى الحرب على نهر الخازر سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م) صاح عمير بن الحباب في قيس يالثارات مرج راهط ، فنكسوا أعلامهم وانهزموا ، فانكسر أهل الشام ، وبذلك تمت الهزيمة على جند الشام وقتل عبيد الله بن زياد وكثير من جند الشام[2] .

أما في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان فإنه استعمل الحجاج بن يوسف الثقفي (ثقيف من قيس) والياً على العراق وأقره من بعده الوليد بن عبد الملك ، فلما جاء سليمان بن عبد الملك وكان يكره الحجاج لكنه لم يستطع أن ينتقم منه لأن الحجاج كان قد مات ، فصب غضبه على الذين قربهم

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣١ ؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ص٢٨٤ ؛ زعرور تاريخ العصر الأموي ، ص١٩٨ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٩٥ ؛ الخضري ، الدولة الأموية ، ص٤٤١ .

الحجاج فأقصاهم عن الحكم وسجن بعضهم وقتل بعضهم ، ثم أن سليمان ولى على العراق يزيد بن المهلب وكان يمانياً ، فكان يزيد يضطهد القيسية[١] .

ومنذ وفاة هشام بن عبد الملك سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م) أخذت العصبية تزداد إذ انحاز الوليد بن يزيد بن عبد الملك إلى القيسية وشدد الخناق على اليمانية ، فثاروا عليه وحرضوا ابن عمه يزيد بن الوليد على البيعة لنفسه ، وتمكنوا أخيراً من قتله وتحقيق هدفهم بمبايعة يزيد بن الوليد ، وحينما اتخذ مروان بن محمد من حران مقراً له واعتمد على القيسية غضب عليه اليمانية ، وقد كلفه إخضاعهم في مناطق شتى من الدولة جهداً ووقتاً كبيرين[٢] ، كما انتشرت الصراعات القبلية في خراسان والمغرب والأندلس[٣] .

رابعاً. الدعوة العباسية :

يرجع نشاط الدعوة العباسية إلى علي بن عبد الله بن عباس الذي تزعم الدعوة العباسية السرية ، ولكن علي بن عبد الله توفى سنة (١١٨هـ/ ٧٣٦م) ، فتزعم الدعوة من بعده ابنه محمد الذي أظهر رغبة في الخلافة وسعى لها سعياً منظماً[٤] ، وحرص العباسيون على إخفاء رغبتهم بالخلافة فلم تكن البيعة تؤخذ باسم العباسيين بل تحت شعار الرضى من آل

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٩٧-٥٢٣ ؛ فروخ ، تاريخ صدر الإسلام ، ص١٩٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣١٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٨٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٦٢ ؛ زعرور ، تاريخ العصر الأموي ، ص١٩٨-١٩٩ ؛ فروخ ، تاريخ صدر الإسلام ، ص١٩٧-١٩٨ .

(٤) مجهول ، أخبار العباس وولده ، تحقيق : عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة ، (بيروت – ١٩٧١م) ، ص١٧٣-١٨٥ .

محمد ﷺ وسموا أنفسهم بالهاشميين[1] ، واستطاع محمد بن علي من مقره بالحميمة أن يدير التنظيم السياسي بشكل سري ودقيق وأن يرسل الدعاة والنقباء إلى مختلف الجهات ، ومن الشخصيات التي لعبت دوراً في مساندة الدعوة العباسية بكير بن ماهان وأبو سلمة الخلال[2] .

وبعد وفاة محمد بن علي بالحميمة سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م) تولى أمر الدعوة من بعده ابنه إبراهيم الذي اتصل بابو مسلم الخراساني فجعله رئيساً للدعاية في خراسان[3] ، وكانت الظروف التي تمر بها الخلافة الأموية آنذاك قد ساعدت أبو مسلم على تحقيق أهدافه دون أن يواجه صعوبات كبيرة ، فقد كان مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين منشغلاً بإخماد فتنة جديع بن شبيب الازدي[4] .

بقيت الدعوة العباسية سرية غير معلنة حتى سنة (١٢٩هـ/ ٧٤٦م) حيث أعلن أبو مسلم الخراساني الثورة العباسية وتمكن من السيطرة على إقليم خراسان بعد أن اضطرت قوات نصر بن سيار إلى التقهقر نحو نيسابور[5] ، ثم حدث تطور هام في مركز القيادة للثورة العباسية ، فقد أقدم إبراهيم على إسناد مهمة قيادة القوات العباسية إلى قحطبة بن شبيب الطائي ، وقد تمكن قحطبة من دخول نيسابور ولم يبق أمام العباسيين بعد قضائهم على النفوذ الأموي في

(١) مجهول اخبار العباس وولده ، ص١٩٤ .

(٢) السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، ط٢ (بغداد – ١٩٨٨م) ، ص١١-١٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٩٨-١٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٣٥٣ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢٣٩ .

(٥) مجهول ، أخبار العباس ، ص٢٧٢-٢٧٣ ؛ السامرائي ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، ص١٥-١٦ .

المشرق سوى الزحف نحو العراق ، وقد اصطدمت قوات قحطبة بن شبيب بقوات القائد الأموي يزيد بن هبيرة على ضفاف نهر الفرات ، وحقق العباسيون انتصاراً كبيراً على الرغم من سقوط قائدهم قحطبة غرقاً في النهر[١] فتولى ولده الحسن القيادة من بعده وواصل سيره إلى الكوفة فدخلها سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)[٢] .

أما الإمام العباسي إبراهيم فقد اكتشف الخليفة مروان بن محمد اسمه ومحل إقامته فقبض عليه وسجنه في حران حتى توفي فيها[٣] ، وكان إبراهيم قبل أن يقبض عليه قد عهد إلى أخيه عبد الله أبي العباس ، وأوصاه بالرحيل خفية إلى الكوفة ، وهكذا كشف أبو مسلم الخراساني أن الخلافة لآل العباس ، وأعلن أبو سلمة الخلال أن الخليفة هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فبايعه الناس في الكوفة ، وكان ذلك بداية الخلافة العباسية التي استمرت إلى سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)[٤] .

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٣٢٠-٣٢١ .
(٢) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٣٢١-٣٢٢ .
(٣) مجهول ، أخبار العباس ، ص٣٨٧-٣٩٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٣٦٥-٤٢٢ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٤٢٤ ؛ مجهول ، أخبار العباس ، ص٤٠٤ ؛ السامرائي ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٢١-٢٢ .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

أولاً. المصادر الأولية :

❖ ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك (ت٦٠٦هـ)

١. النهاية في غريب الحديث والأثر ، المكتبة العلمية ، (بيروت – ١٩٧٩م) .

❖ ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت٦٣٠هـ)

٢. أسد العابة في معرفة الصحابة ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٨٩م) .

٣. الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٦٦م) .

٤. اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، (بيروت – بلات) .

❖ ابن آدم ، أبو زكريا يحيى بن آدم بن سليمان القرشي (ت٢٠٣م)

٥. الخراج ، تحقيق : حسين مؤنس ، دار الشروق ، (القاهرة – ١٩٨٧م) .

❖ الأزهري ، أبو منصور محمد بن احمد الهروي (ت٣٧٠هـ)

٦. تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – ٢٠٠١م) .

❖ ابن إسحاق ، أبو عبد الله بن إسحاق (ت١٥١هـ)

٧. المغازي ، تحقيق : محمد حميد الله ، (الرباط – ١٩٧٦م) .

❖ الاصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)

٨. الأغاني ، تحقيق : علي البجاوي ، (القاهرة – ١٩٧٠م) .

٩. مقاتل الطالبين ، تحقيق : السيد احمد صقر ، دار المعرفة ، (بيروت – بلات) .

❖ الاصطخري ، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦هـ)

١٠. المسالك والممالك ، دار صادر ، (بيروت – ٢٠٠٤م) .

❖ ابن أعثم ، أبو محمد احمد (ت٣١٤هـ)

١١. الفتوح ، دار الندوة الجديد ، (بيروت – ١٩٧٠م) .

❖ البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ)

١٢. الفرق بن الفرق ، (القاهرة – بلات) .

❖ أبو البقاء ، صالح بن الحسين الهاشمي (ت٦٦٨هـ)

١٣. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ، تحقيق : محمود عبد الرحمن قدح ، مكتبة العبيكان ، (الرياض – ١٩٩٨م) .

❖ البكري ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ)

١٤. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط٣ ، عالم الكتب ، (بيروت – ١٤٠٣هـ) .

١٥. المغرب في ذكر أفريقية والمغرب ، (الجزائر – ١٨٥٧م) .

❖ البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)

١٦. أنساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكار ورياض الزركلي ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٦م) .

١٧. فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت – ١٩٨٨م) .

❖ البيهقي ، إبراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ)

١٨. المحاسن والمساوئ ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٦٠م) .

❖ الجاحظ ، أبو عثمان بن بحر (ت٢٥٥هـ)

١٩. البيان والتبيين ، تحقيق : حسن السندوبي ، (قم – ١٤٠٩هـ) .

❖ الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ)

٢٠. الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة مصطفى الحلبي ، (القاهرة – ١٩٣٨م) .

❖ ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج (ت٥٩٧هـ)

٢١. سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار ابن خلدون ، (القاهرة – ١٩٩٦م) .

٢٢. صفة الصفوة ، دار الحديث ، (القاهرة – ٢٠٠٠م) .

٢٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٢م) .

❖ الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)

٢٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور العطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٩٨٧م) .

❖ ابن الحائك ، أبو محمد الحسن بن احمد الهمداني (ت٣٤٤هـ)

٢٥. صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٣م) .

❖ الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ)

٢٦. المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٠م) .

❖ ابن حبيب ، محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت٢٤٥هـ)

٢٧. المحبر ، تحقيق : إليزة ليختن شتير ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت–بلات) .

٢٨. المنمق في أخبار قريش ، تحقيق : خورشيد احمد فاروق ، عالم الكتب ، (بيروت – ١٩٨٥م) .

❖ ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت٨٥٢هـ)

٢٩. الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – بلات) .

❖ ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ)

٣٠. شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتاب العربي ، (بيروت – بلات) .

❖ الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٩٠٠هـ)

٣١. الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط٢ ، دار السراج ، (بيروت – ١٩٨٠م) .

❖ ابن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)

٣٢. مسند الإمام احمد بن حنبل ، دار صادر ، (بيروت – بلات) .

❖ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي (ت٣٦٧هـ)

٣٣. صورة الأرض ، ط٢ ، مطبعة بريل ، (ليدن – ١٩٣٨م) .

❖ أبو حيان التوحيدي ، علي بن محمد (ت٤٠٠هـ)

٣٤. الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق : محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٣م) .

❖ ابن خرداذبة ، عبد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ)

٣٥. المسالك والممالك ، تحقيق : دي تحويه ، مطبعة بريل ، (ليدن – ١٩٨٩م) .

❖ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)

٣٦. العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذة ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٨٨م) .

٣٧. المقدمة ، ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – بلات) .

❖ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد (ت٦٨١هـ)

٣٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٩٤م) .

❖ الخوارزمي ، محمد بن احمد بن يوسف (ت٣٨٧هـ)

٣٩. مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق ، (القاهرة – ١٣٤٢هـ) .

❖ ابن خياط ، أبو عمرو خليفة (ت٢٤٠هـ)

٤٠. تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٣٩٧هـ) .

❖ الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن (ت٢٥٥هـ)

٤١. سنن الدارمي ، المطبعة الحديثة ، (دمشق – ١٣٤٩هـ) .

❖ الدينوري ، أبو حنيفة احمد بن داود (ت٢٨٢هـ)

٤٢. الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٦٠م) .

❖ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ)

٤٣. تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، تحقيق : عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٨٧م) .

٤٤. سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٨٥م) .

٤٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، (بيروت – ١٩٦٣م) .

❖ الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ)

٤٦. مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٨١م) .

❖ ابن رجب ، أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد (ت٧٩٥هـ)

٤٧. الاستخراج لأحكام الخراج ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٨٥م) .

❖ الزبيدي ، محب الدين محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ)

٤٨. تاج العروس ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٤م).

❖ ابن زنجويه ، أبو احمد حميد بن مخلد (ت٢٥١هـ)

٤٩. الأموال ، (الرياض – ١٩٨٦م) .

❖ ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ)

٥٠. الطبقات الكبرى – متمم الصحابة ، تحقيق : عبد العزيز عبد الله السلومي ، مكتبة الصديق ، (الطائف – ١٤١٦هـ) .

❖ ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)

٥١. الأموال ، تحقيق : خليل محمد هراس ، دار الفكر ، (بيروت – ١٤٠٨هـ) .

❖ السمعاني ، عبد الكريم بن محمد أبي منصور التميمي (ت٥٦٢هـ)

٥٢. الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان ، (بيروت–١٩٨٨م).

❖ السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد ، (ت٩١١هـ)

٥٣. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق : محمد محي الدين ، ط١ ، مطبعة الآداب ، (القاهرة – ١٩٥٠م) .

❖ السيوطي ، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)

٥٤. تاريخ الخلفاء ، دار الفجر ، (القاهرة – ٢٠٠٤م) .

❖ الشافعي ، أبو عبد الله بن إدريس (ت٢٠٤هـ)

٥٥. الأم ، ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٨٠م) .

❖ ابن شبة النميري ، أبو زيد عمر بن شبة التميمي (ت٢٦٢هـ)

٥٦. تاريخ المدينة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، دار الفكر ، (قم – ١٤١٠هـ) .

❖ الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)

٥٧. الملل والنحل ، (بيروت – ١٩٦٠م) .

❖ الشيرازي ، أبو اسحاق ابراهيم بن علي (ت٤٧٦هـ)

٥٨. طبقات الفقهاء ، تحقيق : احسان عباس ، دار الرائد العربي ، (بيروت – ١٩٧٠م)
الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ)
٥٩. تحفة ذوي الألباب ، تحقيق : احسان سعيد وزهير حميدان ، منشورات وزارة الثقافة ، (دمشق – ١٩٩١م) .
٦٠. الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، (بيروت – ٢٠٠٠م) .
❖ الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)
٦١. تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – بلات) .
٦٢. جامع البيان في تأويل القرآن ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٥م) .
❖ ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ)
٦٣. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٦٦م) .
❖ ابن عبد الحق ، عبد المؤمن البغدادي (ت٧٣٩هـ)
٦٤. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، (بيروت – ١٤١٢هـ) .
❖ ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ)
٦٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت – ١٩٩٢م) .
٦٦. الكافي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – بلات) .
❖ ابن عبد الحكم ، أبو محمد عبد الله بن أيمن (ت٢١٤هـ)
٦٧. سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، تحقيق : احمد عبيد ، عالم الكتب ، (بيروت – ١٩٨٤م) .
❖ ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٩هـ)

٦٨. فتوح مصر وأخبارها ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٦م) .

٦٩. فتوح مصر والمغرب ، تحقيق : شارلز توري ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، (بلام – بلات) .

❖ ابن عبد ربه ، أبو عمر احمد بن محمد (ت٣٢٨هـ)

٧٠. العقد الفريد ، تحقيق : احمد أمين وآخرون ، (القاهرة – ١٩٥٣هـ) .

❖ ابن العبري ، غريغوريوس (ت٦٨٥هـ)

٧١. تاريخ مختصر الدول ، دار الشرق ، (بيروت – بلات) .

❖ ابن عذاري ، أبو عبد الله بن محمد المراكشي (ت٦٩٥هـ)

٧٢. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج . س . كولان وليفي بروفنسال ، ط٣ ، دار الثقافة ، (بيروت – ١٩٨٣م) .

❖ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين (ت٥٧١هـ)

٧٣. تاريخ دمشق ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٥م) .

٧٤. تهذيب التاريخ الكبير ، نشر : عبد القادر بدران ، روضة الشام ، (دمشق – ١٣٣٢هـ) .

❖ ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي الدمشقي (ت١٠٨٩م)

٧٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – بلات)
ابن عنبة الحلي ، جمال الدين احمد (ت٨٢٨هـ)

٧٦. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تحقيق : مهدي الرجائي ، (قم – ٢٠٠٤م) .

❖ أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ)

٧٧. تقويم البلدان ، (باريس – ١٨٤٠م) .

٧٨. المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، (القاهرة – بلات).

❖ الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت١٧٠هـ)

٧٩. كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، (بلام – بلات) .

❖ ابن الفقيه ، أبو عبد الله احمد بن محمد (ت٣٦٥هـ)

٨٠. البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي , ط١ , عالم الكتب , (بيروت - ١٩٩٦م) .

❖ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (ت٨١٧هـ)

٨١. القاموس المحيط ، دار العلم للملايين ، (بيروت – بلات) .

❖ ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ)

٨٢. الإمامة والسياسة ، تحقيق : طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي ، (القاهرة – بلات) .

٨٣. عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٨هـ) .

٨٤. المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٦٩هـ) .

❖ قدامة بن جعفر ، أبو الفرج الكاتب البغدادي (ت٣٢٨هـ)

٨٥. الخراج وصناعة الكتابة ، مطبعة بريل ، (ليدن – ١٨٨٣م) .

❖ ابن قدامة المقدسي ، عبد الله بن احمد بن محمد (ت٦٣٠هـ)

٨٦. المغني ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – بلات) .

❖ القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت٥٧١هـ)

٨٧. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، تحقيق : احمد عبد العليم البردوني ، ط٢ ، دار الكتب ، (بيروت – ١٩٦٤م) .

❖ القلقشندي ، احمد بن علي (ت٨٢١هـ)

٨٨. صبح الأعشى في صناعة الانشا ، تحقيق : محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت – بلات) .

٨٩. مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت – بلات) .

❖ الكتبي ، محمد بن شاكر بن احمد (ت٧٦٤هـ)

٩٠. فوات الوفيات ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٧٣م) .

❖ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)

٩١. البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – بلات) .

٩٢. مختصر تفسير ابن كثير ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، دار الصابوني ، (القاهرة – بلات) .

❖ الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف المصري (ت٣٥٠هـ)

٩٣. كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تهذيب : رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (بيروت - ١٩٠٨م) .

❖ ابن ماكولا ، علي بن هبة الله (ت٤٧٥هـ)

٩٤. إكمال الكمال ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – بلات) .

❖ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ)

٩٥. الأحكام السلطانية ، دار الحديث ، (القاهرة – بلات) .

❖ المبرد ، محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)

٩٦. الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، (القاهرة – بلات) .

❖ مجهول

٩٧. أخبار العباس وولده ، تحقيق : عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة ، (بيروت – ١٩٧١م) .

❖ مجهول

٩٨. أخبار مجموعة من فتح الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط٢ ، دار الكتاب ، (بيروت – ١٩٨٩م) .

❖ مجهول

٩٩. العيون والحدائق وأخبار الحقائق ، (ليدن – ١٨٧١م) .

❖ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ)

١٠٠. التنبيه والأشراف ، تعليق : دي غوية ، (ليدن – ١٨٩٤م) .

١٠١. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مطبعة الانجلو مصرية ، (القاهرة–١٩٦٤م).

❖ مسكويه ، احمد بن محمد (ت٤٢١هـ)

١٠٢. تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تحقيق : أبو القاسم إمامي ، ط٢ ، دار سروش ، (طهران – ١٤٢٢هـ) .

❖ المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ)

١٠٣. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار صادر ، (بيروت – بلات) .

❖ المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت٣٠٠هـ)

١٠٤. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣ ، دار صادر ، (بيروت–١٩٩١م) .

❖ المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ)

١٠٥. البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة – بلات) .

❖ المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ)

١٠٦. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، (بيروت – ١٩٦٨م) .

❖ ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ)

١٠٧. لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، (القاهرة – بلات) .

١٠٨. مختصر تاريخ دمشق ، تحقيق : روحية النحاس وآخرون ، دار الفكر ، (دمشق – بلات) .

❖ المنقري ، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ)

١٠٩. وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، (القاهرة - ١٣٨٢هـ) .

❖ المهلبي ، الحسن بن احمد (ت٣٨٠هـ)

١١٠. المسالك والممالك ، تحقيق : تيسير خلف ، (بلام – بلات) .

❖ ابن ناصر الدين ، محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي (ت٨٤٢هـ)

١١١. توضيح المشتبه ، تحقيق : محمد نعيم العرقوسي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٩٣م) .

❖ النرشخي ، أبو بكر محمد بن جعفر (ت٢٨٦هـ)

١١٢. تاريخ بخارى ، عربه عن الفارسية وقدمه وحققه وعلق عليه : أمين عبد المجيد بدري ونصر الله مبشر الطرازي ، ط٣ ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٦٥م) .

❖ النووي ، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ)

١١٣. تهذيب الأسماء واللغات ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – بلات) .

❖ النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ)

١١٤. نهاية الأرب في فنون الأدب ، (القاهرة – بلات) .

❖ الهرثمي ، أبو سعيد الشعراني (ت ق ٣هـ)

١١٥. مختصر سياسة الحروب ، تحقيق : عبد الرؤوف هون ، المؤسسة المصرية ، (القاهرة – بلات) .

❖ ابن هشام ، عبد الملك بن أيوب (ت٢١٨هـ)

١١٦. السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، (القاهرة–بلات).

❖ الهمذاني ، احمد بن محمد (ت٣٤٠هـ)

١١٧. البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، عالم الكتب ، (بيروت–١٩٩٦م).

❖ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن المظفر (ت٧٤٩هـ)

١١٨. تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، (النجف الاشرف – بلات) .

❖ وكيع ، محمد بن خلف (ت٣٠٦هـ)

١١٩. أخبار القضاة ، عالم الكتب ، (بيروت – بلات) .

❖ اليافعي ، أبو محمد عفيف الدين (ت٧٦٨هـ)

١٢٠. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تحقيق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٧م) .

❖ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ)

١٢١. معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – ١٩٧٩م) .

❖ اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ)

١٢٢. البلدان ، دار صادر ، (بيروت – بلات) .

١٢٣. تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، (بيروت – بلات) .

❖ أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ)

١٢٤. الخراج ، ط٢ ، المطبعة السلفية ، (القاهرة – ١٣٨٢هـ) .

ثانياً. المراجع الحديثة :

❖ احمد ، لبيد إبراهيم وآخرون

١٢٥. الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي ، (بغداد – ١٩٩٢م) .

❖ الأفغاني ، سعيد

١٢٦. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط٢ ، (دمشق – ١٩٦٠م) .

❖ الأنصاري ، ناصر

١٢٧. تاريخ أنظمة الشرطة في مصر ، دار الشروق ، (القاهرة – ١٩٩٠م) .

❖ البراقي ، السيد حسين بن السيد احمد (ت١٣٣٢هـ)

١٢٨. تاريخ الكوفة ، المكتبة الحيدرية ، (النجف الاشرف – ١٤٢٤هـ) .

❖ بطانية ، محمد ضيف الله

١٢٩. الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى ، دار الكندي ، (الأردن – بلات) .

❖ البكاي ، لطيفة

١٣٠. حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي ٣٧-١٣٢هـ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت – ٢٠٠١م) .

❖ جلي ، احمد محمد

١٣١. دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين ، ط٢ ، (الرياض – ١٩٨٨م) .

❖ الجميلي ، رشيد عبد الله

١٣٢. الدولة العربية الإسلامية الخلافة الأموية ٤١-١٣٢هـ ، (بغداد–١٩٩٩م).

❖ حسن ، إبراهيم حسن

١٣٣. تاريخ عمرو بن العاص ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة – ١٩٩٦م) .

١٣٤. التاريخ الإسلامي ، (القاهرة – بلات) .

❖ الحسين ، قصي

١٣٥. موسوعة الحضارة العربية في العصر الأموي ، دار البحار ، (بيروت – ٢٠٠٤م) .

❖ الحميداني ، نمر بن محمد

١٣٦. ولاية الشرطة في الإسلام ، ط٢ ، دار عالم الكتب ، (الرياض–١٩٩٤م) .

❖ الخربوطلي ، علي حسين

١٣٧. الإسلام والخلافة ، (القاهرة – بلات) .

١٣٨. الحضارة العربية الإسلامية ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة–١٩٩٤م) .

❖ الخضري ، محمد بك

١٣٩. الدولة الأموية ، مؤسسة المختار ، (القاهرة – ٢٠٠٣م) .

❖ أبو خليل ، شوقي

١٤٠. الحضارة العربية الإسلامية ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٤م) .

❖ دكسن ، عبد الأمير

١٤١. الخلافة الأموية ٦٥-٨٦هـ ، دار النهضة العربية ، (بيروت – ١٩٧٣م) .

❖ الدوري ، عبد العزيز

١٤٢. مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت–١٩٦١م).

١٤٣. النظم الإسلامية ، (بيروت – ٢٠٠٧م) .

❖ الرفاعي ، أنور

١٤٤. الإسلام في حضارته ونظمه ، دار الفكر ، (دمشق – ١٩٧٣م) .

❖ الزحيلي ، محمد

١٤٥. تاريخ القضاء في الإسلام ، دار الفكر المعاصر ، (بيروت – ١٩٩٥م) .

❖ الزركلي ، خير الدين بن محمود (ت١٣٩٦هـ)

١٤٦. الأعلام ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ٢٠٠٢م) .

❖ زعرور ، إبراهيم ، علي ، احمد

١٤٧. تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري ، منشورات جامعة دمشق ، (دمشق – ١٩٩٦م) .

❖ أبو زيد ، علا عبد العزيز

١٤٨. الدولة الأموية دولة الفتوحات ٤١-١٣٢هـ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، (القاهرة – ١٩٩٦م) .

❖ سالم ، عبد العزيز

١٤٩. تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، (القاهرة–١٩٨٩م).

❖ السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون

١٥٠. تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، ط٢ ، (بغداد–١٩٨٨م) .

❖ أبو سعدة ، محمد

١٥١. الخوارج في ميزان الفكر الإسلامي ، ط٢ ، (القاهرة – ١٩٩٨م) .

❖ السعدي ، حصة بنت احمد بن عبد الرحمن

١٥٢. القضاة في نجد وأثرهم في المجتمع ، (الرياض – ١٤٢٣هـ) .

❖ الشكعة ، مصطفى

١٥٣. إسلام بلا مذاهب ، ط١٣ ، الدار المصرية ، (القاهرة – ١٩٩٧م) .

❖ شلبي ، احمد

١٥٤. الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها ، (القاهرة – ١٩٨٤م) .

❖ شلبي ، أبو زيد

١٥٥. تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، ط٣ ، (القاهرة – ١٩٦٤م) .

❖ الشمري ، صالح حسن عبد

١٥٦. العلاقات البيزنطية في العصر الأموي من ٤١-١٣٢هـ ، مطبعة جامعة ديالى ، (ديالى – ٢٠١٣م) .

❖ الصدر ، السيد محمد (ت١٤٢١هـ)

١٥٧. ما وراء الفقه ، ط٣ ، (قم – ٢٠٠٧م) .

❖ طرخان ، إبراهيم علي

١٥٨. دولة القوط الغربيين ، (القاهرة – ١٩٥٨م) .

❖ طهبوب ، صلاح

١٥٩. موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر الأموي ، دار أسامة ، (عمان – ٢٠٠٩م) .

❖ العبادي ، احمد مختار

١٦٠. في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، (القاهرة–بلات) .

❖ عبد السلام ، فاروق عبد

١٦١. الشرطة ومهامها في الدولة العربية الإسلامية ، دار الصحوة ، (القاهرة – ١٩٨٧م).

❖ أبو عبية ، طه عبد المقصود عبد الحميد

١٦٢. موجز عن الفتوحات الإسلامية ، دار النشر للجامعات ، (القاهرة – بلات) .

❖ العتبي ، محمد سعيد ، محمد بشير حسن العامري

١٦٣. تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، (بغداد – ٢٠٠٢م) .

❖ العدوي ، إبراهيم احمد

١٦٤. الأمويون والبيزنطيون ، (القاهرة – ١٩٦٣م) .

❖ العش ، يوسف

١٦٥. الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان ، ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٨٥م) .

❖ العقيلي ، محمد ارشيد

١٦٦. الخليج العربي في العصور الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى مطلع العصور الحديثة ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٣م) .

❖ علي ، جواد

١٦٧. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٤ ، دار الساقي ، (بيروت – ٢٠٠١م) .

❖ العلي ، صالح احمد

١٦٨. التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، ط٢ ، دار الطليعة ، (بيروت – ١٩٦٩م) .

❖ العمري ، أكرم ضياء

١٦٩. عصر الخلافة الراشدة ، مكتبة العبيكان ، (المدينة المنورة – ١٤١٤هـ) .

❖ العمري ، عبد العزيز بن إبراهيم

١٧٠. الفتوح الإسلامية عبر العصور ،ط٣ ، دار اشبيليا ، (الرياض–١٤٢١هـ).

❖ فروخ ، عمر

١٧١. تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٩٧٠م) .

١٧٢. تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٩٨٣م) .

❖ الكبيسي ، عامر

١٧٣. الإدارة العربية الإسلامية فكراً وتطبيقاً ، (بغداد – ١٩٩٤م) .

❖ الكبيسي ، عبد المجيد محمد صالح

١٧٤. عصر هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ ، مطبعة سلمان الاعظمي ، (بغداد – ١٩٧٥م) .

❖ كحالة ، عمر بن رضا بن محمد (ت١٤٠٨هـ)

١٧٥. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٩٤م) .

❖ الكرمي ، حافظ احمد عجاج

١٧٦. الإدارة في عصر الرسول ﷺ ، ط٢ ، (القاهرة – ٢٠٠٧م) .

❖ الكروي ، إبراهيم سلمان وعبد التواب شرف الدين

١٧٧. المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ، منشورات ذات السلاسل ، (الكويت – ١٩٨٧م) .

❖ كنعان ، عاصم إسماعيل

١٧٨. الخلافة الأموية ٤١-٦٠هـ دراسة في الأحوال السياسية والإدارية والمالية ، المطبعة المركزية جامعة ديالى ، (بغداد – ٢٠١١م) .

❖ مصطفى ، مسعود احمد

١٧٩. أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية ، الهيئة المصرية العامة ، (القاهرة – ١٩٩٠م) .

❖ معطية ، احمد

١٨٠. الإسلام الخوارجي ، دار الحوار ، (دمشق – ٢٠٠٠م) .

❖ الملاح ، هاشم يحيى

١٨١. الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٧١م) .

❖ مهران ، محمد بيومي

١٨٢. دراسات في تاريخ العرب القديم ، ط٢ ، دار المعرفة الجامعية ، (بلام – بلات) .

❖ المورتناني ، محمد الأمين بن الشيخ بن مزيد

١٨٣. الرقابة في العهد الراشدي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٧١م) .

❖ ندوي ، سيد أبو ظفر صاحب

١٨٤. تاريخ سند ، ط٢ ، (الهند – ١٩٧٠م) .

❖ أبو النصر ، عمر

١٨٥. الأيام الأخيرة للدولة الأموية ، منشورات المكتبة الأهلية ، (بيروت–١٩٦٢م).

❖ الهاشمي ، رحيم كاظم محمد ، عواطف محمد شنقاور

١٨٦. الحضارة العربية الإسلامية ، الدار المصرية ، (القاهرة – ٢٠٠٢م) .

❖ الهاشمي ، عبد المنعم

١٨٧. الخلافة الأموية ، دار ابن حزم ، (بيروت–٢٠٠٢م).

❖ الهراوي ، عبد السميع سالم

١٨٨. لغة الإدارة العامة في صدر الإسلام ، الهيئة العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٩٨٦م)

ثالثاً. الكتب المترجمة :

❖ فلهاوزن ، يوليوس

١٨٩. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة : محمد عبد الهادي وحسين مؤنس ، (القاهرة – ١٩٦٨م) .

رابعاً. الرسائل والاطاريح الجامعية :

❖ ذوقان ، وجيه لطفي طالب

١٩٠. ولاية العهد في العصر الأموي ٤١-١٣٢هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح ، (فلسطين – ٢٠٠٥م) .

❖ المجمعي ، حامد حميد عطية

١٩١. أراضي القطائع في الدولة العربية الإسلامية ٤١-١٣٢هـ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (بغداد ، ٢٠١٤م) .

خامساً. البحوث المنشورة :

❖ عطية ، حامد حميد

١٩٢. السلطة السياسية والخوارج قراءة في مناظراتهم ، بحث منشور في مجلة دراسات في التاريخ والآثار ، بغداد ، ٢٠١٤م ، العدد٤٥.

❖ العلي ، صالح احمد

١٩٣. العطاء في الحجاز تطور تنظيمه في العهود الإسلامية الأولى ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثاني ، بغداد ، ١٩٧٠م .

❖ العمد ، إحسان صدقي

١٩٤. الجذور التاريخية للأسرة الأموية ، بحث منشور في مجلة حوليات ، كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ١٩٩٦م ، العدد١٠٣.